أميـرة المريـخ

إدجار رايس بوروز

- Author : Edgar Rice Burroughs
- Title: A PRINCESS OF MARS ...
- Translated by: Shohrat Al Alem
- Afaq's first edition: 2018
- Cover Design by: Amr El Kafrawy
- Publishing Consultant: Sawsan Bashier
- General Manager: Mostafa Alsheikh

- المؤلف: إدجار رايس بوروز
- العنوان: أميرة المريخ
- ترجمة: شهرت العالم
- طبعة آفاق الأولى 2018
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠١٧ / ٢٦٨٧٠
الترقيم الدولي: ISBN
978 - 977-765 - 145 - 5

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

إدجار رايس بوروز

أميـرة المريـخ

روايـة

ترجمة

شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

بوروز، إدجار رايس.

إدجار رايس بوروز : أميرة المريخ – ترجمة: شهرت العالم

ط1 القاهرة – دار آفاق للنشر والتوزيع – 2018

272 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 26870 / 2017

الترقيم الدولي 5 – 145 – 765 – 977 – 978

1 – الأدباء (روايات)

2 – بوروز، إدجار رايس

إلى ابني جاك

مقدمة المؤلف

إلى قارئ هذا العمل:

أعتقد يجدر التحدث قليلًا عن شخصية كابتن كارتر الرائعة، قبل تقديم مخطوطه الغريب على شكل كتاب.

تعود ذاكرتي الأولى عن كابتن كارتر إلى تلك الأشهر القليلة التي أمضاها في منزل والدي في فرجينيا، قبل بداية الحرب الأهلية مباشرة. كنت آنذاك طفلًا، أبلغ من العُمر خمس سنوات، لكنني أتذكر جيدًا ذلك الرجل الرياضي الطويل، ذا الوجه المكفهر الأملس، الذي كنت أدعوه العم جاك.

كان يبدو ضاحكًا على الدوام. يشارك الأطفال في ألعابهم الرياضية بروح الزمالة القلبية الطيبة نفسها التي يشارك بها الرجال والنساء من نفس عُمره في التسلية والترفيه، أو يجلس لمدة ساعة للترفيه عن جدتي العجوز بسرد قصص حياته الغريبة الجامحة في أنحاء العالم كافة. كنا جميعًا نحبه، وكان العبيد الذين يعملون لدينا يقدسون الأرض التي تطأها قدماه.

كان نموذجًا رائعًا للرجولة؛ يبلغ طوله ستة أقدام وبوصتين، عريض

الكتفين، أوراكه نحيلة، ويحمل سمات الرجل المُدرَّب على القتال. كانت ملامحه واضحة ومحددة، وشعره قصيرًا أسود، بينما كانت عيناه من اللون الرمادي الداكن وتعكس شخصية قوية ومُخلِصة، ومليئة بالحماس والمبادرة. كما كان على خُلُق، ويتصف بأعلى درجات اللطف والود التي يتسم بها سيد مهذب من الجنوب.

تمتع بقدرة مدهشة على ركوب الخيل، لا سيما في تتبع كلاب الصيد، حتى في هذا البلد الذي يضم نخبة من أروع الفرسان. وكثيرًا ما سمعت أبي وهو يحذره من تهوره الجامح، لكنه كان يضحك وهو يقول: «لم يولد بعد ذلك الحصان الذي يقتلني السقوط من فوق ظهره».

لقد تركنا عندما اندلعت الحرب، ولم أره مرة أخرى لحوالي ١٥ أو ١٦ سنة تقريبًا، ثم عاد دون سابق إنذار. فوجئت كثيرًا عندما شاهدته؛ كان يبدو كما هو دون أن يشيخ ولو للحظة، كما لم يطرأ عليه أي تغيير. وخلال وجود الآخرين معه، كان نفس الزميل اللطيف السعيد الذي نعرفه منذ زمن. لكنني رأيته، متصورًا أنه بمفرده، يجلس لساعات يحدق نحو الفضاء وعلى وجهه نظرة شوق حزين وبؤس يائس؛ وفي الليل يجلس ناظرًا إلى السماء، باحثًا عن شيء لم أعرفه، إلى أن قرأت هذا المخطوط بعد ذلك بسنوات.

أخبرنا أنه قام في فترة ما بالتنقيب والتعدين في أريزونا منذ الحرب، وأنه حقق نجاحًا كبيرًا تجلى في تلك الكمية غير المحدودة من المال التي حصل عليها. أما عن تفاصيل حياته خلال تلك السنوات، فقد كان شديد التحفظ، وفي الواقع لم يتحدث عنها إطلاقًا.

استمر وجوده معنا لمدة عام تقريبًا ثم ذهب إلى نيويورك، حيث اشترى مكانًا صغيرًا يطل على نهر هدسون. واعتدت زيارته مرة في السنة خلال رحلاتي إلى سوق نيويورك – فقد كنت ووالدي نمتلك سلسلة من المتاجر العامة في جميع أنحاء فرجينيا في ذلك الوقت. اقتنى كابتن كارتر كوخًا صغيرًا، لكنه جميل، يقع على منحدر يطل على النهر. وخلال إحدى زياراتي الأخيرة، في شتاء عام ١٨٨٥، لاحظت انشغاله الشديد بالكتابة؛ والآن أعتقد أنه كان منشغلًا بكتابة هذا المخطوط.

قال لي في تلك المرة إنه يسعده أن أتولى مسؤولية ممتلكاته إذا حدث له أي شيء، وأعطاني مفتاحًا لدرج صغير في خزنة بغرفة مكتبه وهو يقول إنني سأجد فيه وصيته وبعض التعليمات الشخصية التي جعلني أتعهد بتنفيذها بنفسي بإخلاص مطلق.

بعد ذلك اليوم، كنت أراه ليلًا من نافذتي وهو يقف في ضوء القمر على حافة المنحدر المُطل على نهر هدسون وذراعاه ممدودتان إلى السماء كأنما في حالة مناجاة. تصورت حينذاك أنه يُصلي، على الرغم من معرفتي أنه لم يكن أبدًا متدينًا بالمعنى الحرفي للمصطلح.

بعد عدة أشهر من عودتي لمنزلي بعد زيارتي الأخيرة له، تسلمت منه في أول مارس ١٨٨٦، على ما أعتقد، برقية يطلب مني فيها أن أذهب إليه على الفور. لقد كنت دومًا مُفضَّلًا لديه من بين جيل كارتر الأصغر، ولذا أسرعت إلى تنفيذ طلبه.

وصلت في صباح يوم ٤ مارس ١٨٨٦ إلى المحطة الصغيرة التي تبعد نحو ميل من موقع سكنه. وعندما طلبت من سائق عربة الخيول أن

يأخذني إلى كابتن كارتر، أخبرني أنني إذا كنت صديقًا للكابتن، فهناك أنباء سيئة للغاية تنتظرني؛ فقد وُجِد الكابتن ميتًا بعد طلوع النهار بفترة قصيرة هذا الصباح؛ وجده حارس العقار المجاور.

ولسبب ما لم يكن هذا الخبر مفاجئًا لي، لكنني توجهت إلى سكنه بأسرع ما يمكن لكي أقوم بما يلزم لجثمانه، وأتولى باقي شؤونه.

وجدت الحارس الذي اكتشف موت كابتن كارتر واقفًا مع رئيس الشرطة المحلية والعديد من سكان البلدة مجتمعين في غرفة مكتب الكابتن. حكى الحارس بعض التفاصيل المرتبطة بالعثور عليه، وقال إن جثمانه كان دافئًا عندما وصل إليه، ممددًا وسط الجليد، وذراعاه ممدودتان فوق رأسه في اتجاه حافة المنحدر. وعندما أخذني لأرى الموقع، تذكرت أنه المكان نفسه تحديدًا الذي رأيت فيه كابتن كارتر في إحدى تلك الليالي رافعًا ذراعيه إلى السماء متضرعًا.

لم يحمل جثمانه أي علامات على العنف. وتمكن المحققون الشرعيون، بمساعدة الطبيب المحلي، من التوصل إلى قرار بأن سبب الوفاة هو السكتة القلبية. بقيت بمفردي في غرفة المكتب، فتحت الخزنة وأخرجت محتويات الدرج الذي أخبرني أنني سأجد فيه التعليمات التي تركها لي. كانت غريبة إلى حد ما بالفعل، لكني اتبعتها بكل تفاصيلها وبكل ما أمكنني من إخلاص.

طلب مني نقل جثمانه إلى فرجينيا دون تحنيط، وأن يوضع في نعش مفتوح داخل القبر الذي بناه سابقًا، والذي كان – كما عرفت في ما بعد – جيد التهوية. أجبرتني التعليمات أن أتولى بنفسي الإشراف على التنفيذ

على النحو الذي أراده تمامًا، حتى سرًّا إن لزم الأمر.

لقد ترك ممتلكاته بطريقة تجعلني أحصل على كامل دخلها لمدة ٢٥ سنة، وعندئذ أصبح المالك. أما تعليماته الأخرى، فكانت تتعلق بهذا المخطوط الذي كان يجب أن أحتفظ به مختومًا ودون قراءة، أي كما وجدته تمامًا، لمدة ١١ سنة؛ ولا أكشف عن محتوياته إلا بعد مرور ٢١ سنة على وفاته.

هناك ملمح غريب يتعلق بقبره، حيث لا يزال جثمانه راقدًا، وهو أن بابه الكبير كان مُجهزًا بقفل زنبركي ضخم منفرد، مطلي بالذهب، ولا يمكن فتحه إلا من الداخل.

المخلص،

إدجار رايس بوروز

(١)

فوق تلال أريزونا

أنا رجل عجوز جدًّا، لكنني لا أعرف كم بلغت من العُمر. ربما مائة عام، ربما أكثر؛ لا أستطيع التحديد، فلم أصبح شيخًا أبدًا مثل باقي الرجال، كما لا أتذكر طفولتي. وبقدر ما يمكنني أن أتذكر، كنت دائمًا رجلًا، رجلًا في حوالي الثلاثين من العمر. وأنا أبدو اليوم كما كنت أبدو منذ أربعين سنة وأكثر، ومع ذلك أشعر أنني لا يمكن أن أعيش إلى الأبد، وأنني سأموت في يوم ما موتًا حقيقيًّا، حيث لا تتجدد الحياة. لا أعرف لماذا أخشى الموت، وأنا الذي توفيت مرتين ولا زلت على قيد الحياة؛ لكن شعوري بالرعب من الموت هو نفس شعور أولئك الذين لم يموتوا بعد، وأعتقد أنني بسبب هذا الرعب من الموت أثق تمامًا أنني سأموت.

وبسبب هذه الثقة، قررت كتابة قصة فترات حياتي وموتي المثيرة. لا يمكنني شرح هذه الظواهر، وإنما يمكنني هنا أن أدون فقط -بكلمات جندي مرتزق عادي- تسجيلًا للأحداث الغريبة التي مررت بها خلال السنوات العشر التي ظل فيها جسدي الميت غير مُكتَشَف في كهف بأريزونا.

لم أخبر أحدًا بهذه القصة أبدًا، كما لن يطلع أي إنسان على هذا المخطوط إلا بعد أن أنتقل إلى الحياة الأبدية. أعرف أن العقل البشري المتوسط لن يصدق ما لا يستطيع فهمه، ولذا لا أود أن أصبح مثارًا لسخرية الناس وموضوعًا لمنابر الوعظ والصحافة، ويعتبروننني كاذبًا كبير، وأنا لا أحكي سوى حقائق بسيطة سوف يثبتها العِلم في يوم ما. ربما تساعد الأفكار التي اكتسبتها على كوكب المريخ، والمعرفة التي يمكنني إيرادها في هذا التسجيل للوقائع، على فهم مبكر لألغاز ذلك الكوكب الشقيق؛ ألغاز بالنسبة لكم، لكنها لم تعُد ألغازًا بالنسبة لي.

اسمي جون كارتر، ومعروف باسم الكابتن جاك كارتر من فيرجينيا. بعد نهاية الحرب الأهلية، وجدت نفسي أمتلك مئات الآلاف من الدولارات (الكونفدرالية)، وحاصل على رتبة كابتن في سلاح الفرسان بجيش لم يعد موجودًا؛ خادم لدولة تلاشت مع تلاشي آمال الجنوب. كنت بلا قائد، ومُفلس، وانتهت وسيلتي الوحيدة لكسب العيش - أي القتال. فقررت أن أتخذ طريقي إلى الجنوب الغربي في محاولة لاستعادة ثروتي عن طريق البحث عن الذهب.

قضيت ما يقرب من سنة في أعمال التنقيب مع ضابط كونفدرالي آخر: الكابتن جيمس ك. باول من ريتشموند. كنا محظوظين جدًّا؛ ففي أواخر شتاء عام ١٨٦٥، وبعد العديد من المصاعب والحرمان، توصلنا إلى عِرق كوارتز مُحمل بذهب أفضل مما كان يمكن أن تتصوره أقصى أحلامنا على الإطلاق. قال باول، وكان مهندس تعدين بحكم دراسته، إننا وجدنا ما قيمته أكثر من مليون دولار من الخام خلال فترة تزيد قليلًا

على ثلاثة أشهر.

ونظرًا لأن معداتنا كانت شديدة البساطة، فقد قررنا أن يعود أحدنا إلى المدينة ويشتري الآلات اللازمة ثم يرجع ومعه قوة كافية من الرجال المناسبين للعمل في المنجم.

ولأن باول كان على دراية بالبلد، فضلًا عن درايته بمتطلبات التعدين الميكانيكية، قررنا أنه الأفضل للقيام بهذه الرحلة. واتفقنا أن أبقى لمواجهة أي احتمال بعيد لأن يقفز علينا أي مُنقب متجول.

في ٣ مارس ١٨٦٦، جمعت مع باول المؤن اللازمة ووضعناها فوق حمارين صغيرين، ثم ودعني باول وهو يمتطي حصانه، وبدأ رحلته أسفل سفح الجبل متجهًا نحو الوادي الذي بدأ منه المرحلة الأولى من رحلته.

كان صباح يوم رحيله صافيًا وجميلًا، مثل كل صباح تقريبًا في أريزونا. رأيته، والدواب التي تحمل أمتعته، يختار طريقه أسفل سفح الجبل نحو الوادي؛ وطوال الصباح كنت ألمحهم بين الفينة والفينة عن بُعد وهم يصعدون إلى قمة تل أو يصلون إلى هضبة مستوية. آخر مرة رأيت فيها باول كانت حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، وبعدها غاب في ظلال سلسلة الجبال التي تقع على الجانب الآخر من الوادي.

وبعد حوالي نصف ساعة، لمحتهم مصادفة عبر الوادي؛ وأدهشني كثيرًا ملاحظة وجود ثلاث نقاط صغيرة في نفس المكان تقريبًا الذي رأيت فيه صديقي ودابتيه آخر مرة. لم أستسلم لقلق لا داع له، لكني كلما حاولت إقناع نفسي أن الأمور تسير بشكل جيد مع باول وأن النقاط

التي رأيتها على طريق مسيرته ليست سوى ظباء أو خيول برية، تقلصت قدرتي على طمأنة نفسي.

لم نشهد أي هندي عدائي منذ أن دخلنا المنطقة، ولذا أصبحنا في أقصى حالات اللامبالاة، واعتدنا على السخرية من القصص التي سمعناها عن الأعداد الكبيرة من أولئك اللصوص الأشرار الذين من المفترض أنهم يطاردون مسارات الطرق، ويوقعون خسائر في الأرواح، ويعذبون كل شخص أبيض يسقط في براثنهم التي لا ترحم.

كنت أعرف أن باول مسلح بشكل جيد، كما أنه مقاتل هندي يتمتع بالخبرة. لكني عشت وحاربت أيضًا لسنوات مع الهنود الحُمر من قبيلة سيوكس في الشمال، ولذا كنت أعرف أن فرصه ضئيلة في مواجهة قبائل الأباتشي الماكرين الذين يتابعون مسارات الطرق. على أنني في النهاية لم أعُد قادرًا على تحمُّل القلق، فسلحت نفسي بمسدسين كولت وبندقية قصيرة، وربطت حول خصري حزامين من الأعيرة النارية وامتطيت حصاني، وبدأت أهبط في نفس المسار الذي اتخذه باول صباح اليوم.

ما إن وصلت إلى أرض مستوية نسبيًّا، دفعت حصاني للاستمرار في الاتجاه الذي يتيحه المسار إلى أن حل المساء، حيث اكتشفت البقعة التي اختلطت فيها آثار مسارات أخرى مع آثار مسار باول. كانت آثار لمسارات ثلاثة مهور تركض بلا حدوات.

واصلت سريعًا إلى أن حل الظلام، حيث كنت مضطرًّا إلى انتظار صعود القمر؛ مما أتاح لي فرصة التأمل في مدى حكمة هذه الملاحقة. ربما استحضرت في ذهني أخطارًا مستحيلة، مثلما تفعل ربة منزل عصبية

عجوز، ثم أعود وأقول لنفسي سوف أضحك من قلقي كثيرًا عندما ألحق بباول. على أنني لست سريع التأثر، واتباعي للشعور بالواجب – بغض النظر عما قد يؤدي إليه – كان دومًا نوعًا من الطيف الذي يلازمني طوال حياتي؛ وربما هو سبب التكريم الذي منحته لي ثلاث جمهوريات، فضلًا عن الأوسمة والصداقات مع إمبراطور عجوز وقوي والعديد من الملوك الأدنى مرتبة، الذين خدمهم سيفي في أحيان كثيرة.

أشرق القمر، في حوالي الساعة التاسعة، بما يكفي كي أمضي قدمًا في طريقي. لم أجد أي صعوبة في اتباع الدرب بخطوات سريعة، وفي بعض الأماكن بهرولة منعشة، حتى وصلت في حوالي منتصف الليل إلى منخفض يتجمع فيه الماء حيث كان من المتوقع أن يُعسكر باول بجواره. وصلت إلى هذه البقعة بشكل غير متوقع، ووجدتها مهجورة تمامًا، دون أي علامات على إقامة معسكر فيها مؤخرًا.

لفت نظري أن مسارات الفرسان، الذين أصبحت مقتنعًا بمتابعتهم لباول، استمرت وراءه بعد مجرد توقف قصير عند منخفض الماء؛ ودائمًا بنفس معدل سرعته.

تأكدت الآن أن هؤلاء المتابعين لمساره كانوا من الأباتشي، وأنهم يرغبون في الإمساك به حيًّا لإشباع متعتهم الوحشية في التعذيب. ولذا قمت بحث حصاني على المضي بخطوات محفوفة بالخطر، على أمل اللحاق بالأوغاد الحُمر قبل أن يهاجموه.

وفجأة توقفت عن مزيد من التكهنات بعد سماعي صوتًا ضعيفًا لطلقتين من على بُعد. أدركت أن باول يحتاجني الآن أكثر من أي وقت،

فانطلقت بحصاني على الفور بأقصى سرعة صعودًا في مسار جبلي ضيق ووعر.

واصلت طريقي ربما لمسافة ميل أو أكثر دون سماع أصوات أخرى، وفجأة وجدتني أخرج من الممر الضيق إلى هضبة صغيرة مفتوحة بالقرب من قمة الطريق. عبرتُ ممرًا مُعلقًا ضيقًا قبل دخولي مباشرة وفجأة إلى أرض هذا السهل الواسع، وأصابني المشهد الذي رأته عيناي بالذعر والفزع.

كان الامتداد القليل للأرض المستوية أبيض اللون وعليه خيام هندية، وهناك ربما نصف ألف محارب أحمر يتجمعون حول شيء ما بالقرب من وسط المخيم. لم يلحظني أحد لأن اهتمامهم كان منصبًّا تمامًا على ذلك الشيء. كان يمكنني بسهولة أن أعود أدراجي في تجاويف ظلام الممر الضيق وألوذ بفرار آمن تمامًا. على أن هذا التفكير لم يطرأ على ذهني في الحقيقة، إلى أن أزال اليوم التالي أي حق ممكن لادعاء البطولة وإلا ربما لم يكن يحق لي سرد هذه القصة.

لا أعتقد أنني مصنوع من المادة التي يتشكل منها الأبطال؛ ففي مئات الحالات جميعها التي وضعتني فيها تصرفاتي الطوعية وجهًا لوجه مع الموت، لا أستطيع أن أتذكر حالة واحدة تمكنت خلالها من اتخاذ أي خطوة بديلة إلا بعد عدة ساعات. يبدو أن تكوين عقلي يجبرني لاشعوريًّا على اتخاذ المسار الواجب دون اللجوء إلى العمليات العقلية المملة. ربما كان الأمر على هذا النحو، لكنني لم أندم أبدًا أن الجُبن ليس اختيارًا بالنسبة لي.

كنت في هذا الوضع على يقين أن باول هو مركز اهتمامهم بطبيعة الحال. لا أعرف هل فكرت أولًا أم تصرفت مباشرة، لكنني منذ لحظة رؤيتي للمشهد أخرجت مسدساتي وانطلقت منقضًّا على جيش كامل من المحاربين، وأنا أطلق النار بسرعة وأصيح بأعلى صوت. ونظرًا لأنني بمفردي، لم يكن بإمكاني اتباع تكتيكات أفضل. بيد أن هول المفاجأة جعل الرجال الحُمر يتصورون أن ما لا يقل عن كتيبة من الجيش النظامي تهاجمهم، فتراجعوا فارين في كل اتجاه خشية الإصابة بأقواس وسهام وبنادق الكتيبة.

أصابني المشهد الذي كشف عنه فرارهم السريع بالتخوف والغضب. كان باول يرقد تحت أشعة قمر أريزونا الصافية، وجسده مُعذب بأسهم الهنود الحُمر المعادية. كنت مقتنعًا أنه مات بالفعل، لكن سرعتي لإنقاذ جسده من التشويه على أيدي الأباتشي كانت تماثل سرعتي لإنقاذه من الموت.

اقتربت منه وأنا فوق حصاني، وتمكنت من الوصول إلى السرج والإمساك بحزام خرطوشه ورفعته أعلى حصاني. أقنعتني نظرة إلى الخلف بأن العودة من الطريق الذي أتيت منه ستكون أكثر خطورة من الاستمرار عبر الهضبة، ولذلك ضغطت على حصاني البائس بالمهماز وانطلقت متجهًا إلى الطريق الذي أمكنني تمييزه على الجانب البعيد من أرض سهل الهضبة.

اكتشف الهنود في ذلك الوقت أنني كنت بمفردي، فتابعوني باللعنات والسهام ورصاص البنادق. كانت صعوبة استهدافهم أي شيء،

إلا اللعنات، تحت ضوء القمر وغضبهم من ظهوري المفاجئ غير المتوقع، فضلًا عن أنني كنت هدفًا سريع التحرك، قد أنقذني من مختلف قذائف العدو المميتة وأتاح لي الوصول إلى ظلال القمم المحيطة قبل أن يتمكنوا من إعداد مطاردة منظمة.

كان حصاني يسير عمليًّا دون توجيه، فمعرفتي بالموقع الدقيق للمسار المؤدي إلى الطريق ربما أقل من معرفته، ومن ثم حدث أنه دخل إلى ممر ضيق قادنا إلى قمة الجبل وليس إلى الطريق الذي كنت آمل أن يأخذني إلى الوادي والأمان. بيد أنني ربما أدين بحياتي لهذه الحقيقة، وبالخبرات والمغامرات الرائعة التي عشتها خلال السنوات العشر التالية.

عرفت بداية أنني أمضي في مسار خاطئ عندما تزايد على يساري فجأة خفوت صيحات المتوحشين الذين يطاردونني.

أدركت أنهم ذهبوا إلى يسار تشكيلات من الصخور الخشنة على حافة الهضبة، أي إلى يمين الاتجاه الذي اتخذه حصاني لي ولجثمان باول.

وجهت لجام الحصان نحو بقعة مرتفعة مستوية قليلًا تطل على مسار أدناها يقع على يساري، فرأيت مجموعة المتوحشين التي تطاردني تختفي وراء ذروة مجاورة.

كنت أعرف أن الهنود سرعان ما سيكتشفون أنهم ساروا على درب خاطئ وسيجدون البحث عني في الاتجاه الصحيح بمجرد أن يحددوا مساراتي.

تحركت مسافة قصيرة ثم رأيت ما بدا دربًا ممتازًا ينفتح على بداية منحدر عال. كان الدرب مستويًا ومتسعًا إلى حد كبير وقادني إلى أعلى، نحو الاتجاه العام الذي كنت أرغب في الوصول إليه. ارتفع المنحدر على يميني لعدة مئات من الأقدام، ورأيت على يساري هاوية على قدم المساواة وتهبط عموديًّا تقريبًا إلى وادٍ صخري.

تابعت هذا الدرب ربما لمائة متر، ثم أخذني منعطف حاد على اليمين إلى مدخل كهف كبير، بلغ ارتفاع فتحته حوالي أربعة أقدام، واتساعه من ثلاثة إلى أربعة أقدام. وانتهى الدرب عند هذه الفتحة.

حل الصباح الآن. ولأن غياب الفجر هو سمة مذهلة معتادة في أريزونا، فقد ظهر ضوء النهار دون سابق إنذار تقريبًا.

ترجلت ووضعت باول على الأرض. لكن فحصي الدقيق لجثمانه فشل في الكشف عن أضعف شرارة حياة. حاولت إدخال المياه من قربة الماء بين شفتيه الميتتين، وغسلت وجهه، وفركت يديه، واستمرت محاولاتي لما يقرب من ساعة في مواجهة حقيقة أعرفها وهي أنه ميت.

كنت شديد الارتباط بباول؛ كان رجلًا دقيقًا في جميع الجوانب، رجلًا جنوبيًّا مهذبًا، صديقًا مخلصًا وحقيقيًّا. ومع شعوري بالحزن العميق، استسلمت أخيرًا وتوقفت عن محاولاتي المتواضعة لإنعاشه.

تركت جسد باول حيث يرقد على الحافة، وتسللت إلى الكهف لاستطلاعه. وجدت غرفة كبيرة، ربما يصل قطرها إلى مائة قدم وارتفاعها إلى ثلاثين أو أربعين قدم؛ وأرضيتها ملساء وبالية، فضلًا عن العديد من الأدلة الأخرى التي توضح أن الكهف كان مأهولًا بالسكان في

فترة ما مضت منذ زمن بعيد. اختفى الجزء الخلفي من الكهف تمامًا في الظل الكثيف، بحيث لم أستطع تمييز ما إذا كانت هناك فتحات تُفضي إلى غرف أخرى أم لا.

وخلال مواصلتي للاستطلاع، بدأت أشعر بنعاس لطيف ينتابني، عزوته إلى الإرهاق من رحلتي الطويلة والمضنية، واستجابتي لانفعالات القتال والمطاردة. شعرت بالأمان نسبيًّا في موقعي الحالي، إذ كنت أعرف أن رجلًا واحدًا يمكنه الدفاع عن الدرب المؤدي إلى الكهف ضد جيش كامل.

سرعان ما غلبني النعاس حتى أنني بالكاد ما استطعت مقاومة الرغبة القوية في إلقاء نفسي على أرضية الكهف للحصول على عدة دقائق من الراحة. لكنني كنت أعرف أنني لن أفعل، إذ يعني ذلك الموت المحقق على أيدي أصدقائي الحُمر، الذين قد يصلون في أي لحظة. بذلت جهدًا للتحرك نحو فتحة الكهف، لكنني ترنحت وصولًا إلى جدار جانبي، وهناك انزلقت خائر القوى مستلقيًا على الأرض.

(٢)

الميت يهرب

تغلب علي شعور لذيذ بالكسل، واسترخت عضلاتي، وكنت على وشك تلبية رغبتي في النوم عندما سمعت صوت خيول تقترب. حاولت النهوض على قدماي لكنني فزعت من اكتشافي أن عضلاتي رفضت الاستجابة. أنا الآن مستيقظ تمامًا، لكنني غير قادر على تحريك عضلاتي، كأنها تحولت إلى حجر. وعندئذ لاحظت، للمرة الأولى، وجود بخار طفيف يملأ الكهف. كان ضعيفًا جدًّا وغير ملحوظ إلا في مواجهة الفتحة التي تقود إلى ضوء النهار. وصلت إلى أنفي أيضًا رائحة نفاذة ضعيفة. لا يمكنني سوى الافتراض أن غازًا سامًّا هو ما تغلب علي. لكنني لم أفهم لماذا أحتفظ بقدراتي العقلية، ومع ذلك لا أقدر على الحركة.

استلقيت في مواجهة فتحة الكهف، حيث يمكنني رؤية امتداد الدرب القصير الذي يقع بين الكهف ودوران المنحدر الذي يقود إليه الدرب. توقف ضجيج الخيول المقتربة، فتصورت أن الهنود يزحفون خلسة على طول الحافة الصغيرة التي تقود إلى مقبرتي الحية. أتذكر أنني

تمنيت أن ينتهوا مني سريعًا؛ إذ لم أكن مستريحًا بوجه خاص بالتفكير في الأشياء التي لا تُعد ولا تُحصى التي يمكن أن يفعلوها بي إذا دفعتهم الأرواح على القيام بها.

لم أنتظر طويلًا قبل أن يصلني صوت خفي ينذر باقترابهم. ثم أطل وجه بحذر من جانب المنحدر، وجه ملطخ بالطلاء ويرتدي قلنسوة الحرب، ونظرت عينان وحشيتان إلى عيناي. كنت على يقين أن بإمكانه رؤيتي في ضوء الكهف الخافت، فأشعة شمس الصباح الباكر كانت تهبط علي بالكامل من خلال الفتحة.

لكن الزميل لم يقترب، بل مجرد وقف يحدق؛ عيناه منتفختان وفكه متدلٍّ. ثم ظهر وجه همجي آخر، ثم وجه ثالث ورابع وخامس، يمدون أعناقهم فوق أكتاف زملائهم الذين لم يتمكنوا من المرور عبر الحافة الضيقة. كان كل وجه عبارة عن صورة للرعب والخوف لسبب ما لم أعرفه، ولم أدركه إلا بعد عشر سنوات. أدركت من الهمسات التي مررها القادة إلى من يقفون خلفهم أن هناك محاربين هنود آخرين خلف أولئك الذين ينظرون نحوي.

وفجأة صدر خلفي، من تجاويف الكهف، صوت أنين منخفض وإن كان متميزًا، وعندما وصل إلى آذان الهنود، استداروا فارين وهم في حالة رعب وذعر. بذلوا جهودًا محمومة للهروب من الشيء غير المرئي خلفي، حتى أن أحدهم وقع بتهور من المنحدر وسقط على الصخور أدناه. تردد صدى صرخاتهم المسعورة في الوادي لفترة قصيرة، ثم عاد السكون مرة أخرى.

لم يتكرر الصوت الذي أخافهم، لكنه كان كافيًا؛ إذ جعلني أبدأ التفكير في احتمالات الرعب المختفي في الظلال وراء ظهري. ولأن الخوف مصطلح نسبي، فلا يمكنني قياس مشاعري حينذاك إلا بخبراتي السابقة في المواقف المحفوفة بالمخاطر والمواقف التي مررت بها مؤخرًا؛ لكنني أستطيع القول دون خجل إن الشعور الذي عانيته خلال الدقائق القليلة التي تلت كان شعورًا بالخوف؛ فليساعد الله الجبناء، فالجُبن في حد ذاته هو العقوبة.

تصورت، كرجل اعتاد القتال حفاظًا على حياته بكل طاقة لياقته البدنية القوية، أن كلمة النهاية في هذا المأزق المخيف هي إصابتي بالشلل ووراء ظهري خطر فظيع ومجهول قادم من الصوت نفسه الذي جعل محاربي الأباتشي الأشداء يتدافعون بقوة فارين بجنون كقطيع من الأغنام يفر من مجموعة ذئاب.

أعتقد أنني سمعت لعدة مرات أصواتًا خافتة تصدر من خلفي كأنما لشخص يتحرك بحذر، لكنها توقفت في النهاية وتركتني أتأمل وضعي دون أن تقاطعني. لم يكن بإمكاني سوى التخمين بشكل تقريبي عن سبب إصابتي بالشلل، وكان أملي الوحيد يكمن في أنه قد ينتهي فجأة مثلما أصابني فجأة.

وقف حصاني بلجامه الطويل أمام الكهف، وبدأ في وقت متأخر من بعد الظهيرة يتحرك ببطء إلى أسفل الدرب، ومن الواضح أنه كان يبحث عن الغذاء والماء. بقيت وحيدًا مع رفيقي المجهول الغامض، وجثمان صديقي الذي يرقد في نطاق مجال بصري فوق الحافة حيث وضعته في

الصباح الباكر.

منذ ذلك الحين وحتى ربما منتصف الليل كان الصمت يلف المكان، صمت الموتى؛ ثم فجأة نفذ الأنين المخيف الذي سمعته في الصباح إلى أذناي، وصدر من الظلال السوداء مرة أخرى صوت شيء يتحرك، وحفيف ضعيف كحفيف أوراق الشجر الميتة. كانت الصدمة رهيبة إلى أقصى حد لجهازي العصبي شديد الإنهاك، فسعيت بجهد خارق إلى تحطيم قيودي الفظيعة. كان جهدًا للعقل والإرادة والأعصاب وليس للعضلات، إذ لم أتمكن حتى من تحريك إصبعي الصغير، على الرغم من قوتي. ثم انتابني شعور لحظي بالغثيان، ونقر شيء بحدة تماثل نقر أسلاك الفولاذ، فوقفت وظهري إلى جدار الكهف أواجه عدوي المجهول.

أغرق ضوء القمر الكهف. أرى أمامي جسدي يرقد كما كان طوال تلك الساعات، العينان تحدقان نحو الحافة المفتوحة، واليدان مستريحتان بشكل هزيل على الأرض. نظرت بداية إلى هيئتي الهامدة بلا حياة على أرضية الكهف، ثم إلى أسفل نحو نفسي وأنا في حيرة مطلقة؛ فقد كنت أرقد مرتديًا ملابسي، لكنني أقف هنا عاريًا تمامًا كما في لحظة مولدي.

كان الانتقال مفاجئًا وعلى غير توقع، إلى حد أنني نسيت للحظة أي شيء آخر غير هذا التحول الغريب. وأول ما طرأ على ذهني أن هذا هو الموت إذن! هل انتقلت بالفعل وإلى الأبد إلى تلك الحياة الأخرى! لكني لم أصدق ذلك، إذ أشعر بضربات قلبي بين ضلوعي نتيجة الجهد الذي بذلته لتحرير نفسي من المخدر الذي قيدني. كانت أنفاسي تخرج قصيرة متسارعة، ويتصبب العرق البارد من كل مسام جسدي، وكشفت

تلك المحاولة القديمة لقرص نفسي عن حقيقة أنني أي شيء غير أن أكون شبحًا.

وفجأة تذكرت مرة أخرى الوسط المحيط بي، حيث تكرر الأنين الغريب صادرًا من أعماق الكهف. كنت عاريًا وبلا سلاح، ولم تكن لدي أي رغبة في مواجهة الشيء غير المرئي الذي يتهددني.

كانت مسدساتي مربوطة بجسدي الراقد بلا حياة، ولسبب ما يتعذر فهمه لم أكن قادرًا على التحرك للمسها. وكانت بندقيتي القصيرة في جرابها مربوطة بالسرج، ولأن حصاني تركني ليتجول، فقد أصبحت دون وسيلة للدفاع. البديل الوحيد أمامي هو الهروب، وتبلور قراري نتيجة لتكرار صوت الحفيف من الشيء الذي تصورت الآن – في ظلام الكهف ومخيلتي مشوهة – أنه يزحف خلسة فوقي.

لم أعد قادرًا على مقاومة إغراء الفرار من هذا المكان الرهيب، فقفزت بسرعة عبر الفتحة إلى ضوء النجوم في ليلة صافية من ليالي أريزونا. كان هواء الجبال النضر النقي خارج الكهف بمثابة مُنشط فوري، وشعرت بحياة جديدة وشجاعة جديدة تسري خلالي. توقفت عند شفا الحافة، ووبخت نفسي لما ظهر الآن كمخاوف لا مبرر لها إطلاقًا. فكرت أنني رقدت عاجزًا لعدة ساعات داخل الكهف، ومع ذلك لم يتحرش بي أي شيء. وأقنعني اتجاه تفكيري، عندما أصبح أكثر صفاء ومنطقية، أن الأصوات التي سمعتها نتجت عن أسباب طبيعية بحتة وغير ضارة؛ فربما أتاح تكوين الكهف وجود نسيم طفيف تسبب في تلك الأصوات.

قررت بحث الأمر، لكني رفعت رأسي أولًا لأملأ رئتي بهواء الجبال

الليلي النقي المنعش. وعندئذ رأيت مشهدًا جميلًا من الممرات الصخرية يمتد بعيدًا تحتي، وسهلًا مستويًا من الصبار المرصع، أحاله ضوء القمر إلى معجزة من الروعة الناعمة والسحر العجيب.

إن العجائب الغربية القليلة أكثر إلهامًا من جمال المشهد الطبيعي الذي يضيئه القمر في الأريزونا؛ الجبال فضية اللون على بُعد، والأضواء والظلال الغريبة التي تسقط على إحدى الهضاب وأحد الروافد النهرية الصخرية، والتفاصيل المتنافرة لنبات الصبار الصارم وإن كان جميلًا – كل ذلك يُشكل صورة ساحرة وملهمة على الفور، كما لو أن المرء يلمح للمرة الأولى بعضًا من عالم ميت ومنسي، تختلف تمامًا عن جوانب أي بقعة أخرى على الأرض.

وقفت متأملًا، وحولت بصري من المناظر الطبيعية إلى السماء حيث تُشكل آلاف النجوم قبة ملائمة وفائقة الجمال لعجائب المشهد الأرضي. وسرعان ما لفت انتباهي نجمة حمراء كبيرة قريبة من الأفق البعيد. وعندما حدقت فيها، شعرت بموجة طاغية من فتنة السحر – إنه المريخ، إله الحرب، وهو بالنسبة لي رجل مقاتل، يمتلك دومًا قوة السحر الذي لا يقاوَم. وعندما نظرت إليه محدقًا في تلك الليلة البعيدة، كان يبدو أنه يناديني عبر الفراغ غير المُتصور، ويُغريني بالذهاب إليه، بل يجذبني كما يجذب حجر المغناطيس جُزيئًا من الحديد.

كان شوقي يتجاوز قوة المعارضة. أغلقت عيناي، ومددت ذراعاي تجاه إله مهنتي، وشعرت بنفسي منجذبًا بتلك الفكرة المفاجئة عبر اتساع الفضاء غير المطروق. مرت لحظة من البرد الشديد والظلام الدامس.

(٣)

وصولي إلى المريخ

فتحت عيناي على منظر طبيعي غريب وعجيب. كنت أعرف أنني على كوكب المريخ؛ تشككت أكثر من مرة، إما في صحتي العقلية أو في الأرق الذي أعاني منه. لست في حاجة لقرص نفسي هنا، فلم أكن نائمًا؛ دلني وعيي الداخلي بوضوح أنني على سطح المريخ، بمثل ما يدلك عقلك الواعي أنك على كوكب الأرض. فأنت لا تتشكك في هذه الحقيقة، وأنا أيضًا لم أتشكك أنني على المريخ.

لقد وجدت نفسي مستلقيًا خائر القوى على سرير من النباتات الصفراء التي تشبه الطحالب، امتدت من حولي في جميع الاتجاهات لأميال بلا نهاية. يبدو أنني كنت مستلقيًا في حوض عميق مستدير، على طول الحافة الخارجية التي كان يمكنني منها تمييز التباين بين التلال المنخفضة.

الوقت الآن منتصف النهار، والشمس مشرقة بالكامل فوقي وحرارتها شديدة نوعًا ما على جسدي العاري، على أنها ليست أشد حرارة مما قد تكون عليه في ظروف مماثلة في صحراء الأريزونا. تناثرت

هنا وهناك نتوءات طفيفة من الصخور المُحملة بالكوارتز تلمع في ضوء الشمس؛ وبالقرب من يساري، ربما على بعد مائة ياردة، ظهرت حظيرة ذات سياج منخفض يبلغ ارتفاعه حوالي أربعة أقدام. لا يوجد ماء ولا أي نباتات غير الطحالب. ولشعوري بالعطش إلى حد ما، قررت القيام ببعض الاستكشاف.

تلقيت أول مفاجأة مريخية عندما وقفت على قدماي؛ فالجهد الذي أبذله على كوكب الأرض لأقف منتصبًا، حملني في هواء المريخ إلى ارتفاع ثلاثة ياردات تقريبًا. على أنني نزلت بهدوء على الأرض دون اصطدام أو تصادم ملحوظ. والآن بدأت سلسلة من التطورات التي بدت، حتى حينذاك، مثيرة للسخرية إلى أقصى حد. أدركت أنني يجب أن أتعلم المشي من جديد؛ فالجهد العضلي الذي أبذله للسير بسهولة وأمان على كوكب الأرض، كان يُسفر عن سلوك غريب على المريخ.

فبدلًا من التقدم بطريقة عاقلة وكريمة، أسفرت محاولاتي للسير عن مجموعة متنوعة من القفزات التي ترفعني بوضوح من على الأرض بضعة أقدام في كل خطوة وتهبط بي منبطحًا على وجهي أو ظهري في نهاية كل ثاني أو ثالث قفزة. أما عضلاتي التي كانت منسجمة ومعتادة تمامًا على قوة الجاذبية على كوكب الأرض، فقد سببت لي الأذى عندما حاولت للمرة الأولى التأقلم مع الجاذبية الأقل والضغط الجوي المنخفض على سطح المريخ.

ومع ذلك، عقدت العزم على استكشاف تلك البنية المنخفضة التي تُعد الدليل الوحيد على وجود أماكن مأهولة على مرأى البصر، وبالتالي

توصلت إلى خطة فريدة تتمثل في العودة إلى المبادئ الأولى في الحركة، أي الزحف. قمت بذلك بشكل جيد إلى حد ما، ووصلت خلال دقائق قليلة إلى السور المنخفض الذي يُطوق الحظيرة.

لا توجد أبواب أو نوافذ على الجانب الأقرب لي. على أن ارتفاع الجدار بلغ حوالي أربعة أقدام فقط، فتمكنت من الاقتراب بحذر ونظرت عبر الجزء العلوي لأرى أغرب مشهد أُتيح لي على الإطلاق أن أراه.

كان سقف الحظيرة من الزجاج الصلب الذي يصل سُمكه إلى حوالي أربع أو خمس بوصات، ويوجد أسفله عدة مئات من البيض الكبير المستدير تمامًا ولونه أبيض كالثلج. كان حجم البيض موحدًا تقريبًا، ويبلغ قطر البيضة حوالي قدمين ونصف.

لقد فقست بالفعل خمس أو ست بيضات، والكائنات الكاريكاتورية الغريبة التي جلست لامعة في ضوء الشمس كانت كافية لتجعلني أتشكك في صحتي العقلية. فالجزء الأكبر منها يبدو رأسًا، مع جسد هزيل قليلًا ورقبة طويلة وستة سيقان – أو كما علمت فيما بعد، ساقان وذراعان، مع زوج وسيط من الأطراف التي يمكن استخدامها حسب الرغبة كذراعين أو ساقين. عيونهم صغيرة وتقع كل عين على أحد أقصى جانبي الرأس فوق المركز، وبرزتا على نحو يتيح توجيههما إلى الأمام أو إلى الوراء، كما كانتا أيضًا مستقلتين عن بعضهما، مما يسمح لهذا الحيوان الغريب النظر في أي اتجاه، أو في اتجاهين في الوقت نفسه، دون الحاجة إلى تحريك رأسه.

أما الأذنان، تقع كل منهما أعلى العين قليلًا وأقرب لبعضهما. وكانتا

بمثابة هوائيات صغيرة، على شكل كأس، ولم يزد بروزهما أكثر من شبر واحد على هذه العينة الشابة من الكائنات. وكانت أنوفهم مجرد شقوق طولية في وسط وجوههم، في منتصف المسافة بين الأفواه والآذان.

خلت أجسادهم، ذات اللون الأخضر المِصفر قليلًا، من الشعر. على أن هذا اللون لدى البالغين منهم، كما سأعرف قريبًا، يزداد عمقًا إلى الأخضر الزيتوني وهو أكثر قتامة لدى الذكور عنه لدى الإناث. علاوة على ذلك، تتناسب رؤوس البالغين منهم مع أجسادهم ولا تتنافر كما في حالة الصغار.

أما لون قزحية العين فهو الأحمر الدموي، كما لدى المصابين بداء البَرَص، بينما بؤبؤ العين داكن اللون. مقلة العين نفسها شديدة البياض، وأيضًا الأسنان؛ وهما يضيفان مظهرًا أكثر شراسة لملامح تبدو، على خلاف ذلك، مخيفة ورهيبة، حيث الأنياب السُفلى تنحني لأعلى مُشكلة نقاطًا حادة تنتهي تقريبًا حيث توجد عيون البشر على كوكب الأرض. بياض الأسنان ليس مثل بياض العاج، وإنما يماثل البياض الثلجي اللامع مثل الخزف الصيني. وعلى خلفية اللون الزيتوني الداكن لجلودهم، تبرز أنيابهم بطريقة لافتة للنظر، حيث تقدم هذه الأسلحة مظهرًا هائلًا متفردًا.

لاحظت معظم هذه التفاصيل في وقت لاحق، إذ لم يكن لدي سوى وقت قليل للتفكير في عجائب اكتشافي الجديد. رأيت البيض وهو يفقس، ونظرًا لأنني وقفت أشاهد الوحوش الصغيرة البشعة وهي تكسر قشر البيض، فقد أخفقت في ملاحظة اقتراب مجموعة من المريخيين البالغين الذين أتوا من خلفي.

جاءوا على الطحلب اللين الصامت، الذي يغطي عمليًّا كامل سطح المريخ باستثناء المساحات المتجمدة عند القطبين والمناطق المزروعة المتناثرة. كان يمكنهم إمساكي بسهولة، لكن نواياهم كانت أكثر شرًّا بكثير. لقد كان الصخب الذي أحدثته مُعدات المحارب الأول هو ما حذرني.

تعلقت حياتي على شيء صغير، بحيث كثيرًا ما كنت أتعجب من فراري بسهولة. فإن لم تتأرجح بندقية قائد المجموعة في أربطتها بجوار سرجه، على نحو جعلها تضرب مؤخرة رمحه المعدني الكبير، لكنت انتهيت دون أن أعرف حتى أن الموت كان قريبًا مني. لكن هذا الصوت البسيط جعلني ألتفت، ووجدت فوقي – على بُعد أقل من عشرة أقدام من صدري – الرأس المدبب لذلك الرمح الضخم؛ رمح بلغ طوله أربعين قدمًا، مُشذب بمعدن لامع، ومحمول على نحو منخفض على أحد جوانب كائن عبارة عن نسخة طبق الأصل من الشياطين الصغيرة التي شاهدتها.

لكن مظهرهم الآن يبدو ضئيلًا وغير مؤذ بجوار هذا التجسد الهائل والمرعب للكراهية والانتقام والموت. بلغ طول الرجل نفسه – وسأدعوه رجلًا – خمس عشرة قدمًا، وكان وزنه ليصبح حوالي أربعمائة باوند على كوكب الأرض. كان يجلس على ركوبته كما نجلس نحن فوق حصان، ويمسك جذع الحيوان بأطرافه السفلى، بينما تمسك يدا ذراعاه اليمنى الرمح الهائل منخفضًا على جانب ركوبته؛ أما ذراعاه اليسرى فقد امتدت أفقيًّا للمساعدة في الحفاظ على توازنه،؛ والشيء الذي كان يركبه، لم

يكن به لجام أو زمام أو أي شيء للتوجيه.

أما ركوبته! كيف يمكن لكلمات كوكب الأرض أن تصفها! فقد بلغ ارتفاعها عشرة أقدام عند الكتف؛ ولديها أربعة أرجل على كل جانب؛ وذيلها عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفها عندما تجري؛ وفمها مفتوح يقسم رأسها من أنفها إلى عنقها الطويل الضخم.

ومثلها مثل سيدها، كانت خالية تمامًا من الشعر، لكن لونها الداكن كان الرمادي الذي تشوبه الزُرقة وشديد السلاسة واللمعان. كان بطنها أبيض، وتدرج لون سيقانها بظلال من لون كتفيها فالوركين وصولًا إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامها. والأقدام نفسها شديدة الامتلاء وبلا أظافر، مما أسهم أيضًا في اقترابها بلا ضوضاء؛ وهو الأمر الذي يشكل -إضافة إلى تعدد سيقانها- سمة مميزة لحيوانات المريخ. إن أعلى نوع من البشر وحيوان واحد آخر - نوع الثدييات الوحيدة الموجودة على المريخ - هما فقط من لديهما أظافر جيدة التشكيل، ولا توجد إطلاقًا حيوانات ذات حوافر.

ظهر وراء هذا الشيطان المهاجم ١٩ مهاجمًا آخر متشابهين من جميع الجوانب؛ لكن كلًا منهم - كما عرفت لاحقًا - يتسم بخصائص فردية تميزه؛ تمامًا مثلنا، حيث لا يتطابق أي اثنين منّا على الرغم من أننا خرجنا جميعًا من قالب متماثل. إن هذه الصورة التي وصفتها بالتفصيل، أو بالأحرى الكابوس المتحقق، تركت عندي انطباعًا واحدًا سريعًا ورهيبًا عندما استدرت لمواجهتها.

كنت عاريًا وبلا سلاح، وتبين أن أول قانون للطبيعة هو الحل الوحيد الممكن لمشكلتي العاجلة، أي الخروج من المنطقة المجاورة لسِن الرمح المُهاجِم. وبناء على ذلك، قمت بقفزة على نمط قفزات كوكب الأرض، وفي الوقت نفسة قفزة جبارة، للوصول إلى الجزء العلوي من الحاضنة المريخية، إذ قررت أنها بالضرورة حاضنة.

تُوِج جهدي بنجاح أفزعني بقدر لا يقل عن مدى مفاجأته للمحاربين المريخيين، إذ رفعتني القفزة ثلاثين قدمًا بالكامل في الهواء، وهبطت بي على بُعد مائة قدم ممن يطاردونني، وعلى الجانب الآخر من الحظيرة.

هبطت بسهولة دون حوادث مزعجة على أرض مغطاة بالطحالب اللينة، وعندما استدرت رأيت أعدائي يصطفون على طول الجدار المواجِه. كان بعضهم يتفحصني بتعبيرات يشوبها الاستغراب الشديد، كما اكتشفت بعد ذلك، وكانت لدى البعض الآخر نظرات رِضا واضحة لأنني لم أتعرض بالأذى لصغارهم.

كانوا يتحدثون معًا بنبرات منخفضة، وهم يلوحون ويشيرون نحوي. من المؤكد أن اكتشافهم أنني لم ألحق الأذى بالمريخيين الصغار وأنني لم أكن مسلحًا، قد جعلهم ينظرون لي نظرة أقل وحشية؛ لكن الشيء الذي كان له أكبر الأثر لصالحي - كما علمت في وقت لاحق - كان عرض القفزة التي قمت بها.

يتسم المريخيون بالضخامة، عظامهم كبيرة جدًّا، وتتناسب عضلاتهم فحسب والجاذبية التي يجب أن يتغلبوا عليها. والنتيجة أنهم أقل رشاقة وأقل قوة بما لا يُقاس، على نحو يتناسب مع ثقلهم، من البشر

على كوكب الأرض. فإذا انتقل أي منهم فجأة إلى كوكب الأرض، أشك أنه يستطيع أن يرفع وزنه من على الأرض؛ وفي الواقع، أنا مقتنع بأنه لن يتمكن من القيام بذلك.

ومن ثم كانت قدماي على المريخ بنفس روعتهما على كوكب الأرض، ولذا بعد أن كان المريخيون يرغبون في إبادتي، بدأوا فجأة يعتبرونني اكتشافًا رائعًا يجب الإمساك به وعرضه على زملائهم.

المهلة التي أتاحتها خفة حركتي غير المتوقعة سمحت لي بوضع خطط للمستقبل القريب، وأن ألاحظ عن كثب مظهر المحاربين؛ ذلك أن ذهني لم يكن قادرًا على إلغاء اقتران هؤلاء الناس بأولئك المحاربين الآخرين الذين كانوا يطاردونني في اليوم السابق مباشرة.

فقد لاحظت أن كلًا منهم كان مدججًا بالعديد من الأسلحة الأخرى، بالإضافة إلى الرمح الضخم الذي وصفته. أما الأسلحة التي تسببت في قراري بعدم محاولة الفرار، فهي ما كان واضحًا أنه بندقية ذات أوصاف معينة، وشعرت لسبب ما أنهم أكفاء على نحو مميز في استخدامها.

كانت هذه البنادق مصنوعة من معدن أبيض مملوء بخشب، علمت لاحقًا أنه خشب خفيف للغاية وينمو بصعوبة شديدة وقيمته كبيرة على المريخ، وهو غير معروف على الإطلاق لنا نحن سكان كوكب الأرض. وكان معدن ماسورة البندقية عبارة عن سبيكة تتكون أساسًا من الألومنيوم والفولاذ الذي تعلموا تخفيف صلابته إلى درجة تتجاوز بكثير صلابة الفولاذ المألوف لدينا. أما وزن هذه البنادق فخفيف نسبيًّا، والعيارات والمتفجرات ومقذوفات الراديوم التي يستخدمونها صغيرة، وماسورة

البندقية طويلة جدًّا، وهي بنادق قاتلة إلى أقصى حد، وعلى نطاقات لا يمكن تصورها على كوكب الأرض. يبلغ طول نصف قطرها الفعال نظريًّا ٣٠٠ ميل، لكن أفضل ما يمكنها عمله خلال الخدمة الفعلية – عند تزويدها بأجهزة الاستكشاف والاستهداف اللاسلكية – يزيد قليلًا على ٢٠٠ ميل.

هذا كاف تمامًا ليغمرني احترام كبير للسلاح الناري المريخي، ويبدو أن بعض قوى التخاطر حذرتني من محاولة الفرار في وضح النهار تحت فوهات بنادق عشرين من الآلات الموت هذه.

تحدث المريخيون لفترة قصيرة، ثم استداروا مبتعدين في الاتجاه الذي أتوا منه، تاركين واحدًا منهم بمفرده في الحظيرة. لكنهم توقفوا بعد أن قطعوا ربما ٢٠٠ ياردة، وحولوا ركوباتهم نحونا ثم جلسوا يراقبون المحارب الموجود بالحظيرة.

إنه المحارب الذي كاد رمحه أن يطعنني، ويبدو واضحًا أنه قائد المجموعة، حيث لاحظت أنهم تحركوا إلى موقعهم الحالي بناء على توجيهاته. لقد ترجل عندما توقفت قواته، وألقى رمحه وأسلحته الصغيرة، وتوجه إلى طرف الحاضنة نحوي وهو أعزل وعار تمامًا مثلي، باستثناء بعض الحلي المربوطة على رأسه وأطرافه وثدييه.

وعندما أصبح على مسافة ٥٠ قدمًا تقريبًا مني، فك شريط سوار معدني ضخم وحمله ناحيتي في كف يده المفتوح، وخاطبني بصوت واضح ورنان ولكن بلغة – غني عن القول – أنني لا أفهمها. ثم توقف وكأنما ينتظر ردي، رافعًا أذنيه التي تشبه الهوائيات وموجهًا عينيه ذات النظرات الغريبة نحوي.

ولما أصبح الصمت مؤلمًا، قررت المجازفة بإجراء محادثة صغيرة من جانبي، حيث خمنت أنه يقدم مبادرات سلام. فإلقاؤه لأسلحته وسحب قواته قبل أن يتقدم نحوي يدل في أي مكان بكوكب الأرض على مهمة سلمية، إذن فلم لا على المريخ!

وضعت يدي على قلبي وانحيت أمام المريخي وأوضحت له أنني رغم عدم فهمي للغته، فإن أفعاله تتحدث عن السلام والصداقة وهما في هذه اللحظة أعز شيء إلى قلبي. ربما اعتبرني ثرثارًا يهذي، بطبيعة الحال، لكنه فهم السلوك الذي مارسته بعد كلماتي مباشرة.

تقدمت نحوه وأنا أمد يدي وأخذت السوار من راحة يده، وشبكته حول ذراعي فوق الكوع؛ ثم ابتسمت له ووقفت منتظرًا. جاء رده بابتسامة من فمه الواسع، وأمسك يدي مستخدمًا أحد أذرعه الوسيطة، ثم استدرنا وسرنا إلى الخلف نحو ركوبته. وأشار، في الوقت نفسه، إلى أتباعه للمضي قدمًا. بدأوا يركضون نحونا بشكل جامح، لكنهم تريثوا بإشارة منه. فمن الواضح أنه كان يخشى أن أشعر بالخوف مرة أخرى وأقفز قفزة تخرجني تمامًا من المشهد.

تبادل بعض الكلمات مع رجاله، وأشار لي بأن أركب خلف أحدهم، ثم امتطى ظهر حيوانه. مد الزميل المحدد اثنين أو ثلاثة من يديه إلى أسفل ورفعني وراءه على ظهر دابته اللامع، حيث تشبثت قدر استطاعتي بالأحزمة والشرائط التي كانت تحمل أسلحة المريخي وحُليه.

وعندئذ استدار الموكب بأكمله وتحرك مندفعًا نحو مجموعة التلال التي تقع على بُعد.

(٤)

أصبحت سجينًا

سرنا ربما عشرة أميال، ثم بدأت الأرض في الارتفاع بسرعة. وعرفت لاحقًا أننا كنا نقترب من حافة أحد بحار المريخ التي ماتت منذ زمن طويل، والتقيت في قاع هذا البحر مع المريخيين.

وصلنا بعد فترة قصيرة إلى سفح الجبل، وبعد عبور ممر ضيق دخلنا إلى وادٍ مفتوح تقع في أقصاه أرض منخفضة لمحت فيها مدينة هائلة. ركضنا نحوها، ودخلناها عبر ما بدا طريقًا محطمًا يؤدي إلى الخروج من المدينة، لكنه لم يؤد بنا سوى إلى حافة الأرض المنخفضة، التي انتهت فجأة بعد رحلة من خطوات واسعة.

عندما نظرت عن كثب، رأيت خلال مرورنا أن المباني مهجورة. وبينما لم تكن شديدة التدهور، فقد كان مظهرها ينم عن عدم سكناها لسنوات، ربما لعصور. توجد ساحة كبيرة في اتجاه وسط المدينة. في هذه الساحة وفي المباني المحيطة بها مباشرة، كان يُخيم حوالي ٩٠٠ أو ١٠٠٠ من نفس سلالة المخلوقات التي أسرتني، هكذا أصبحت أنظر إليهم الآن بغض النظر عن الطريقة الرقيقة التي أمسكوني بها.

كانوا جميعًا عراة، باستثناء ارتداء تلك الحُلي. اختلف مظهر النساء قليلًا عن الرجال، إلا أن أنيابهن كانت أكبر كثيرًا بالنسبة لأطوالهن، وكانت مقوسة في بعض الحالات بحيث تصل تقريبًا إلى آذانهن العالية. أما أجسادهن، فكانت أصغر حجمًا وأفتح لونًا؛ وتحمل أصابع أيديهن وأقدامهن أظافر بدائية، لا توجد على الإطلاق لدى الذكور. يتراوح طول الإناث البالغات من ١٠ إلى ١٢ قدمًا.

أما الأطفال، فلونهم فاتح، أفتح حتى من لون النساء؛ وبدوا لي متشابهين تمامًا، في ما عدا أن بعضهم كان أطول، أعتقد لأنهم أكبر سنًّا.

لم ألحظ أي علامات على كبر السن بينهم، كما لا يوجد أي اختلاف ملحوظ في مظهرهم من سن النضج - حوالي الأربعين - حتى الألف سنة من العُمر؛ فهم يذهبون طواعية بطريقتهم الغريبة للحج إلى نهر «إيس»، الذي يقودهم إلى حيث لا يعرف أي مريخي حي إلى أين، ولم يعُد من هذه الرحلة أي مريخي على الإطلاق، أو كان يمكن أن يُسمح له بالعيش إذا عاد بعد مجرد النزول لمرة واحدة في مياهه الباردة والمظلمة.

لا يموت من المريخيين سوى حوالي واحد في الألف بسبب المرض أو اعتلال الصحة، وربما يتوجه حوالي عشرين مريخيًّا إلى الحج الطوعي. ويواجه الـ ٩٧٠ الآخرين الموت العنيف في المبارزات، وفي الصيد، وفي الملاحة الجوية، وفي الحرب. ولكن ربما تحدث أكبر خسائر في الأرواح خلال فترة الطفولة، حيث تقع أعداد هائلة من صغار المريخيين ضحايا لقرود المريخ البيضاء الكبيرة.

يبلغ متوسط العمر المتوقع للمريخي بعد سن النضج حوالي ٣٠٠

سنة، على أنه قد يقترب كثيرًا إلى ١٠٠٠ عام إذا لم يتعرض لأساليب الموت العنيف المختلفة. ونظرًا لتناقص موارد الكوكب، أصبح من الواضح ضرورة التصدي لتزايد طول العمر الذي نتج عن مهاراتهم الرائعة في المداواة والجراحة، ومن هنا أصبحت حياة الإنسان لا تؤخذ كثيرًا في الحسبان على المريخ، كما يتضح من رياضاتهم الخطيرة والحروب المستمرة تقريبًا بين مختلف جماعاتهم.

هناك أسباب طبيعية وغيرها تميل نحو تقليص عدد السكان، ولكن لا يوجد شيء يسهم كثيرًا في تحقيق هذه الغاية، حيث لا يوجد طواعية أي مريخي – سواء ذكر أو أنثى – دون سلاح للدمار.

عندما اقتربنا من الساحة واكتشفوا وجودي، وأحاطت بنا على الفور مئات المخلوقات التي بدت متشوقة لاقتلاعي من مقعدي خلف حارسي. لكن كلمة من قائد المجموعة هدأت ضجتهم، ومضينا مهرولين عبر الساحة إلى مدخل أروع صرح يمكن أن تقع عليه عين بشرية.

كان المبنى منخفضًا، لكنه يغطي مساحة هائلة. وكان مشيدًا من الرخام الأبيض اللامع المُطعم بالذهب والأحجار الرائعة التي تتلألأ وتتألق في ضوء الشمس. يبلغ عرض مدخلة الرئيسي عدة مئات من الأقدام، ويبرز من المبنى بشكل مناسب بحيث يشكل مظلة ضخمة فوق مدخل القاعة. لا توجد سلالم، ولكن هناك ميل طفيف يؤدي إلى الطابق الأول من المبنى وينفتح على غرفة ضخمة تحيط بها أروقة.

امتلأت القاعة بموائد ومقاعد خشبية منحوتة، حيث تجمع حوالي ٤٠ أو ٥٠ مريخيًّا من الذكور حول سلالم منصة. وعلى المنبر، جلس

القرفصاء محارب ضخم مُثقل بالحلي المعدنية، والريش الملون المُبهج، ويكتسي بغطاء جلدي جميل مشغول ومرصع بالأحجار الكريمة. ومن كتفيه تتدلى عباءة قصيرة من الفراء الأبيض المبطن بالحرير القرمزي الرائع.

كان أبرز ما أدهشني في هذا التجمع والقاعة التي يحتشدون فيها هو انعدام التناسب تمامًا بين تلك المخلوقات والموائد والمقاعد والمفروشات الأخرى؛ فحجم هذه المفروشات يتلاءم مع حجم البشر أمثالي، بينما الأحجام الضخمة للمريخيين بالكاد ما يمكن حشرها في المقاعد، كما لا توجد مساحة أسفل الموائد لأرجلهم الطويلة. يبدو واضحًا إذن وجود سكان آخرين على المريخ غير تلك المخلوقات الهمجية البشعة التي وقعتُ في أيديها، لكن أدلة العصور القديمة التي تظهر حولي تشير إلى أن هذه المباني ربما كانت تنتمي إلى عِرق ما منقرض ومنسي منذ فترة طويلة عاش في عصور المريخ القديمة الغامضة.

توقف ركبنا عند مدخل المبنى، وأنزلوني إلى الأرض بإشارة من القائد. ومرة أخرى شبك ذراعه بذراعي ومضينا إلى قاعة الجمهور. لاحظت بعض الشكليات عند الاقتراب من الزعيم المريخي. خطا من أسرني نحو المنصة، بينما كان الآخرون يوسعون له الطريق. وقف الزعيم ونطق اسم مرافقه الذي وقف بدوره، وكرر اسم الحاكم متبوعًا بلقبه.

لم يكن هذا الحفل أو الكلمات التي تفوهوا بها يعني شيئًا بالنسبة لي حينذاك، لكني عرفت لاحقًا أن هذا هو الترحيب المعتاد بين المريخيين

الخُضر. فإذا كان الرجال من الغرباء وبالتالي غير قادرين على تبادل الأسماء، فإنهم يتبادلون الحُلي في صمت إن كانت مهمتهم سلمية – وعلى خلاف ذلك يتبادلون الطلقات أو يقاتلون ببعض أسلحتهم الأخرى المختلفة.

كان اسم القائد الذي أسرني تارس تاركاس، ويبدو أنه كان نائب زعيم الجماعة، ويتمتع بقدرة كبيرة كرجل دولة ومحارب. وقد شرح بوضوح وإيجاز الأحداث المرتبطة برحلته، بما فيها أسري. وعندما انتهى خاطبني الزعيم مطولًا.

أجبت بلغتنا الإنجليزية الجيدة القديمة لإقناعه فقط بأن أيًّا منا لا يستطيع أن يفهم الآخر؛ لكني لاحظت أنني عندما ابتسمت قليلًا في نهاية حديثي، ابتسم بالمثل. وهو ما أقنعني، بالإضافة إلى حدث مماثل أثناء حديثي الأول مع تارس تاركاس، أن لدينا على الأقل شيء مشترك؛ أي القدرة على الابتسام وبالتالي الضحك، مما يدل على روح الدعابة. على أنني عرفت لاحقًا أن ابتسامة المريخي ليست سوى شيء سطحي، وأن ضحكه يجعل الرجل القوى يشحب من الرعب.

تختلف أفكار الفكاهة بين رجال المريخ الخُضر مع مفاهيمنا تمامًا في ما يتعلق بأسباب البهجة. فسكرات الموت التي يعاني منها أي زميل تثير مرحًا صاخبًا بين هذه المخلوقات الغريبة، بينما شكل زعيمهم المضحك يلحق الموت بأسرى الحرب بمختلف الطرق المبتكرة والرهيبة.

فحصني هؤلاء المحاربون والزعماء عن قرب، تحسسوا عضلاتي

وملمس جلدي. ومن الواضح أن الزعيم الرئيسي أبدى رغبة في رؤية أدائي. وبعد أن أشار لي لأتبعه، سار مع تارس تاركاس إلى الساحة المفتوحة.

لم أعد أبذل الآن أي محاولة للسير، منذ فشلت محاولتي الأولى، باستثناء وأنا ممسك بقوة بذراع تارس تاركاس؛ وبالتالي أخذت الآن أتنقل وثبًا وتحليقًا بين الموائد والمقاعد كجرادة ضخمة. وبعد أن أُصبت بكدمات شديدة – وهو ما كان أمرًا كثير التسلية للمريخيين – لجأت مرة أخرى إلى الزحف. لكن ذلك لم يكن مناسبًا لهم، ورفعني زميل فارع الطول بخشونة لأقف على قدمي، وهو الزميل الذي كان أكثرهم ضحكًا على محنتي.

مال بوجهه مقتربًا من وجهي وهو يضرب على قدمي بعنف. وقمت بالشيء الوحيد الذي يمكن أن يقوم به سيد مهذب في ظل هذه الظروف من القسوة والفظاظة، وعدم إيلاء الاعتبار لحقوق شخص غريب؛ وجهت قبضة يدي مباشرة نحو فكه، فسقط مثل ثور شرس. وعندما هوى على الأرض، أدرت ظهري تجاه أقرب مائدة، متوقعًا أن يقهرني انتقام زملاءه، لكني صممت أن أخوض معهم أفضل ما يمكن أن يتيحها نزاع غير متكافئ قبل أن أفقد حياتي.

بيد أن مخاوفي كانت بلا أساس، حيث أخرس الانبهار المريخيين الآخرين في البداية، ثم انفجروا في ضحكات مجلجلة وتصفيق. لم أدرك معنى تصفيقهم، لكنني عندما تعرفت فيما بعد على عاداتهم، فهمت أنني فزت بشيء نادرًا ما يحققونه، وأن التصفيق تعبير عن الاستحسان.

ظل الزميل الذي لكمته ممددًا في موقع سقوطه، ولم يقترب منه أي من أصحابه. تقدم تارس تاركاس نحوي وهو ممسك بإحدى ذراعيه، وتحركنا إلى الساحة دون حوادث أخرى. لم أعرف، بطبيعة الحال، سبب توجهنا الي الساحة المفتوحة، لكني سرعان ما فهمت. كرروا بداية كلمة «ساك» عدة مرات، ثم قفز تارس تاركاس عدة قفزات وهو يكرر نفس الكلمة قبل كل قفزة؛ وبعدها التفت نحوي قائلًا «ساك!». عرفت ماذا يريدون، وجمعت قواي وقمت بالـ «ساك» بنجاح مبهر حيث قطعت قفزتي حوالي ١٥٠ قدم؛ ولم أفقد توازني هذه المرة، بل هبطت مباشرة على قدمي دون أن أسقط. عُدت بعد ذلك بسهولة إلى مجموعة المحاربين الصغيرة عبر قفزات يسيرة امتدت كل منها لحوالي ٢٥ أو ٣٠ قدمًا.

شاهد عرضي عدة مئات من المريخيين الصغار، وعلى الفور طالبوا بتكراره، فأمرني الزعيم بذلك؛ لكنني كنت أشعر بالجوع والعطش، وصممت على الفور أن طريقتي الوحيدة للخلاص هي مطالبة هذه المخلوقات بالمراعاة، حيث يبدو أنهم لن يفعلون ذلك طواعية. ولذلك، تجاهلت مطالبهم المتكررة بإعادة «ساك»، وفي كل يطالبون فيها كنت أشير إلى فمي وأحك معدتي.

تبادل تارس تاركاس والزعيم بضع كلمات، ثم نادى تارس تاركاس على امرأة بين الجموع وأعطاها تعليمات وأشار لي أن أرافقها. أمسكت بيدها الممدودة، وعبرنا الساحة معًا في اتجاه مبنى كبير على الجانب الآخر.

بلغ طول رفيقتي اللطيفة حوالي ثمانية أقدام، وكانت في بداية

مرحلة النضج، لكن طولها لم يصل بعد إلى أقصاه. كانت بشرتها من اللون الأخضر الزيتوني الفاتح، وتتسم بالنعومة واللمعان. علمت في ما بعد أن اسمها سولا، وأنها تنتمي إلى حاشية تارس تاركاس. قادتني إلى غرفة واسعة في أحد المباني المواجهة للساحة، مُلقى على أرضها ركام مبعثر من الحرير والفراء، ولذا اعتبرتها مكانًا لنوم العديد من الأهالي.

كانت الغرفة مضاءة جيدًا بعدد من النوافذ الكبيرة، ومزدانة بشكل جميل باللوحات الجدارية والفسيفساء. ولكن فوق كل ذلك، كان هناك ما يبدو أنه لمسة لأصابع العصور القديمة يصعب وصفها، بما أقنعتني أن المهندسين المعماريين والبنائين لهذه الإبداعات المدهشة ليس لديهم أي شيء مشترك مع هؤلاء المتوحشين أنصاف الحيوانات الذين يحتلونها الآن.

أشارت لي سولا أن أجلس فوق كومة من الحرير بالقرب من وسط الغرفة، واستدارت وهي تُطلق صوت هسهسة غريبة كما لو أنها تشير إلى شخص ما في غرفة مجاورة. وردًّا على دعوتها، رأيت أول مشهد لأعجوبة مريخية جديدة. كان شيئًا يتهادى على سيقانه العشرة القصيرة، ثم جلس القرفصاء أمام الفتاة كجرو مطيع. كان حجم هذا الشيء يماثل تقريبًا حجم مُهر من جزر شتلاند، لكن رأسه يشبه بدرجة طفيفة رأس الضفدع، ما عدا أن فكيه كانا مسلحين بثلاثة صفوف من الأنياب الحادة الطويلة.

(٥)

التملُّص من كلب الحراسة

حدقت سولا في عيون المتوحش الشريرة، وتمتمت بكلمة أو كلمتين آمرتين وهي تشير نحوي، ثم تركت الغرفة. لم يكن بمقدوري إلا أن أتشكك في ما قد يفعله هذا المسخ، شرس المظهر، عند تركه بمفرده في مكان قريب كهذا من قطعة لحم طرية نسبيًّا. بيد أن مخاوفي كانت بلا أساس؛ فالوحش، بعد أن تفحصني باهتمام للحظة، سار عبر الغرفة إلى باب الخروج الوحيد الذي يؤدى إلى الشارع، واستلقى بكامل طوله على العتبة.

كانت هذه أول تجربة لي مع كلب حراسة مريخي، على أنه لم يكن مُقدرًا أن تكون الأخيرة؛ فقد حرسني بعناية طوال الوقت الذي بقيت فيه أسيرًا لدى هؤلاء الرجال الخُضر، كما أنقذ حياتي مرتين، ولم يبعد عني طواعية أبدًا للحظة.

عندما ابتعدت سولا، اقتنصت الفرصة لفحص الغرفة التي وجدت نفسي أسيرًا فيها فحصًا دقيقًا. كانت اللوحة الجدارية تصور مشاهد نادرة ورائعة الجمال: جبال، وأنهار، وبحيرة، ومحيط، ومرج، وأشجار،

وزهور، وطرقات متعرجة، وحدائق مشمسة – مشاهد ربما تصور مناظر من كوكب الأرض ولكن بألوان مختلفة للحياة النباتية. يبدو واضحًا أن يدًا خبيرة هي التي صنعت هذا العمل، فقد كان شديد الإتقان بشكل عام، وشديد الكمال من حيث التقنية؛ ومع ذلك لم يضم أي تمثيل لحيوان حي – سواء بشري أو وحشي – بحيث يمكنني تخمين الشبه بين هؤلاء الآخرين وسكان المريخ الذين ربما انقرضوا.

وبينما سمحت لخيالي بتجاوز الحدود في تخمينات جامحة حول التفسير المحتمل للغرائب التي التقيتها حتى الآن على المريخ، عادت سولا حاملة الطعام والشراب. وضعت ما حملته على الأرض بجواري، وجلست أمامي على مسافة قصيرة وهي تنظر نحوي باهتمام. كان الطعام عبارة عن رطل تقريبًا من مادة صلبة متماسكة من الجُبن وبلا مذاق تقريبًا، بالإضافة إلى سائل يبدو أنه لبن حيوان ما. لم يكن مذاقه سيئًا، لكنه حمضيّ بعض الشيء، على أنني تعلمت خلال فترة زمنية قصيرة أن أتذوقه جيدًا. واكتشفت لاحقًا أنه ليس لبن أي حيوان – حيث لا يوجد في المريخ سوى حيوان ثديي واحد فقط، ونادر جدًّا في الواقع – لكنه مأخوذ من نبات كبير ينمو عمليًّا دون ماء؛ ويبدو أنهم يقومون بتقطير إمدادات اللبن الوفيرة من منتجات التربة، ورطوبة الهواء، وأشعة الشمس. ويعطي النبات الواحد من هذا النوع ثمانية أو عشرة كوارت[1] من اللبن في اليوم الواحد.

انتابني نشاط كبير بعد أن أكلت، لكن شعوري بالحاجة إلى الراحة

(١) وحدة قياس إنجليزية، والكوارت هو رُبع جالون – المترجمة.

جعلني استلقي فوق الحرير وسرعان ما غلبني النوم. ربما بقيت نائمًا لعدة ساعات، فعندما استيقظت كان الظلام قد حل، وشعرت ببرودة شديدة. لاحظت أن شخصًا ما قد ألقى الفراء فوقي، لكنه انزاح جزئيًّا ولم أستطع أن أرى عبر الظلام كيف يمكنني إعادته إلى مكانه. وفجأة امتدت يد وسحبت الفراء فوقي، ثم بعد فترة قصيرة أضافت فراء آخر لغطائي.

افترضت أنها سولا، راعيتي الحارسة، ولم أكن مخطئًا. هذه الفتاة وحدها، من بين جميع المريخيين الخُضر الذين تواصلت معهم، كشفت عن سمات التعاطف والطيبة والمودة؛ إسعافاتها لجروحي الجسدية كانت دائمة، واهتمامها برعايتي أنقذني من الكثير من المعاناة والمصاعب.

أدركت لاحقًا أن ليالي المريخ باردة للغاية، ولا يوجد عمليًّا أي شفق أو فجر، وأن التغيرات في درجة الحرارة مفاجئة وغير مريحة على الإطلاق، وكذلك الانتقال من ضوء النهار الرائع إلى الظلام. فالليالي إما مضاءة ببراعة أو مظلمة جدًّا، ذلك أن الظلام الدامس يسود إذا لم يظهر قمرا المريخ في السماء، حيث إن غياب الغلاف الجوي، أو بالأحرى رقته الشديدة، يحول دون نشر ضوء النجوم إلى حد كبير. ومن ناحية أخرى، إذا ظهر القمران في السماء ليلًا، يصبح الضوء على سطح أرض المريخ ساطعًا.

القمران أقرب إلى المريخ بدرجة كبيرة جدًّا مقارنة بقرب قمرنا إلى كوكب الأرض. يبعُد القمر الأقرب عن المريخ بحوالي ٥ آلاف

ميل فقط، بينما يقع القمر الآخر على بعد يزيد قليلًا على ١٤ ألف ميل؛ في مقابل قمرنا الذي يبعُد عن كوكب الأرض بحوالي ربع مليون ميل. يستغرق القمر الأقرب للمريخ في دورته الكاملة حول الكوكب فترة تزيد قليلًا على سبع ساعات ونصف، وبالتالي يمكن رؤيته مندفعًا عبر السماء مثل نيزك ضخم مرتين أو ثلاث مرات كل ليلة، كاشفًا عن جميع مراحله أثناء عبوره.

أما القمر الآخر، فتستغرق دورته حول المريخ فترة تزيد قليلًا على ثلاثين ساعة وربع، ويجعل مع شقيقه الآخر مشهد المريخ الليلي واحدًا من أعظم المشاهد روعة وغرابة. ومن الجيد أن الطبيعة تضيء ليالي المريخ بسخاء ووفرة؛ فرجال المريخ الخُضر – نظرًا لأنهم جنس بدوي يفتقر إلى التطور الفكري المرتفع – ليس لديهم سوى وسائل بدائية للإضاءة الاصطناعية، إذ يعتمدون أساسًا على المشاعل ونوع من الشموع ومصباح زيتي غريب يولد غازًا ويحترق دون فتيل.

يُصدِر هذا الجهاز الأخير ضوءًا أبيض بعيد المدى ويتألق بكثافة، لكن النفط الطبيعي الذي يحتاجه لا يمكن الحصول عليه إلا باستخراجه من أحد المواقع العديدة التي تفصل بينها مساحات شاسعة، ولذا يندر أن تستخدمه تلك المخلوقات التي يقتصر تفكيرها على اليوم الواحد، كما أن كراهيتها للعمل اليدوي أبقت عليها في حالة شبه همجية لعصور لا تُعد ولا تُحصى.

استغرقت في النوم مرة أخرى بعد أن أضافت سولا غطاء إلى أغطيتي، ولم أستيقظ إلى أن حل ضوء النهار. كان جميع شاغلي الغرفة

الآخرين من النساء، وعددهن خمسة، ولا زلن نائمات، تتكدس فوقهن مجموعة مختلفة الألوان من الحرير والفراء. وعلى العتبة، كان الحارس الوحشي مستلقيًا بمثل ما رأيته تمامًا في اليوم السابق؛ يبدو أنه لم يتحرك على الإطلاق؛ كانت عيناه موجهتين نحوي إلى حد ما، وسألت نفسي عما قد يصيبني إذا حاولت الهرب.

كنت مُعرضًا على الدوام للبحث عن مغامرة، واستكشاف وتجربة ما يبتعد عنه عقلاء الرجال. ولذا طرأ إلى ذهني أن أفضل طريقة مضمونة لمعرفة الموقف الدقيق لهذا الوحش تجاهي هو أن أحاول مغادرة الغرفة. شعرت بالأمان إلى حد ما تجاه اعتقادي أن بإمكاني الهرب منه إذا طاردني متى كنت خارج المبنى، إذ بدأت أفخر كثيرًا بقدرتي على القفز. علاوة على ذلك، أدركت من سيقانه القصيرة أنه غير قادر على القفز وربما الركض أيضًا.

ولذا وقفت ببطء وعناية، فرأيت حارسي يفعل الشيء نفسه؛ تقدمت بحذر نحوه، ووجدت أنني إذا مشيت متثاقلًا يمكنني الاحتفاظ بتوازني، فضلًا عن إحراز تقدم سريع معقول. عندما اقتربت من الوحش، ابتعد عني بحذر؛ وعندما وصلت إلى الفتحة، انتقل إلى الجانب ليسمح لي بالمرور. ثم سار خلفي وتبعني حوالي عشر خطوات وأنا أشق طريقي نحو الشارع المهجور.

تصورت أن مهمته تقتصر على حمايتي، لكنه ظهر فجأة أمامي عندما وصلنا إلى حافة المدينة، وأطلق أصواتًا غريبة وهو يكشف عن أنيابه الشرسة القبيحة. فكرت في التسلية على حسابه، فهرعت نحوه،

وعندما كدت أصل إليه قفزت عاليًا بحيث تجاوزته كثيرًا وهبطت في موقع بعيد عن المدينة. اندفع على الفور، وهاجمني بسرعة مروعة لم أشهد لها نظيرًا من قبل. كنت أعتقد أن سيقانه القصيرة تعوق سرعته، لكنه إذا تسابق مع كلاب الصيد لكانت تلك الكلاب ستبدو كما لو أنها نائمة على سجادة مدخل باب. عرفت لاحقًا أنه أسرع حيوان على المريخ، ونظرًا لذكائه وولائه وضراوته يُستخدم في الصيد وفي الحرب كحامٍ للرجل المريخي.

سرعان ما أدركت مدى صعوبة الفرار من أنياب الوحش إذا تحركت على مسار مستقيم، ولذا واجهت هجومه بالتحرك في مسارات ملتفة والقفز من فوقه عندما يكاد أن يمسك بي. منحتني هذه المناورة ميزة كبيرة، إذ تمكنت من الوصول إلى المدينة قبله بقليل. وعندما اندفع خلفي، قفزت إلى نافذة ترتفع عن الأرض بحوالي ثلاثين قدمًا في مواجهة أحد المباني المطلة على الوادي.

أمسكت بحافة النافذة وسحبت نفسي إلى أن تمكنت من الجلوس دون النظر إلى المبنى، ونظرت إلى أسفل محدقًا في الحيوان المرتبك. على أن ابتهاجي لم يدم طويلًا؛ فما أن وجدت بصعوبة مقعدًا آمنًا عند حافة النافذة، أمسكت يد ضخمة برقبتي من الخلف وجرتني بعنف إلى داخل الغرفة، وألقتني على ظهري. رأيت مخلوقًا ضخمًا يشبه القرد يقف أمامي، لونه أبيض وبدون شعر، ما عدا كتلة هائلة من الشعر الخشن على رأسه.

(٦)

معركة الفوز بأصدقاء

كان الشيء الذي رأيته يشبه رجال كوكب الأرض تقريبًا أكثر مما يشبه المريخيين. لقد تمكن من تثبيتي على الأرض بقدم ضخمة واحدة، بينما يثرثر ويومئ إلى مخلوق خلفي، من الواضح أنه رفيقه الذي سرعان ما جاء نحونا وهو يحمل هراوة حجرية قوية يعتزمان على ما يبدو ضرب رأسي بها.

بلغ طول كل من هذين المخلوقين حوالي ١٠-١٥ قدم، يقفان منتصبين، ولديهم - مثل المريخيين الخُضر - مجموعة وسيطة من الأذرع أو السيقان، تقع في منتصف المسافة بين أطرافهم العليا والسفلى. كانت عيونهم قريبة من بعضها وغير جاحظة؛ وآذانهم مرتفعة لكن وضعها أفقي أكثر من وضع آذان المريخيين، بينما أنوفهم الحيوانية الطويلة وأسنانهم تشبه بشكل مذهل تلك لدى الغوريلا الأفريقية على كوكب الأرض. على أن مظهرهم، في مجمله، لم يكن قبيحًا مقارنة بالمريخيين الخُضر.

كانت الهراوة تتأرجح في القوس الذي انتهى عند وجهي المقلوب،

وفجأة ألقت صاعقة من الرعب متعدد السيقان بنفسها بالكامل عبر المدخل فوق صدر جلادي. قفز القرد الذي يمسكني عبر النافذة المفتوحة وهو يصرخ من الخوف، لكن رفيقه اقترب ليخوض صراعًا مميتًا مذهلًا مع مُنقذي، الذي لم يكن سوى حارسي المُخلِص، لأنني لا أستطيع أن أجبر نفسي على إطلاق تسمية كلب على هذا المخلوق البشع.

وقفت بسرعة قدر الإمكان وظهري للجدار، وشهدت معركة لم يرها من قبل سوى عدد محدود من الكائنات. كانت قوة وخفة حركة هذين المخلوقين وشراستهما العمياء لا تشبه أي شيء يعرفه الإنسان على كوكب الأرض. تميز وحشي الحارس بقبضته الأولى، حيث غرز أنيابه القوية في صدر خصمه؛ لكن أذرع وأقدام القرد الكبيرة، مدعومة بعضلات تتجاوز نظيرتها لدى رجال المريخ الذين رأيتهم، التفت حول رقبة حارسي لتخنقه ببطء حتى الموت، وتميل برأسه ورقبته إلى الوراء فوق جسده، وهنا توقعت للحظة أن حارسي سينهار مع كسر رقبته.

ونتيجة لهذا الإنجاز، أخذ القرد يمزق صدره كله، الذي كان يمسكه بقبضة فكيه القوية التي تشبه ملزمة الحداد. تدحرجا على الأرض ذهابًا وإيابًا، دون أن يصدر أي منهما صوت الخوف أو الألم. ثم رأيت عيون الوحش الكبيرة تبرز تمامًا من محجريهما والدم يتدفق من أنفه. كان ضعفه التدريجي يبدو بوضوح؛ لكن ذلك كان ينطبق أيضًا على القرد، حيث أخذت قدراته الصراعية تفتر.

انتبهت فجأة، واندفعت بغريزة غريبة للقيام بواجبي، وأمسكت بالهراوة التي سقطت على الأرض في بداية المعركة، وحركتها بكل قوة

ذراعي لأحطم رأس القرد بالكامل، سحقت جمجمته كما لو أنها قشرة بيض.

وما أن ضربت ضربتي حتى واجهت خطرًا جديدًا؛ فقد تعافى رفيق القرد من صدمة الرعب الأولى وعاد إلى ساحة المواجهة عبر طريق من داخل المبنى. لمحته قبل وصوله إلى المدخل مباشرة، ورأيته يزأر وهو ينظر إلى زميله جثة هامدة ممددة على الأرض، والزُبد يكسو فمه. كان في قمة غضبه، ويجب أن أعترف أن حالته أشعرتني بنُذُر شؤم رهيبة.

أنا على استعداد دومًا للصمود والقتال عندما لا تكون الاحتمالات ساحقة ضدي، لكنني في هذه الحالة لم أنظر إلى المجد أو الربح عند وضع قوتي الضئيلة نسبيًّا في مواجهة العضلات الحديدية والضراوة الوحشية لهذا الساكن الغاضب في عالم مجهول بالنسبة لي. وفي الواقع، كانت النتيجة الوحيدة لهذه المواجهة، بقدر ما يمكن أن يعنيني الأمر، هي الموت المفاجئ.

كنت أقف بالقرب من النافذة وأعرف أنني بمجرد استعادة قوتي يمكنني الوصول إلى الساحة والفوز بالسلامة قبل أن يدركني هذا المخلوق؛ فعلى الأقل هناك فرصة للسلامة من خلال الفرار من مواجهة موت محقق تقريبًا إذا بقيت وحاربت يائسًا.

صحيح أنني ممسك بالهراوة فعلًا، ولكن ماذا يمكن أن أفعل بها ضد أذرعه الأربعة الكبيرة؟ فحتى إذا كسرت إحداهما بضربتي الأولى – إذ تصورت أنه سيحاول صد الهراوة – يمكنه أن يمد أذرعه الأخرى ويبيدني قبل أن أتمكن من شن هجوم ثان.

في اللحظة التي مرت فيها هذه الأفكار بذهني، نظرت إلى النافذة في محاولة للوصول إليها، لكن عيني وقعت على حارسي السابق، وهو المشهد الذي ألقى كل أفكار الفرار إلى أدراج الرياح. كان يرقد لاهثًا على أرض الغرفة، وعيناه الكبيرتان مثبتتان نحوي في ما يبدو مناشدة تثير الشفقة طلبًا للحماية. لم أستطع مقاومة تلك النظرة، كما لم أستطع -بعد إعادة التفكير- أن أهجر مُنقذي دون أن أقدم له صورة جيدة عن نفسي كما فعل معي.

لذلك، ودون مزيد من اللغط، استدرت لمواجهة غضبة القرد الضخم. لقد أصبح قريبًا مني، بحيث يمكن أن تُثبت الهراوة مساعدتها الفعالة. وبالتالي ألقيت بها نحو جسده الضخم بأقصى ما يمكنني من قوة. ارتطمت بساقه أسفل الرُكبة، فصرخ من الألم والغضب واختل توازنه بحيث سقط مندفعًا وهو يمد أذرعه بغية تخفيف حدة سقوطه.

مرة أخرى، كما حدث في اليوم السابق، لجأت إلى تكتيكات كوكب الأرض، ووجهت كامل قبضتي اليمنى إلى طرف ذقنه وتبعتها بضربة رهيبة بقبضتي اليسرى في بطنه. كان التأثير رائعًا، فعندما تجاوزته قليلًا بعد الضربة الثانية، تمايل وسقط على الأرض وهو يتألم لاهثًا. قفزت من فوق جسده الممدد، وأمسكت الهراوة وأنهيت على الوحش قبل أن يتمكن من الوقوف.

رنت ضحكة خافتة خلفي عندما سددت ضربتي، فاستدرت لأرى تارس تاركاس وسولا وثلاثة أو أربعة محاربين يقفون في مدخل الغرفة. وعندما التقت عيوننا، حصلت للمرة الثانية على تصفيق حماسي حذر.

لقد لاحظت سولا غيابي عندما استيقظت، وسرعان ما أبلغت تارس تاركاس الذي تحرك على الفور مع عدد قليل من المحاربين للبحث عني. وشاهدوا، عند اقترابهم من حدود المدينة، أفعال القرد الضخم عند دخوله إلى المبنى وهو في حالة غضب محموم.

ساروا وراءه على الفور، متصورين أن أفعاله بالكاد ما يمكن أن تساعدهم على تحديد مكاني، ثم شاهدوا معركتي القصيرة الحاسمة معه. هذه المواجهة، إضافة إلى قتالي مع المحارب المريخي في اليوم السابق وبطولتي في القفز، وضعتني في ذروة عالية من وجهة نظرهم. كان واضحًا أنهم يفتقرون إلى أسمى مشاعر الصداقة أو الحب أو المودة، لكنهم يقدسون كثيرًا القوة البدنية والشجاعة؛ ولا يوجد شيء يضاهي تحقيق شغفهم، ما دام المرء يحافظ على موقعه عبر تكرار الأمثلة الدالة على مهارته، وقوته، وشجاعته.

سولا، التي صاحبت مجموعة البحث بمحض إرادتها، كانت المريخية الوحيدة في المجموعة التي لم تتلوى ضحكًا وأنا أقاتل لأنقذ حياتي. بل على العكس، كانت متزنة في قلقها الظاهر، وبمجرد ما أن أجهزت على الوحش، اندفعت نحوي وفحصت جسدي بعناية لمعرفة مدى الجروح أو الإصابات المحتملة. وكانت سعيدة لأنني خرجت من المعركة سالمًا، فابتسمت في هدوء، وأمسكت بيدي وبدأنا نتجه نحو باب الغرفة.

دخل تارس تاركاس والمحاربون الآخرون ووقفوا بجوار الوحش الذي أخذ يتعافى سريعًا؛ الوحش الذي أنقذ حياتي، وقمت بدوري بإنقاذ حياته. من الواضح أنهم يديرون نقاشًا عميقًا، وأخيرًا توجه نحوي

أحدهم لكنه تذكر جهلي بلغته فعاد إلى تراس تاركاس، الذي بكلمة وإيماءة أعطى أمرًا للزميل ثم استدار ليتابعنا خروجًا من الغرفة.

يبدو أن هناك شيئًا يثير التهديد في موقفهم تجاه الوحش. ترددت في المغادرة إلى أن علمت النتيجة. وحسنًا فعلت؛ فقد سحب المحارب مسدسًا شرير المظهر من جرابه، وكان على وشك إنهاء حياة المخلوق، وهنا اندفعت نحوه وسددت ضربة قوية على ذراعه فارتطمت الرصاصة بالإطار الخشبي للنافذة وانفجرت، تاركة فجوة امتدت كاملًا خلال الخشب والبناء.

وعندئذ ركعت بجوار هذا الكائن مخيف المظهر، ورفعته ليقف على أقدامه وأشرت له أن يتبعني. كانت نظرات الدهشة التي أثارتها أفعالي لدى المريخيين تبعث على الضحك؛ فلم يكن بإمكانهم أن يفهموا – إلا على نحو ضئيل وطفولي – صفات مثل الامتنان والرحمة. أما المحارب الذي غيرت اتجاه مسدسه بضربتي، فقد نظر مستفسرًا إلى تارس تاركاس، لكن هذا الأخير أشار له أن يتركني أفعل ما أريد. وهكذا عدنا إلى الساحة مع وحشي الكبير يسير في أعقابي، وسولا ممسكة بذراعي بإحكام.

لدي الآن صديقين على الأقل في المريخ؛ امرأة تهتم بي بحنان الأم، ووحش أبكم عرفت لاحقًا أنه رغم قبحه الشديد يحمل من الحب والولاء والامتنان أكثر مما يمكن أن يوجد لدى كل الخمسة ملايين من المريخيين الخُضر، الذين يطوفون في مدن المريخ المهجورة وقيعان بحره الميت.

(٧)

تربية الأطفال على المريخ

تناولت الإفطار وكان مماثلًا لوجبة اليوم السابق، بل هو عمليًّا قائمة طعام كل وجبة أخرى خلال وجودي مع رجال المريخ الخُضر. اصطحبتني سولا إلى الساحة، حيث وجدت المجموعة كلها تشاهد أو تساعد في ربط حيوانات المستودون[١] الضخمة بالمركبات الكبيرة ذات العجلات الثلاث. هناك حوالي ٢٥٠ من هذه المركبات، يجر كل منها حيوان واحد يبدو من مظهره أن بمقدوره أن يجر بسهولة عربة قطار كاملة التحميل.

كانت المركبات نفسها كبيرة ومتسعة ومُزينة بشكل رائع؛ وتجلس في كل منها امرأة مريخية ترتدي الحلي المعدنية، فضلًا عن الجواهر والحرير والفراء؛ ويجلس سائق مريخي شاب على ظهر كل وحش مربوط بالمركبة. ومثل الحيوانات التي يركبها المحاربون، لم تكن أثقل حيوانات الجر ترتدى شكامًا أو لجامًا، لكنها كانت تُوجَّه تمامًا عن طريق التخاطر.

(١) حيوان منقرض شبيه بالفيل - المترجمة.

كانت قوة التخاطر متطورة بشكل رائع لدى جميع المريخيين، وهي السبب إلى حد كبير في بساطة لغتهم وقلة الكلمات المنطوقة نسبيًّا التي يتبادلونها حتى في الحوارات الطويلة. التخاطر هو لغة المريخ العالمية، فمن خلالها تتمكن الحيوانات العليا والسفلى - في هذا العالم المليء بالمفارقات - من التواصل بدرجة أكبر أو أقل تبعًا للسياق الفكري لنوع الحيوان وتطور أفراده.

عندما بدأ الموكب يتحرك صفًّا واحدًا على خط المسيرة، أخذتني سولا إلى مركَبة فارغة ومضينا مع الموكب نحو النقطة التي دخلت منها إلى المدينة في اليوم السابق. كان على رأس القافلة حوالي مائتي محارب، خمسة منهم على جانب واحد، وعدد مماثل في الخلف، بينما يحيط بنا من الجانبين حوالي ٢٥ أو ٣٠ محاربًا مرافقًا.

وباستثنائي، كان الجميع - الرجال والنساء والأطفال - مدججًا بالسلاح، وفي أعقاب كل عربة يهرول كلب صيد مريخي. سار الوحش خاصتي خلف عربتنا عن كثب؛ وفي واقع الأمر، لم يتركني هذا المخلوق المخلص طواعية أبدًا خلال مجمل السنوات العشر التي قضيتها على المريخ. قادنا الطريق عبر الوادي الصغير الذي يقع أمام المدينة، وسرنا عبر التلال، حيث هبط بنا الطريق في اتجاه قاع البحر الميت الذي اجتزته في رحلتي من الحاضنة إلى الساحة. وقد اتضح أن الحاضنة هي المحطة النهائية لرحلتنا اليوم. وبمجرد وصولنا إلى مستوى رقعة فسيحة في قاع البحر، انطلق الموكب بأسره يعدو في سرعة شديدة، وأصبح هدفنا على مرمى البصر.

وعندما وصلنا، توقفت العربات بدقة عسكرية عند جوانب الحظيرة الأربعة، وترجل حوالي عشرة محاربين يرأسهم الزعيم الضخم، ومن بينهم تارس تاركاس والعديد من الزعماء الآخرين الأقل مرتبة، وتقدموا نحو الهدف. كان بإمكاني أن أرى تارس تاركاس يشرح شيئًا للزعيم الرئيسي – وبالمناسبة كان اسمه، بقدر ما أمكنني ترجمته إلى اللغة الإنكليزية، لوركواس بتوميل، جِد؛ حيث جِد هو اسم منصبه.

سرعان ما خمنت موضوع حديثهما، حيث نادى تارس تاركاس على سولا وأشار لها أن ترسلني له. كنت قد تمكنت من إتقان تعقيدات السير في ظروف المريخ، واستجبت سريعًا لأمره وتقدمت نحو جانب الحاضنة حيث يقف المحاربون.

وعندما وصلت إلى الجانب الذي يقفون عنده، لمحت أن البيض كله قد فقس باستثناء عدد محدود، وأن الحياة تدب في الحاضنة بوجود هؤلاء الشياطين الصغيرة البشعة. كان طول كل منهم يتراوح بين ثلاثة وأربعة أقدام، ويتحركون بلا هوادة في الحظيرة كما لو أنهم يبحثون عن الطعام.

عندما وقفت أمامه، أشار تارس تاركاس إلى الحاضنة وقال «ساك». فهمت أنه يريدني أن أكرر أداء الأمس أمام لوركواس بتوميل. ويجب أن أعترف أن براعتي منحتني قدرًا غير قليل من الرضا، ولذا استجبت بسرعة وقفزت فوق العربات المتوقفة وصولًا إلى الجانب الآخر من الحاضنة. وعندما عدت، قال لوركواس بتوميل شيئًا لي، ثم انتقل إلى محاربيه قائلًا بضع كلمات آمرة تتعلق بالحاضنة. كف اهتمامهم بي،

وسُمِح لي أن أبقى قريبًا وأراقب عملياتهم التي تمثلت في كسر فتحة في جدار الحاضنة كبيرة بما يكفي للسماح بخروج المريخيين الصغار.

شكّلت النساء والمريخيون الأصغر سنًّا، من الذكور والإناث، جدارين ثابتين على جانبي هذه الفتحة، بحيث أصبح هناك ممر عبر العربات يصل إلى سهل بعيد إلى حد ما. كان المريخيون الصغار يركضون بجموح كالغزلان بين هذين الجدارين؛ وقد سُمح لهم بالركض عبر طول الممر كاملًا، حيث تتولى النساء والأطفال الأكبر سنًّا الإمساك بواحد في كل مرة؛ والأخير في الصف يُمسك بأول صغير يصل إلى نهاية السباق، ثم يُمسك الشخص الواقف في الصف المقابل بالصغير الثاني، وهكذا حتى يغادر جميع الصغار الحظيرة عن طريق إمساك بعض الشباب أو الإناث بهم. تخرج النساء من الصف عندما يمسكن بالصغار، وتعدن إلى عرباتهن، بينما الصغار الذين يسقطون في أيدي الشبان يتم تسليمهم في وقت لاحق إلى بعض النساء.

انتهت المراسم - إن أمكن تكريمها بهذا الاسم - فبحثت عن سولا ووجدتها في عربتنا ومعها مخلوق ضئيل بشع تحمله بين ذراعيها بإحكام.

تقتصر تربية المريخيين الصغار الخُضر على تعليمهم الكلام، واستخدام الأسلحة الحربية التي يحملونها من السنة الأولى في حياتهم. يخرج الصغار من البيض بعد خمس سنوات من وضعه - فترة الحضانة - ويمضون قدمًا في العالم وهم في حالة نمو كامل ما عدا في الحجم. لا تعرف الأمهات على الإطلاق من هم أبنائها، كما تواجهن بدورهن

صعوبة في تحديد الآباء بأي درجة من الدقة؛ وبالتالي فالصغار هم أطفال الجماعة، وتعليمهم مُوكل إلى النساء اللاتي يُمسكن بهم عند مغادرة الحاضنة.

ربما لم يكن للأم المربية بيض في الحاضنة، كما هو الحال مع سولا التي لم تبدأ في وضع البيض حتى أقل من سنة قبل أن تصبح أمًّا لذرية امرأة أخرى. لكن ذلك لا يعني كثيرًا بين المريخيين الخُضر، فحب الوالدين والأبناء غير معروف لهم بمثل ما هو شائع لدينا. أعتقد أن هذا النظام الفظيع الذي استمر لعصور هو السبب المباشر لافتقار هذه المخلوقات البائسة لجميع المشاعر الرقيقة والغرائز الإنسانية السامية. فهم لا يعرفون منذ الولادة حب الأب أو الأم، ولا يعرفون معنى كلمة بيت؛ بل يتعلمون أنهم يعانون فقط من أجل العيش، إلى أن يثبتون بلياقتهم البدنية وضراوتهم بأنهم قادرين على العيش. وإذا تبين أنهم مشوهين أو معيوبين بأي شكل، يُطلق عليهم النار دون إبطاء؛ ولا تدمع عين أي منهم من جراء المصاعب العديدة القاسية التي يمرون بها منذ مرحلة الطفولة المبكرة.

لا أعني بكلامي أن المريخيين البالغين يقسون على الصغار دون داع أو عمدًا، لكن كفاحهم شاق وعديم الرحمة من أجل العيش على كوكب يحتضر، كوكب تضاءلت موارده الطبيعية إلى حد أصبح معه دعم كل حياة جديدة يعني ضريبة إضافية على المجتمع الذي يضم هذه الحياة.

يتولى المريخيون تربية أقوى الأفراد فقط من كل نوع، من خلال اختيار دقيق. كما ينظمون معدل المواليد من خلال بصيرة تكاد أن تكون

خارقة، بما يعوض عن الخسائر في الأرواح.

تضع كل امرأة مريخية بالغة حوالي ١٣ بيضة سنويًّا؛ ويجري إخفاء البيض الذي يفي بالحجم والوزن واختبارات الثقل النوعي في تجاويف قبو تحت الأرض، ذلك أن درجة الحرارة شديدة الانخفاض وبالتالي تحول دون عملية الحضانة. يتولى مجلس مكون من ٢٠ زعيمًا اختبار هذا البيض بدقة سنويًّا، ويدمرونه جميعًا ما عدا حوالي أجود مائة بيضة. وبعد انتهاء خمس سنوات، يجري اختيار حوالي خمسمائة بيضة أقرب إلى الكمال من بين آلاف البيض الذي وضعته الإناث. يوضع هذا البيض بعد ذلك في حاضنات محكمة الإغلاق ليفقس عن طريق أشعة الشمس بعد خمس سنوات أخرى. لقد كان الفقس الذي شاهدناه اليوم حدثًا يمثل هذه العملية، حيث فقس كل البيض باستثناء حوالي ١٪ خلال يومين. وإذا فقس البيض المتبقي في أي وقت، لن نعرف شيئًا عن مصير المريخيين الصغار؛ إذ ليس مرغوبًا فيهم، لأن ذريتهم قد ترث الميل إلى فترة حضانة طويلة وتنقله إلى ذريتها وبالتالي يضطرب النظام الذي استمر لعصور طويلة، والذي يتيح للمريخيين الكبار معرفة الوقت المناسب للعودة إلى الحاضنات، تقريبًا ما يصل إلى ساعة.

تُبنى الحاضنات في أماكن نائية منعزلة، حيث يوجد أو لا يوجد احتمال ضئيل لأن تكتشفها القبائل الأخرى. فكارثة اكتشافها تعني عدم وجود أطفال لدى الجماعة لمدة خمس سنوات أخرى. وقد شهدت في وقت لاحق نتائج اكتشاف حاضنة غريبة عنهم.

ضمت جماعة المريخيين الخُضر، التي وجدت نفسي فيها، حوالي

ثلاثين ألف نسمة. يطوفون عبر مسالك هائلة من الأراضي القاحلة وشبه القاحلة، بين أربعين وثمانين درجة جنوب خط العرض، ويحدهم من الشرق والغرب مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة. ويقع مقرهم في الركن الجنوبي الغربي من هذه المنطقة، قرب تقاطع اثنين مما يُطلق عليه قنوات المريخ.

ونظرًا لأن الحاضنة تقع بعيدًا شمال أراضيهم، في منطقة يُفترض أنها غير مطروقة وغير مأهولة بالسكان، فقد كان أمامنا رحلة هائلة لا أعرف عنها شيئًا بطبيعة الحال.

وبعد عودتنا إلى المدينة الميتة، أمضيت عدة أيام في حالة كسل نسبي. في اليوم التالي لعودتنا، انطلق جميع المحاربين في الصباح الباكر ولم يعودوا إلا قبل حلول الظلام. وقد عرفت في ما بعد أنهم توجهوا إلى أقبية تحت الأرض، حيث يحتفظون بالبيض، ونقلوه إلى الحاضنة التي أحاطوها بأسوار ليبقى خمس سنوات أخرى دون زيارته مرة أخرى، في جميع الاحتمالات، خلال تلك الفترة.

كانت الأقبية التي يخفون فيها البيض إلى أن يصبح جاهزًا للحاضنة تقع على بُعد عدة أميال جنوب الحاضنة، ويزورها سنويًّا مجلس الزعماء العشرين. ظل عدم بنائهم لأقبيتهم وحاضناتهم بالقرب منهم لغزًا على الدوام بالنسبة لي، مثله مثل الألغاز المريخية العديدة الأخرى غير المحلولة والمستعصية على الحل بمنطق وعادات كوكب الأرض.

تضاعفت واجبات سولا الآن، حيث أصبحت مضطرة لرعاية المريخي الصغير بالإضافة إلى رعايتي، لكن كلانا لم يتطلب قدرًا

كبيرًا من الاهتمام؛ ونظرًا لأن معرفتنا بالتعليم المريخي كانت على قدم المساواة، أخذت سولا على عاتقها تدريبنا معًا.

كان صغيرها ذكرًا يبلغ طوله حوالي أربعة أقدام، يتسم بالقوة والكمال الجسدي. كما كان أيضًا سريع التعلُّم، واستمتعنا كثيرًا - على الأقل أنا استمتعت - بتنافسنا الشديد. قلت سابقًا إن لغة المريخ بسيطة للغاية؛ فتمكنت في غضون أسبوع أن أُعبر عن جميع رغباتي وأن أفهم تقريبًا كل شيء يقال لي. وبالمثل، تمكنت تحت إرشاد سولا من تطوير التخاطر لدي بحيث سرعان ما أصبحت قادرًا عمليًّا على الشعور بكل شيء يجري حولي.

كان أكثر ما فاجأ سولا هو قدرتي على فهم رسائل تخاطر الآخرين بسهولة، وغالبًا عندما لا تكون موجهة لي، بينما لا يمكن لأحد أن يقرأ مثقال ذرة من ذهني تحت أي الظروف. ضايقني ذلك في البداية، لكنني سعدت به لاحقًا لأنه أعطاني ميزة مؤكدة على المريخ.

(٨)

أسيرة جميلة من السماء

تحركنا للعودة في اليوم الثالث بعد مراسم الحاضنة. وبمجرد خروج قائد الموكب بشق الأنفس من الوادي الضيق إلى الأرض المفتوحة أمام المدينة، صدرت الأوامر بالعودة الفورية السريعة. ولأن المريخيين الخُضر تدربوا لسنوات على هذا النوع من التغيير السريع، فقد ذابوا كالضباب في المداخل المتسعة للمباني القريبة، بحيث أصبح الموكب بأسره غير مرئي على الإطلاق في أقل من ثلاث دقائق – بعرباته وحيواناته المستودون ومحاربيه الراكبين.

دخلت مع سولا إلى مبنى يقع في مقدمة المدينة، وفي الواقع هو نفس المبنى الذي واجهت فيه القرود. ونظرًا لأنني كنت أرغب في معرفة سبب التراجع المفاجئ، فقد صعدت إلى طابق أعلى وألقيت نظرة من النافذة على الوادي والتلال التي تقع خلفه؛ وهنا رأيت سبب سرعتهم المفاجئة للاختباء. إنها سفينة فضائية ضخمة، طويلة ومنخفضة، ومطلية باللون الرمادي، تتمايل ببطء فوق قمة أقرب تل. وصلت بعدها سفينة فضائية أخرى، وتوالى وصول تلك السفن حتى وصل عددها إلى عشرين

سفينة تتمايل منخفضة فوق سطح الأرض، وتتحرك ببطء ومهابة تجاهنا.

كانت كل منها تحمل راية غريبة تتأرجح من الجذع إلى المؤخرة فوق الأجزاء العلوية، ومرسومًا على مقدمة كل منها شعار غريب يلمع في ضوء الشمس، ويظهر بوضوح حتى من المسافة التي تبعدنا عنها. تمكنت من رؤية أشخاص يتجمهرون على الأسطح الأمامية والأجزاء العلوية لسفينة الفضاء. لا أعرف ما إذا اكتشفوا وجودنا، أو ينظرون ببساطة إلى المدينة المهجورة، لكنهم على أية حال تلقوا استقبالًا فظًّا، حيث أطلق المحاربون المريخيون الخُضر فجأة ودون سابق إنذار وابلًا هائلًا من الرصاص من نوافذ المباني التي تواجه الوادي الصغير الذي تتقدم خلاله سلميًّا تلك السفن الفضائية الكبيرة.

وعلى الفور تغيرت الساحة كأنما بالسحر؛ فقد حركت السفينة الأمامية مقدمتها تجاهنا، وردت بإطلاق النار علينا، وتحركت في الوقت نفسه موازية لجبهتنا لمسافة قصيرة ثم عادت إلى الوراء مع نية واضحة لإكمال دائرة كبرى تجعلها في موقع معاكس مرة أخرى لخط نيراننا. جاءت السفن الأخرى في أعقابها، وفتحت جميعها النيران علينا وهي تتخذ موقعها. لم نقلل أبدًا من نيراننا، وأشك أن خمسة وعشرين في المائة من طلقاتنا ذهبت هباء. لم يُتح لي من قبل رؤية مثل هذه الدقة القاتلة للهدف، ويبدو أن عددًا قليلًا على أحد هذه السفن كان يسقط مع انفجار كل رصاصة، بينما كانت اللافتات والأجزاء العلوية تذوب في تدفقات اللهب، إذ كانت قذائف المحاربين العصية على المقاومة تتحرك خلالها.

لم تكن نيران السفن فعالة في أغلبها، ويرجع ذلك – كما عرفت لاحقًا – إلى وابل الرصاص الأول المفاجئ على نحو غير متوقع، مما جعل أطقمها غير مستعدين تمامًا، وأجهزة الرؤية بالبنادق غير محمية من تصويب محاربينا القاتل.

ويبدو أن كل محارب من المحاربين الخُضر كان يصوب على أهداف محددة في ظل ظروف الحرب المتطابقة نسبيًّا. فعلى سبيل المثال، كانت نسبة منهم – ودائمًا أفضل الرماة – توجه نيرانها كلية على جهاز الكشف والرؤية اللاسلكي الموجود في الأسلحة النارية الكبيرة لدى القوة البحرية المهاجِمة؛ وتوجه مجموعة أخرى نيرانها بنفس الطريقة على البنادق الأصغر؛ ويصوب آخرون نحو المدفعية؛ وغيرهم نحو الضباط؛ بينما تركز مجموعات أخرى اهتمامها على باقي أفراد الطاقم في الجزء العلوي، وعلى معدات القيادة والمراوح.

بعد عشرين دقيقة من الهجمة الأولى، تحرك الأسطول الكبير متأرجحًا في الاتجاه الذي ظهر منه في البداية. تحركت العديد من السفن الفضائية متداعية بوضوح، وبالكاد تحت سيطرة طواقمها المستنفدة. توقف تمامًا إطلاقهم للنار، تركزت كل طاقاتهم على الهروب. وهنا هرع محاربونا إلى أسطح المباني التي نحتلها، وتابعوا الأسطول الحربي المنسحب بوابل مستمر من النيران القاتلة.

على أن السفن نجحت في الانخفاض، واحدة تلو الأخرى، أسفل قمم التلال البعيدة حتى أصبحت بالكاد سفينة متحركة واحدة في مرمى البصر. وقد تلقت أشرس نيراننا، ويبدو أنها كانت خالية تمامًا من

الرجال، حيث لم يكن مرئيًّا أي شخص يتحرك على سطحها. تمايلت ببطء في مسارها، وحلقت نحونا مرة أخرى بطريقة غير منتظمة وبائسة. وعلى الفور أوقف المحاربون إطلاق النار، حيث كان واضحًا تمامًا أن السفينة عاجزة بالكامل؛ فبعيدًا عن أنها لم تكن في وضع يمكنها من إلحاق الأذى بنا، لم تكن قادرة حتى على التحكم في نفسها بما يكفي للفرار.

وعندما اقتربت السفينة من المدينة، اندفع المحاربون مسرعين نحو الأرض المنبسطة لملاقاتها، لكنها كانت لا تزال مرتفعة بحيث يمكنهم الأمل في الوصول إلى سطحها. تمكنت من موقع مراقبتي عند النافذة من رؤية أجساد طاقمها متناثرة، على الرغم من أنني لم أستطع تحديد نوع وطبيعة هذه المخلوقات. لم تظهر أي علامة على الحياة في السفينة، حيث جنحت ببطء مع النسيم الخفيف في اتجاه الجنوب الشرقي.

كانت تنجرف مرتفعة عن الأرض بحوالي خمسين قدمًا، ويتبعها جميع المحاربين ما عدا بعض مئات منهم، الذين صدرت إليهم الأوامر بالعودة إلى الأسطح لتغطية إمكانية عودة الأسطول، أو لتقوية التعزيزات. وسرعان ما أصبح واضحًا أن السفينة سترتطم بواجهات المباني التي تبعد عن موقعنا بحوالي ميل جنوبًا. وخلال مشاهدتي للتقدم المحرز في المطاردة، رأيت عددًا من المحاربين يركضون للأمام ويترجلون ثم يدخلون إلى المبنى الذي بدت السفينة متجهة نحوه.

عندما اقتربت السفينة من المبنى، وقبل أن ترتطم به مباشرة، هرع نحو نوافذها المحاربون المريخيون، وتمكنوا برماحهم الكبيرة من

تخفيف صدمة الارتطام، ونجحوا خلال لحظات قليلة في إلقاء خُطافات للإمساك بالسفينة بإحكام، وبالتالي تمكن الزملاء من سحبها إلى الأرض.

اندفعوا بعد ذلك نحو جانبي السفينة وقاموا بتفتيشها كاملًا. رأيتهم وهم يتفحصون البحارة القتلى، من الواضح أنهم يختبرون علامات الحياة عليهم. والآن، ظهرت مجموعة منهم من أسفل، تسحب معها شخصًا صغيرًا. كان طول هذا المخلوق أقل بكثير من نصف طول المحارب المريخي الأخضر؛ وتمكنت أن أرى من شرفة النافذة أنه يسير منتصب القامة على قدمين، وخمنت أنه مسخ مريخي جديد وغريب لم أتعرف عليه بعد.

ألقوا بسجينهم على الأرض، ثم بدأوا سرقة منتظمة للسفينة. تطلبت هذه العملية عدة ساعات، وخصصوا عددًا من العربات لنقل المسروقات التي تضمنت أسلحة، وذخيرة، وحريرًا، وفراء، ومجوهرات، وأوعية حجرية منحوتة بشكل غريب، وكمية من الأطعمة الصلبة والسوائل، بما فيها العديد من براميل المياه التي أراها للمرة الأولى منذ وصولي إلى المريخ.

بعد إنزال آخر حمولة، اصطف المحاربون وسحبوا السفينة نحو الوادي في اتجاه الجنوب الغربي؛ ثم صعد عليها عدد قليل منهم وانخرطوا، كما يبدو من موقعي البعيد، في إفراغ محتويات قوارير مختلفة فوق جثث البحارة وعلى أسطح السفينة وأجزائها العلوية.

وبانتهاء هذه العملية، تسلقوا جانبيها بسرعة وانزلقوا على أسفل الحبال إلى الأرض. استدار آخر محارب يغادر السفينة وألقى شيئًا

عليها، وانتظر لحظة ليعرف نتائج عمله. وبمجرد أن انطلقت شرارة لهب ضعيفة من النقطة التي أصابها الصاروخ، تأرجح المحارب على الجانب وسرعان ما كان على الأرض، وفي الوقت نفسه جرى تفكيك الحبال. أما السفينة الحربية الكبيرة، فقد خف وزنها بإزالة المسروقات، فارتفعت بمهابة في الهواء، بينما أصبحت أسطحها وأجزاؤها العلوية كتلة طافية من اللهب.

جنحت السفينة ببطء ناحية الجنوب الشرقي وهي ترتفع تدريجيًّا، حيث التهمت النيران أجزاءها الخشبية وقلصت من وزنها. صعدت إلى سطح المبنى وبقيت أشاهدها لساعات، حتى غابت أخيرًا عن نظري واختفت في قتامة بُعد المسافة. كان المشهد مذهلًا إلى أقصى حد؛ تأملت هذه المحرقة الجنائزية القوية العائمة، حيث تنجرف السفينة دون توجيه ودون أشخاص عبر الامتداد اللانهائي المنعزل لسماء المريخ؛ سفينة مهجورة يلفها الموت والدمار، تُجسد قصة حياة هذه المخلوقات الغريبة الشرسة التي حملني مصيري إلى أياديهم غير الودودة.

شعرت باكتئاب شديد لم أتبين أسبابه، فنزلت ببطء إلى الشارع. يبدو أن المشهد الذي رأيته كان علامة على هزيمة وإبادة قوات شعب من أصل واحد، أكثر منه تحديدًا من جانب المحاربين الخُضر لمسار جحافل من مخلوقات مماثلة، وإن كانت غير ودودة. لم أتمكن من سبر أغوار هذه الهلوسة الظاهرة، كما لم أتمكن من تحرير نفسي منها؛ لكنني شعرت في مكان ما في أعماق روحي بشوق غريب تجاه هؤلاء الخصوم المجهولين، وسرى داخلي أمل قوي أن يعود الأسطول لتصفية حسابه

مع المحاربين الخُضر الذين هاجموه بلا شفقة أو رحمة.

سار كلب الصيد وولا في أعقابي، فهو الآن في مكانه المعتاد. وعندما وصلت إلى الشارع، هرعت سولا نحوي كأنما تبحث عني. كان على الموكب أن يعود إلى الساحة، حيث كانت مسيرة العودة قد توقفت في ذلك اليوم؛ كلا، لم تُستأنف المسيرة في الواقع إلا بعد أكثر من أسبوع، نظرًا للخوف من هجوم مضاد من السفينة الفضائية.

كان لوركواس بتوميل محاربًا قديمًا شديد الذكاء، تحول حكمته دون الإمساك به في السهول المنبسطة ومعه قافلة تضم عربات وأطفال؛ ولذا بقينا في المدينة المهجورة إلى أن تأكد زوال الخطر.

ما إن دخلت الساحة مع سولا، حتى رأيت مشهدًا ملأ كياني كله بموجة كبيرة من مشاعر الأمل والخوف والابتهاج والاكتئاب المختلطة. على أن الشعور المهيمن كان إحساسًا خفيًّا بالارتياح والسعادة؛ فبمجرد اقترابنا من جمهور المريخيين، اقتنصت لمحة إلى أسير سفينة المعركة الذي سحبته بقسوة امرأتان من المريخيات الخُضر إلى مبنى قريب.

أما المشهد الذي رأيته، فكان لشخصية نسائية نحيلة، تشبه في كل التفاصيل نساء كوكب الأرض في حياتي الماضية. لم ترني بداية، لكنها استدارت قبل أن تختفي عبر بوابة المبنى الذي سيصبح سجنها، والتقت عيناها بعيناي. كان وجهها بيضاويًّا وجميلًا إلى أقصى درجة، وكان كل ملمح من ملامحها مرسومًا بنعومة وبديعًا؛ عيناها كبيرتان ولامعتان، ويعلو رأسها كتلة من الشعر الأسود الفاحم المموج، مربوط بشكل فضفاض على هيئة تسريحة غريبة وإن كانت لائقة. وبشرتها من اللون

النحاسي الضارب إلى الحمرة الخفيفة، بحيث يشرق الوهج القرمزي لخديها والأحمر الياقوتي لشفتيها الجميلتين على نحو يبعث بتأثير غريب غامر.

لم تكن ترتدي شيئًا، مثلها مثل المريخيات الخُضر اللاتي رافقنها؛ ففي ما عدا حُليها جيدة الصنع، كانت في واقع الأمر عارية تمامًا، ولم يكن ممكنًا لأي ملابس أن تعزز جمال قوامها الكامل المتناسق.

عندما التقت نظراتها بنظراتي، اتسعت عيناها مدهوشة، وأشارت بيدها غير المقيدة إشارة صغيرة لم أفهمها بطبيعة الحال. حدقنا تجاه بعضنا لمجرد لحظة، ثم خفت نظرة الأمل والشجاعة المتجددة التي كللت وجهها عندما اكتشفتني، وتحولت إلى اكتئاب تام مختلط بالتقزز والاحتقار. أدركت أنني لم أجب على إشارتها؛ ونظرًا لأنني كنت أجهل العادات المريخية، شعرت بحدسي أنها كانت تنشد العون والحماية لكن جهلي المؤسف حال دون ردي عليها. ثم سحبوها، وغابت عن نظري حيث دخلت إلى أعماق الصرح المهجور.

(٩)

أتعلم اللغة

عندما عدت إلى نفسي، ألقيت نظرة على سولا التي شهدت هذا اللقاء؛ وفوجئت بملاحظة تعبير غريب على ملامحها التي كانت عادة دون تعبير. لا أعرف فيما كانت تفكر، فلم أكن قد تعلمت سوى القليل من اللغة المريخية؛ ما يكفي فقط لتلبية احتياجاتي اليومية.

وجدت عند وصولي إلى مدخل المبنى مفاجأة غريبة في انتظاري. اقترب محارب يحمل الأسلحة والحُلي بكامل ملحقاتها. قدم لي هذه الأشياء وهو ينطق ببضع كلمات غير مفهومة، تحمل الاحترام والتهديد في آن.

قامت سولا في وقت لاحق، بمساعدة العديد من النساء الأخريات، بإعادة ضبط الأغطية المزركشة لتتناسب وحجمي الأصغر. وبعد انتهاء عملهن، أصبحت أتجول مرتديًا زي الحرب.

منذ ذلك اليوم فصاعدًا، بدأت سولا تعلمني أسرار الأسلحة المختلفة. وكنت أمضي مع الشباب المريخي عدة ساعات يوميًّا للتمرين في الساحة. لم أكن قد أتقنت بعد جميع الأسلحة، لكن معرفتي الهائلة

بالأسلحة المماثلة على كوكب الأرض جعلتني تلميذًا ماهرًا بشكل غير عادي، وتقدمت بطريقة مُرضية للغاية.

كان تدريبي وتدريب المريخيين الشباب لا تقوم به سوى النساء، اللاتي لم يقتصر عملهن على تعليم الشباب فنون الدفاع والهجوم الفردي، بل امتد ليشمل أيضًا تعليم الحرفيين الذين ينتجون كل البنود التي يصنعها المريخيون الخُضر. فهم يصنعون البارود، والأعيرة النارية، والأسلحة. وفي واقع الأمر، تتولى النساء إنتاج كل شيء ذا قيمة. كما تشكل النساء في زمن الحرب الفعلية جزءًا من الاحتياطي، وعند الضرورة يحاربن بذكاء وضراوة أكثر حتى من الرجال.

يتدرب الرجال على الفروع العليا من فن الحرب؛ في مجال الاستراتيجية والمناورة التي تمارسها مجموعة كبيرة من القوات. وهم يضعون القوانين حسب احتياجاتهم؛ قانون جديد لكل حالة طارئة. ولا تقيدهم السوابق في مجال إقامة العدل. انتقلت الأعراف والتقاليد إليهم عبر تكرارها لعصور، لكن عقوبة تجاهل أحد التقاليد تُعد شأنًا من شؤون العلاج الفردي عن طريق هيئة محلفين من أقران الجاني. ويمكنني القول إن العدالة نادرًا ما تخطئ التصويب، بل يبدو بالأحرى أنها تحكم بنسبة عكسية لسطوة القانون. هناك جانب واحد على الأقل لسعادة المريخيين؛ ليس لديهم محامين.

لم أتمكن من رؤية الأسيرة مرة أخرى لعدة أيام بعد أول لقاء لنا، لكنني لمحتها بشكل عابر فقط عندما أخذوها إلى القاعة العامة الكبرى، التي التقيت فيها للمرة الأولى مع لوركواس بتوميل. يجب أن أشير إلى

القسوة والوحشية غير الضرورية التي تعاملها بها حارساتها؛ ما يختلف كثيرًا عن عطف الأم تقريبًا الذي أظهرته سولا تجاهي، والموقف المحترم للمريخيين الخُضر القليلين الذين تكبدوا عناء مراقبتي.

وقد لاحظت في مناسبتين، عندما رأيتها، أن الأسيرة تبادلت كلمات مع حارساتها، وهو ما أقنعني أنهن يتحدثن لغة مشتركة، أو على الأقل يمكنهن فهمها. وبهذا الحافز الإضافي، أربكت سولا تقريبًا بإلحاحي على الإسراع في تعليمي، وفي غضون بضعة أيام أخرى أتقنت اللغة المريخية بما يكفي لإجراء محادثة مقبولة، وأن أفهم بالكامل عمليًّا كل ما أسمعه.

في ذلك الوقت، كان يشغل مكان إقامتنا ثلاث أو أربع نساء، وصغيران خرجا من البيض مؤخرًا، هذا بالإضافة لي، وسولا وجناحها من الشباب، وكلب الصيد وولا. وبعد خلودهم للراحة ليلًا، اعتاد البالغون أن يثرثروا لفترة قصيرة قبل النوم. وقد أصبحت الآن أحرص دائمًا على الإصغاء باهتمام، نظرًا لفهمي لغتهم، على الرغم من عدم مشاركتي في الحديث.

في الليلة التي تلت زيارة الأسيرة للقاعة العامة، دارت المحادثة حول هذا الموضوع، وكنت في هذه اللحظة كلي آذان صاغية. خشيت أن أسأل سولا عن الأسيرة الجميلة، فلا يمكنني أن أنسى التعبير الغريب الذي لاحظته على وجهها بعد لقائي الأول مع الأسيرة. لا أستطع القول إنه ينم عن الغيرة، لكني لا زلت حتى الآن أحكم على كل الأمور بمعايير كوكب الأرض، ولذا شعرت من الأفضل التظاهر باللامبالاة في هذه

المسألة إلى أن تأكدت بمزيد من اليقين أن موقف سولا كان ينم عن العناية.

كانت ساركوجا – وهي إحدى النساء الأكبر سنًّا اللاتي يشاركننا مسكننا – موجودة بين الحضور وهي إحدى حارسات الأسيرة، ولذا توجهت الأسئلة إليها.

تساءلت امرأة: «متى سنستمتع بسكرات موت هذه الحمراء؟ أم ينوي لوركواس بتوميل، جِد، أن يحتفظ بها للحصول على فدية؟»

أجابت ساركوجا: «لقد قرروا أن نأخذها معنا عند عودتنا مرة أخرى إلى ثارك، وعرض عذاباتها الأخيرة في المباريات الكبرى أمام تال هاجوس».

واستفسرت سولا: «كيف سيتخلصون منها؟ إنها صغيرة جدًّا وجميلة جدًّا؛ وكنت آمل أن يحافظوا عليها مقابل الحصول على فدية».

زمجرت ساركوجا والنساء الأخريات غضبًا من ضعف سولا الواضح.

واندفعت ساركوجا قائلة: «من المحزن، سولا، أنك لم تولدي من مليون سنة، عندما كانت جميع تجاويف الأرض مليئة بالمياه، وكان الناس بنفس نعومة المادة التي يبحرون فوقها. لقد تقدمنا في عالم اليوم إلى حيث تُعتبر هذه المشاعر علامة ضعف وارتداد. ليس جيدًا بالنسبة لك أن تتيحي الفرصة لتارس تاركاس أن يعرف أنك تحملين مثل هذه المشاعر الفاسدة، كما أنني أشك في أنه سيكلفك بمسؤوليات الأمومة الجسيمة».

ردت سولا: «لا أرى أي خطأ في تعبيري عن الاهتمام بهذه المرأة الحمراء، فلم تضرنا أبدًا، ولم تكن لتضرنا إذا سقطنا في أيديها. إنهم فقط الرجال من جنسها هم من يشنون الحرب علينا، وكنت أفكر دائمًا أن موقفهم تجاهنا ليس سوى انعكاس لموقفنا تجاههم. إنهم يعيشون في سلام مع جميع رفاقهم، إلا عندما يدعوهم واجب الحرب، بينما نحن لسنا في سلام مع أي شيء؛ نحن في حرب أبدية مع جنسنا نفسه، وكذلك مع الرجل الأحمر، وحتى في جماعاتنا يتحارب الأفراد فيما بينهم. أوه، إنها فترة مستمرة وفظيعة من سفك الدماء، من لحظة كسر قشرة البيضة إلى أن نلقي بأنفسنا سعداء في حضن نهر الغموض، نهر الإيس المظلم القديم الذي يحملنا إلى المجهول، ولكن على الأقل إلى وجود خال من الخوف والرعب! إنه لمحظوظ بالفعل من يصل إلى نهايته في موت مبكر. قولي ما يحلو لك لتارس تاركاس، فهو لن يعاقبني بمصير أسوأ من استمرار هذا الوجود المرعب المفروض علينا في هذه الحياة».

فوجئت بثورة سولا إلى حد كبير، كما صُدِمت النساء الأخريات اللاتي صمتن تمامًا بعد توبيخها ببضع كلمات وسرعان ما غلبهن النعاس. أكدت لي هذه الواقعة شيئًا واحدًا، وهو مشاعر سولا الودودة تجاه الفتاة البائسة، كما أقنعتني أنني كنت محظوظًا بالوقوع في أيديها وليس في أيادي بعض أولئك النساء الأخريات. كنت أعرف أنها مغرمة بي، لكنني أثق الآن وبعد أن اكتشفت أنها تكره القسوة والوحشية، أن بإمكاني الاعتماد عليها لمساعدتي ومساعدة الفتاة الأسيرة على الهرب، شريطة بالطبع أن يحدث ذلك في إطار الإمكانيات المتاحة.

لا أعرف حتى إن كانت هناك أي ظروف أفضل للهرب، لكن استعدادي لتجربة فرصتي بين أناس يشبهونني كان أكبر من استمراري لفترة أطول بين هؤلاء الرجال المريخيين الخُضر البشعين والمتعطشين للدماء. ولكن، إلى أين أذهب، وكيف. شغل هذا اللغز المُحير تفكيري، بقدر ما كان البحث من قديم الأزل عن ربيع الحياة الأبدية يشغل تفكير رجال كوكب الأرض منذ بدء الزمان.

وقررت اقتناص أول فرصة لأطلب من سولا سرًّا وبصراحة مساعدتي. وباتخاذي هذا القرار القوي، تقلبت بين الحرير والفراء ونمت نومًا منعشًا بلا أضغاث أحلام لأول مرة على المريخ.

(١٠)

بطل وزعيم

استيقظت مبكرًا في صباح اليوم التالي. أتاحت لي سولا قدرًا كبيرًا من الحرية، حيث أبلغتني أنني حر في التحرك كما يحلو لي ما دمت لا أحاول مغادرة المدينة. على أنها حذرتني من مغامرة التجول دون سلاح، حيث إن هذه المدينة، مثلها مثل جميع مدن المريخ الكبرى الأخرى المهجورة، يسكنها القرود البيض الكبار الذين رأيتهم خلال مغامرة يومي الثاني.

وأوضحت سولا، وهي تنصحني بضرورة عدم مغادرة حدود المدينة، أن وولا سيمنعني على أي حال إذا ما حاولت ذلك؛ وألحت في تحذيري من إثارة طبيعة وولا الشرسة بتجاهل تحذيراته إذا غامرت بالاقتراب من الأراضي المحظورة. وقالت إن طبيعته هذه ستجعله يعيدني إلى المدينة حيًّا أو ميتًا إذا ما واصلت معارضته؛ وأضافت «من الأفضل ميتًا».

اخترت في هذا الصباح طريقًا جديدًا لاستكشافه، ووجدت نفسي فجأة عند حدود المدينة. كانت الوديان الضيقة الجذابة تخترق التلال

المنخفضة أمامي. ومثلي مثل الرواد الذين أنتمي إليهم، كنت مشتاقًا لاستكشاف البلد الذي يقع أمامي لأرى ما قد يكشف عنه المشهد الطبيعي خلف التلال التي تحيط به وتحجب قممها إمكانية الرؤية.

تبادر إلى ذهني أيضًا أنها فرصة ممتازة لاختبار صفات وولا. كنت مقتنعًا أن الوحش يحبني؛ فقد رأيت أدلة عديدة على مودته أكثر من أي حيوان مريخي آخر، رجلًا كان أو وحشًا، كما كنت على يقين من أن امتنانه لإنقاذي حياته مرتين سيفوق ولاءه لواجب يفرضه عليه سادة قساة لا يعرفون الحب.

عندما اقتربت من خط الحدود، ركض وولا أمامي بقلق، ودفع جسده في مواجهة ساقي. كان تعبيره مناشدة وليس شراسة، حيث لم يكشف عن أنيابه الكبيرة أو يطلق زمجراته التحذيرية المخيفة. ونظرًا لافتقاري إلى الصداقة والرفقة مع نوع بشري مثلي، فقد شعرت بمودة كبيرة تجاه وولا وسولا؛ فالإنسان العادي بكوكب الأرض يجب أن يتمتع بمنفذ لمشاعره الطبيعية، ولذا قررت مناشدة غريزة مماثلة لدى هذا الوحش الضخم، موقنًا أنه لن يصيبني بخيبة أمل.

لم ألاطفه أو أداعبه أبدًا، لكنني جلست الآن على الأرض ووضعت ذراعي حول عنقه الضخم وأنا أمرر يدي على شعره وألاطفه، متحدثًا إليه بلُغتي المريخية التي اكتسبتها حديثًا كما لو كنت أتحدث مع كلبي في البيت، أو مع أي حيوان من الحيوانات الصديقة الأخرى. كانت استجابته لإظهاري مشاعري لافتة للنظر إلى حد كبير؛ فتح فمه الكبير إلى أقصى اتساعه، كاشفًا عن جميع أنيابه العليا، وتجعد أنفه حتى أخفت طيات

اللحم تقريبًا عينيه الكبيرتين. من رأى كلبًا من نوع الكولي يبتسم، ربما تكون لديه فكرة عن قدر القبح المشوه الذي ظهر على وجه وولا.

ألقى وولا بنفسه على ظهره متمرغًا عند قدمي؛ وقفز فوقي ليدحرجني على الأرض بوزنه الكبير؛ ثم أخذ يتلوى حولي مثل جرو مرح يعرض ظهره التماسًا للملاطفة. لم أستطع مقاومة طرافة المشهد، وأخذت أهتز من الضحك، وكانت المرة الأولى التي يلمس فيها الضحك شفتي منذ أيام عديدة؛ بل في الواقع هي المرة الأولى التي أضحك فيها منذ صباح اليوم الذي غادر فيه باول المخيم عندما اندفع حصانه، الذي لم يكن يستخدمه منذ فترة طويلة، وأوقعه بسرعة ودون توقع بحيث سقط على رأسه في وعاء للفاصوليا.

أخافت ضحكاتي وولا، فتوقف عن سلوكه الغريب وتقدم بائسًا ببطء نحوي، ودس رأسه القبيح في حضني. وهنا تذكرت أن الضحك في المريخ دلالة على التعذيب والمعاناة والموت. هدأت، ومسحت على رأس وظهر الزميل القديم البائس، وتحدثت معه لبضع دقائق، ثم في لهجة سلطوية أمرته أن يتبعني، وبدأنا صعودنا إلى التل.

انتهت مسألة تحديد السلطة بيننا؛ فقد أصبح وولا من الآن فصاعدًا عبدي المخلص، وأصبحت أنا سيده الوحيد بلا منازع. استغرق سيري نحو التلال مجرد بضع دقائق، ولم أجد شيئًا يتسم بأهمية خاصة تعوضني عن الرحلة. تناثرت العديد من الزهور البرية ذات الألوان الرائعة والأشكال الغريبة في الوديان، ورأيت من قمة التل الأول تلالًا أخرى تمتد نحو الشمال، وترتفع مجموعة فوق الأخرى، حتى اختفت

في جبال هائلة الأبعاد؛ على أنني وجدت بعد ذلك أن ارتفاع بضعة قمم فقط على المريخ يتجاوز أربعة آلاف قدم؛ وبالتالي كان تصوري عن الضخامة مجرد تصور نسبي.

كانت مسيرتي الصباحية تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لي؛ لأنها أسفرت عن تفاهم مثالي مع وولا، الذي اعتمد عليه تارس تاركاس لحراستي. أصبحت أعرف الآن أنني سجين نظريًّا، بينما أتمتع عمليًّا بحريتي؛ فأسرعت إلى العودة لحدود المدينة قبل اكتشاف أسياد وولا السابقين انشقاقه عنهم. وقررت بعد هذه المغامرة ألا أغادر مرة أخرى أبدًا الحدود المرسومة لحركتي إلى أن أصبح مستعدًّا لمغامرة الهروب النهائي؛ فقد يسفر ذلك عن تقليص حريتي، فضلًا عن احتمال قتل وولا إذا كشفونا.

عند العودة إلى الساحة، لمحت للمرة الثالثة الفتاة الأسيرة. كانت تقف مع حارساتها أمام مدخل القاعة العامة؛ وعندما اقتربت، رمقتني بنظرة متعجرفة وحولت ظهرها كاملًا عني. كان سلوكها أنثويًّا تمامًا، يماثل سلوك نساء كوكب الأرض؛ وعلى الرغم من أنه أهان كرامتي، فقد ملأ قلبي دفئًا بمشاعر الرفقة. من الجيد أن أعرف أن هناك شخصًا آخر غيري على كوكب المريخ يمتلك غرائز بشرية متحضرة، حتى وإن كان التعبير عنها مؤلمًا ومُهينًا.

إذا رغبت امرأة مريخية خضراء في إظهار كراهيتها أو احتقارها، فعلى الأرجح ستفعل ذلك بطعنة سيف أو بضغطة من إصبعها على الزناد؛ ولكن نظرًا لأن مشاعرهم أصابها الضمور، يتطلب الأمر جرح خطير لإثارة هذه المشاعر في نفوسهم. واسمحوا لي أن أضيف أن سولا

كانت استثناء؛ فلم أشاهدها أبدًا تقوم بفعل قاس أو فظ، أو تفشل في إبداء طبيعة عطوف وطيبة. لقد كانت في الواقع، كما قالت لها زميلاتها المريخيات، مرتدة؛ ارتدادًا عزيزًا وثمينًا إلى نوع سابق من سلف محبوب ومُحب.

عندما رأيت أن الأسيرة هي مركز الاهتمام، توقفت لمشاهدة الوقائع. لم يمض وقت طويل حتى اقترب لوركواس بتوميل والزعماء وحاشيته من المبنى، وأشار إلى الحارستين أن يتبعاه ومعهما الأسيرة إلى داخل القاعة العامة. ولإدراكي أنني شخصية مفضلة إلى حد ما، وأيضًا لاقتناعي أن المحاربين لا يعرفون إجادتي للغتهم – حيث ناشدت سولا الحفاظ على ذلك سرًّا، على أساس أنني لا أرغب في الاضطرار إلى الحديث مع الرجال إلى أن أتقن لغة المريخ تمامًا – فقد جازفت بمحاولة دخول القاعة العامة والاستماع إلى المحاكمة.

جلس أعضاء المجلس القرفصاء فوق سلالم المنصة، بينما وقفت الأسيرة في مكان أدنى مع الحارستين. كانت ساركوجا إحدى الحارستين، وهكذا فهمت كيف حضرت جلسة اليوم السابق وعرفت النتائج التي قالتها لسكان غرفة نومنا في الليلة الماضية. كان موقفها تجاه الأسيرة أكثر قسوة ووحشية. فعندما تمسك بها، تغرز أظافرها البدائية في لحم الفتاة البائسة، أو تلوي ذراعها بطريقة شديدة الإيلام. وعندما يتطلب الأمر الانتقال من موقع إلى آخر، كانت إما تهزها بخشونة أو تدفعها بتهور. يبدو أنها تعكس على هذه المخلوقة الضعيفة كل الكراهية والقسوة والوحشية – رغم سنواتها التسعمائة – التي تدعمها عصور

يتعذر تخمين عددها من أسلاف شرسة ووحشية.

كانت المرأة الأخرى أقل قسوة لأنها غير مبالية على الإطلاق؛ فإذا كانت الأسيرة قد تُركت لها وحدها، ولحسن الحظ كانت نوبتها في الليل، لم تكن لتلقى معاملة قاسية، وعلى نفس المنوال لم تكن لتلقى أي اهتمام على الإطلاق.

عندما رفع لوركواس بتوميل عينيه لمواجهة الأسيرة، سقط بصره عليّ والتفت إلى تارس تاركاس بكلمة وإيماءة تنم عن نفاد الصبر. لم أتمكن من سماع إجابة تارس تاركاس، لكنها جعلت لوركواس بتوميل يبتسم؛ وبعد ذلك لم يعيراني مزيدًا من الاهتمام.

سأل لوركواس بتوميل الأسيرة: «ما اسمك؟»

أجابت: «ديجاه ثوريس، ابنه مورس كاجاك من هيليوم».

تابع أسئلته: «وما طبيعة الحملة التي جئت معها؟»

أجابت الأسيرة الجميلة، بصوت منخفض قوي: «إنها رحلة بحوث علمية محضة، أرسلها والد والدي، جيداك هيليوم، لإعادة رسم خريطة التيارات الهوائية، وإجراء اختبارات لكثافة الغلاف الجوي».

«لم نكن مستعدين لمعركة»، أضافت الأسيرة، «لأننا كنا في مهمة سلمية، كما دلت على ذلك راياتنا وألوان مركباتنا. والعمل الذي كنا نقوم به يصب في مصلحتكم بقدر ما يصب في مصلحتنا؛ فأنتم تعرفون تمامًا أنه لولا جهدنا وثمار عملياتنا العلمية، لم يكن ليوجد على المريخ ما يكفي من الهواء أو الماء لدعم حياة بشرية واحدة. لقد حافظنا لعصور

على استمرار الهواء وإمدادات المياه على المستوى نفسه تقريبًا دون خسائر، وقد قمنا بذالك في مواجهة وحشية وجهل تدخل رجالك الخُضر».

«لماذا، أوه، لماذا لا تتعلمون العيش في وئام مع رفاقكم. هل عليكم دائمًا الانحدار عبر العصور نحو انقراضكم النهائي ويبقى قليلون منكم على الكوكب مع الوحوش الأغبياء الذين يخدمونكم! شعب بلا لغة مكتوبة، وبلا فن، وبلا منازل، وبلا حب؛ ضحايا عصور فكرة مجتمع الرعب. لقد أسفر امتلاككم المشترك لكل شيء، حتى لنسائكم وأطفالكم، إلى عدم امتلاككم أي شيء مشترك. إنكم تكرهون بعضكم بعضًا، كما تكرهون كل شيء إلا أنفسكم. عودوا إلى طرق أسلافنا المشتركين، عودوا إلى نور التعاطف والمودة. الطريق مفتوح أمامكم، وسوف تجد أيادي الرجال الحُمر ممدودة لمساعدتكم. ولا يزال بإمكاننا معًا أن نفعل الكثير لإحياء كوكبنا الذي يحتضر. إن حفيدة أكبر وأقوى الجيداك الحُمر تطلب منكم ذلك. فهل ستلبون؟»

جلس لوركواس بتوميل والمحاربون ينظرون في صمت واهتمام إلى المرأة الشابة لعدة دقائق بعد أن توقفت عن الكلام. لا يعرف أحد ماذا كان يدور في عقولهم، لكني أعتقد بحق أنهم تأثروا؛ وإن كان بينهم رجلًا واحدًا رفيع المقام وقويًّا بما يكفي لتجاوز الأعراف، لكانت تلك قد أصبحت علامة على بداية حقبة جديدة وقوية للمريخ.

رأيت تارس تاركاس ينهض ليتحدث، وعلى وجهه تعبير لم يسبق أن رأيته أبدًا على ملامح أي محارب مريخي أخضر؛ تعبير يدل على معركة

داخلية وقوية مع النفس، مع الموروث، مع العُرف القديم. وعندما فتح فمه ليتكلم، أضاءت في تلك اللحظة نظرة من اللطف والعطف ملامحه الشرسة والمرعبة.

لم تخرج من شفتيه أبدًا الكلمات التي كان يود قولها في تلك اللحظة، حيث قفز محارب شاب من سلالم المنصة – ومن الواضح أنه استشعر اتجاه تفكير الرجال الأكبر سنًّا – ووجه للأسيرة الضعيفة ضربة قوية على وجهها أسقطتها على الأرض، ووضع عليها قدمه، ثم استدار في اتجاه المجلس المجتمع وهو يطلق وابلًا من الضحك البشع بلا رحمة.

تصورت للحظة أن تارس تاركاس سيرديه قتيلًا، ولم يكن مظهر لوركواس بتوميل يدل على استحسانه للسلوك الغاشم، لكن هذا المِزاج انتهى، وأكدت نفوسهم القديمة أفضليتهم مجددًا، وابتسموا. غير أن عدم ضحكهم بصوت عال كان مبشرًا، فوفقًا للأخلاقيات التي تحكم فكاهة المريخيين الخُضر، يعتبر المتوحشون أن هذا السلوك يُشكّل فكاهة مسلية.

استغرقتني كتابة هذا الجزء مما حدث لحظات، لكن تلك اللطمة لا تعني أنني بقيت متراخيًا لأي فترة زمنية. وأعتقد أنني شعرت بما هو قادم، ذلك أنني أدرك الآن أنني قفزت بمجرد ما رأيت اللطمة موجهة إلى وجهها الجميل المنقلب والمتضرع، وقبل أن تهبط اليد على وجهها كنت قد وصلت إلى منتصف الطريق ناحيتها عبر القاعة.

لم تجلجل ضحكته البشعة إلا مرة واحدة، إذ قفزت فوقه. كان طول المتوحش ١٢ قدمًا ومدججًا بالسلاح، لكنني أعتقد أن قفزتي الغاضبة

الهائلة استأثرت بانتباه جميع حضور القاعة. بهذه القفزة العالية أصبته كاملًا بضربة في وجهه وهو يستدير نحو صرختي التحذيرية، فاستل سيفه القصير، وفعلت الشيء نفسه وأصبته بضربة أخرى في صدره. شبكت إحدى أرجلي بمؤخرة مسدسه وأمسكت أحد أنيابه الضخمة بيدي اليسرى، بينما أواصل ضرب صدره الضخم.

لم يتمكن من استخدام سيفه القصير لأنني كنت على مقربة منه، كما لم يتمكن من سحب مسدسه – الذي حاول سحبه بما يتعارض مباشرة مع العادات المريخية التي تقول بعدم مقاتلة محارب زميل في عراك شخصي بأي سلاح غير السلاح الذي هوجمت به. وفي واقع الأمر، لم يكن بإمكانه أن يفعل أي شيء غير القيام بمحاول جامحة غير مجدية لإزاحتي. ومع كل كتلته الضخمة، لم يكن أقوى مني كثيرًا، وكانت المسألة مجرد لحظة أو لحظتين قبل أن يسقط على الأرض هامدًا وهو ينزف.

رفعت ديجاه ثوريس نفسها على كوع إحدى يديها وأخذت ترقب المعركة بعيون واسعة محدقة. وعندما وقفت على قدمي، رفعتها بذراعي وحملتها إلى أحد المقاعد في جانب الغرفة.

ومرة أخرى لم يتدخل أي مريخي. مزقت قطعة حرير من معطفي واستخدمتها في محاولة وقف تدفق الدم من أنفها، وسرعان ما نجحت لأن جراحها لم تزد كثيرًا عن نزف أنفي عادي. وعندما أصبحت قادرة على الكلام، وضعت يدها على ذراعي ونظرت في عيني وقالت:

«لماذا فعلت ذلك؟ لقد رفضت حتى مجرد التعامل الودي معي في

الساعة الأولى لتعرضي للخطر! والآن تخاطر بحياتك وتقتل أحد رفاقك من أجلي. أنا لا أفهم. يا لغرابة سلوكك؛ فأنت من أقران الرجال الخُضر، على الرغم من أن هيئتك مثل هيئة جنسي، بينما لونك أغمق قليلًا من لون القرد الأبيض؟ قل لي، هل أنت من البشر، أم أكثر من البشر؟»

قلت لها: «إنها قصة غريبة، ويصعب أن أحكيها لك الآن لأنها طويلة، كما أشك كثيرًا أن يصدقني الآخرون، وأخشى أن تتأثر مصداقيتي. ويكفي في الوقت الحاضر أن تعرفي أنني صديقك وحاميك وخادمك بقدر ما يسمح من أسرونا».

«إذن أنت أسير أيضًا؟ ولكن لماذا لديك أسلحة وشعارات زعيم ثاركي؟ ما اسمك؟ وما بلدك؟»

«نعم، ديجاه ثوريس، أنا أيضًا أسير. اسمي جون كارتر، وأنا من فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، من كوكب الأرض، وطني. لكنني لا أعرف لماذا سمحوا لي بهذه الأسلحة، كما لم أكن أعرف أنني أرتدي شعارات الزعماء».

انقطع حديثنا هنا باقتراب أحد المحاربين، محملًا بالأسلحة والتجهيزات والحلي، وفي لحظة تمت الإجابة على أسئلتها وتم حل لغز بالنسبة لي. رأيت أنهم جردوا خصمي الميت من أشيائه، وقرأت في موقف المحارب الذي قد جلب لي غنائم المعركة نفس السلوك التهديدي المختلط بالاحترام الذي أظهره الآخرون الذين جلبوا لي المعدات الأصلية. وقد أدركت الآن للمرة الأولى أن ضربتي في أول معركة بالقاعة العامة أسفرت عن وفاة خصمي.

اتضح الآن سبب الموقف كله تجاهي؛ فقد انتصرت على خصمي، وفي مفهوم العدالة البدائية - التي تشكل دائمًا تعاملات المريخيين، وجعلتني، من بين أمور أخرى، أن أدعوه كوكب المفارقات - يجب منحي الشرف الواجب للمنتصر، أي حاجيات الرجل الذي قتلته والموقع الذي يشغله. لقد أصبحت في الحقيقة زعيمًا مريخيًّا، ولم أعرف سوى لاحقًا أن هذا كان سبب الحرية الكبيرة التي أتمتع بها والتسامح معي في القاعة العامة.

عندما استدرت لتلقي حاجيات المحارب الميت، لاحظت أن تارس تاركاس والعديد غيره يتقدمون نحونا، وعيون تارس تاركاس مستقرة نحوي بطريقة ساخرة. وأخيرًا خاطبني:

«تتحدث لغة برسوم بسهولة بالنسبة لشخص كان أصمًّا وأبكمًا قبل أيام قليلة. أين تعلمتها، جون كارتر؟»

أجبته: «أنت نفسك المسؤول عن ذلك، تارس تاركاس، فقد منحتني مُدربة ذات قدرة رائعة؛ يجب أن أشكر سولا على تعليمي».

قال: «لقد أحسنت، لكن تعليمك في نواح أخرى يحتاج إلى صقل كبير. هل تعرف ماذا كانت ستكلفك جرأتك غير المسبوقة في حالة فشلك في قتل أي من الزعيمين اللذين ترتدي حاجياتهما الآن؟».

أجبته مبتسمًا: «أفترض أن من أخفقت في قتله، كان ليقتلني».

«كلا، أنت مخطئ. لا يقتل المحارب المريخي أسيرًا إلا في أقصى حالات الدفاع عن النفس؛ فنحن نحتفظ بالأسرى لأغراض أخرى»؛

وكان وجهه ينم عن احتمالات لا يسرني التفكير فيها.

وتابع قائلًا: «لكن هناك شيئًا واحدًا يمكن أن ينقذك الآن. إذا اعتبرك تال هاجوس جديرًا بخدمته، اعترافًا ببسالتك وضراوتك وبطولتك الرائعة، يمكن إدخالك في الجماعة وتصبح ثاركيًّا بالكامل. وحتى نصل إلى مقر تال هاجوس، يريد لوركواس بتوميل منحك الاحترام الذي تستحقه أفعالك. لن نعاملك كزعيم ثاركي، لكن عليك ألا تنسى أن كل زعيم في مرتبتك مسؤول عن وصولك بأمان إلى حاكمنا القوي والأكثر شراسة. انتهى كلامي».

أجبته: «أفهمك تارس تاركاس. أنت تعلم أنني لست من برسوم؛ وأساليبي ليست أساليبكم، ولا يمكنني العمل في المستقبل إلا كما كنت أعمل في الماضي، وفقًا لما يمليه ضميري واسترشادًا بمعايير شعبي. إذا تركتني لحالي، سوف أغادر في سلام؛ وإذا لم تفعل، دع البارسوميين الأفراد الذين يجب أن أتعامل معهم إما يحترمون حقوقي كشخص غريب بينكم، أو يتحملون تبعات ما قد يحدث. لكن هناك شيئًا واحدًا يجب أن نؤكده هنا، مهما تكن نواياكم النهائية نحو هذه الشابة البائسة، فإن كل من يسبب لها إصابة أو إهانة في المستقبل يجب أن أتولى محاسبته كاملًا. أنا أعرف أنكم تقللون من شأن جميع مشاعر الكرم والتعاطف، لكنني لا أقلل من شأنها؛ ويمكنني أن أقنع أشجع محارب لديكم أن هذه الصفات لا تتنافى والقدرة على القتال».

لا ألقي عادة خطبًا طويلة، ولم أنحدر أبدًا إلى الكلام المنمق، لكنني خمنت أن خطابي هذا يمكن أن يضرب وترًا في صدور المريخيين

الخُضر. ولم أكن مخطئًا، فقد كان لخطبتي أعمق الأثر عليهم، واستمر موقفهم تجاهي محترمًا.

بدا تارس تاركاس نفسه سعيدًا بردي، لكن تعليقه الوحيد كان غامضًا بعض الشيء: «وأعتقد أنني أعرف تال هاجوس، جيداك ثارك».

حولت انتباهي الآن إلى ديجاه ثوريس، وساعدتها على الوقوف على قدميها واستدرنا معًا نحو باب الخروج، متجاهلين حارستيها المزعجتين اللتين تحومان حولها، فضلًا عن نظرات الاستفسار لدى الزعماء. أنا الآن زعيم أيضًا! حسنًا، إذن يمكنني أن أتولى إحدى مسؤولياتهم. لم يتحرشوا بنا، وبالتالي سارت ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، وجون كارتر، السيد المحترم من فرجينيا، وتابعهما وولا المُخلص بين ثاركيي برسوم، في ظل الصمت المطلق للقاعة العامة للوركواس بتوميل، جِد.

(١١)

مع ديجاه ثوريس

عندما وصلنا إلى المخرج، أسرعت الحارستان المكلفتان بمراقبة ديجاه ثوريس وتصرفتا كما لو أنهما تريدان استعادة رعايتها مرة أخرى. انكمشت الطفلة البائسة متمسكة بي، وشعرت بيديها الصغيرتين تحكمان الإمساك بذراعي. لوحت للمرأتين كي تبتعدا، وأبلغتهما أن سولا سوف تتولى رعاية الأسيرة من الآن فصاعدًا، كما حذرت ساركوجا من موت مفاجئ مؤلم إذا مارست أي سلوك قاس مع ديجاه ثوريس.

كان تهديدي غير ملائم وأضر بديجاه ثوريس أكثر مما نفعها، فكما علمت لاحقًا أن الرجال في المريخ لا يقتلون النساء، والنساء لا يقتلن الرجال. نظرت إلينا ساركوجا نظرة قبيحة، وغادرت لتحيك المكائد ضدنا.

سرعان ما وجدت سولا وشرحت لها رغبتي في أن تحرس ديجاه ثوريس كما كانت تحرسني؛ ورغبتي في أن تجد مسكنًا آخر لا يتعرضان فيه لمضايقات ساركوجا، وفي النهاية أبلغتها أنني سأسكن مع الرجال.

ألقت سولا نظرة إلى الأغطية المزركشة التي أحملها وتتدلى من كتفي.

قالت: «أنت زعيم عظيم الآن، جون كارتر. ويجب أن أطيع أوامرك، على أني سعيدة في الواقع للقيام بذلك تحت أي ظرف من الظروف. إن الرجل الذي تحمل حاجياته المعدنية كان شابًّا، لكنه كان محاربًا عظيمًا، وتمكن بترقياته وقتلاه من شق طريقه بنجاح ليقترب من رتبة تارس تاركاس، الذي كما تعرف يُعد الرجل الثاني بعد لوركواس بتوميل لوركواس. أنت الحادي عشر، وهناك عشرة زعماء فقط في هذه الجماعة على مرتبة من البراعة الفائقة تماثل براعتك».

فسألتها: «وماذا إن قتلت لوركواس بتوميل؟»

«ستصبح الأول، جون كارتر؛ لكنك لن تفوز بهذا الشرف إلا بإرادة المجلس كله بأن تواجه لوركواس بتوميل في قتال، أو تقتله دفاعًا عن نفسك إذا هاجمك، وهكذا تفوز بالمرتبة الأولى».

ضحكت وغيرت الموضوع. فلم تكن لدي أي رغبة لقتل لوركواس بتوميل، ولا أن أنال رتبة جِد بين الثاركيين.

رافقت سولا وديجاه ثوريس بحثًا عن مسكن جديد، ووجدناه في مبنى قريب من القاعة العامة وأكثر فخامة من مسكننا السابق. كما وجدنا في هذا المبنى حجرات حقيقية للنوم، تضم سرائر قديمة من معدن جيد الصنع وتتأرجح من سلاسل ذهبية هائلة تتدلى من الأسقف الرخام. كانت زخارف الجدران شديدة الدقة؛ وعلى خلاف اللوحات الجدارية في المباني الأخرى، توجد صور للعديد من الشخصيات البشرية من

حيث تكوينها. كانت صورًا لأناس مثلي، ولون بشرتهم أفتح كثيرًا من لون بشرة ديجاه ثوريس. وكانوا يرتدون ملابس جميلة فضفاضة، مزخرفة بالمعادن والمجوهرات، وشعورهم الغزيرة من لون جميل ذهبي وبرونزي محمر. كان الرجال بلا لحى ومعهم عدد قليل فقط من الأسلحة. كانت أغلب مشاهد الصور لأناس من بشرة فاتحة اللون وشعرهم أشقر، ويمضون وقتهم في التسلية.

شبكت ديجاه ثوريس يديها متعجبة في سعادة وهي تحدق في هذه الأعمال الفنية الرائعة، التي أنتجها أناس انقرضوا منذ فترة طويلة؛ ومن ناحية أخرى، يبدو أن سولا لم ترهم.

قررنا أن تستخدم ديجاه ثوريس وسولا هذه الغرفة التي تقع في الطابق الثاني وتطل على الساحة، وهناك غرفة أخرى خلفية مجاورة للطبخ والمؤن. ثم أرسلت سولا لإحضار أغطية الفراش والطعام والأواني التي تحتاج إليها، وقلت لها إنني سأتولى حراسة ديجاه ثوريس حتى عودتها.

عندما غادرت سولا، نظرت ديجاه ثوريس نحوي بابتسامة خفيفة.

«وإلى أين يمكن أن تهرب أسيرتك إذا تركتها، إلا إذا كان لمتابعتك والتماس حمايتك، وطلب عفوك لأفكارها القاسية عنك خلال الأيام القليلة الماضية؟».

أجبت: « أنت على حق، فلا مهرب لأي منا ما لم نذهب معًا».

«سمعت تحديك للمخلوق الذي تسميه تارس تاركاس، وأعتقد

أنني أفهم موقفك بين هؤلاء الناس، ولكن ما لا أستطيع فهمه هو عبارتك بأنك لست من برسوم».

ثم واصلت قائلة: «باسم سلفي الأولى، من أين أتيت؟ أنت مثل أناس موطني، ومع ذلك مختلف عنهم. تتحدث لغتنا، لكنني سمعتك تقول لتارس تاركاس إنك تعلمتها مؤخرًا. يتحدث البرسوميون جميعًا نفس اللغة، من الغطاء الجليدي في الجنوب إلى الغطاء الجليدي في الشمال، على الرغم من اختلاف لغاتهم المكتوبة. ومن المفترض أن توجد لغة حديث مختلفة في وادي دور فقط، حيث يصب نهر إيس في بحر كوراس المفقود؛ وما عدا في أساطير أجدادنا، لا يوجد تسجيل لأي بارسومي عاد من نهر إيس، من شواطئ كوراس في وادي دور. لا تقل لي إنك عدت! سيقتلونك بفظاعة في أي مكان على سطح برسوم إن كان ذلك صحيحًا؛ قل لي إنه غير صحيح!».

امتلأت عيناها بضوء غريب عجيب؛ وكان صوتها متضرعًا، ووضعت يديها الصغيرتين على صدري وهي تضغط كما لو كانت تريد انتزاع ردي بالنفي من قلبي ذاته.

«أنا لا أعرف عاداتكم، ديجاه ثوريس؛ لكن الرجل المحترم في فرجينيا موطني لا يكذب لإنقاذ نفسه؛ أنا لست من دور؛ ولم أشهد أبدًا نهر إيس الغامض؛ وبحر كوراس المفقود لا يزال مفقودًا بقدر ما أعرف. هل تصدقيني؟».

وطرأ إلى ذهني فجأة مدى حرصي الشديد على أن تصدقني. ليس لأنني أخشى النتائج التي ستترتب على اعتقادها بأنني عدت من جنة أو

جحيم برسومي، أو أيًّا ما كان. لماذا إذن! لماذا أهتم بما تتصوره؟ نظرت إليها؛ تغير وجهها الجميل، واتسعت عيناها الرائعتين موضحة عمق روحها؛ وعرفت السبب عندما التقت عينانا – فارتجفت.

يبدو أن موجة مماثلة من الشعور كانت تحركها؛ وابتعدت عني وهي تتنهد، ثم همست وهي تنظر نحوي بوجهها الجميل المخلص: «أصدقك جون كارتر؛ لا أعرف معنى 'رجل محترم' كما لم أسمع من قبل عن فرجينيا؛ ولكن في برسوم، لا يوجد رجل يكذب؛ بل يصمت إذا كان لا يرغب في قول الحقيقة. أين تقع فرجينيا هذه، موطنك، جون كارتر؟». عندما سألتني، بدا لي أن هذا الاسم الجميل لموطني الجميل لم يكن أبدًا أكثر جمالًا من اليوم عندما نطقت به تلك الشفاه الرائعة.

أجبتها: «أنا من عالم آخر، من كوكب الأرض، وهو كوكب يدور حول شمسنا المشتركة في مدار يلي مدار برسوم الذي نعرفه باسم كوكب المريخ. كيف جئت إلى هنا، لا أستطيع أن أقول لك، لأنني لا أعرف؛ لكنني هنا، وما دام حضوري قد أتاح لي أن أخدم ديجاه ثوريس فأنا سعيد أنني هنا».

حدقت في وجهي لفترة طويلة بعيون مضطربة مستفسرة. فقد كنت أعرف جيدًا مدى صعوبة تصديق كلامي، كما لم يكن لدي أمل في أن تصدقني مهما التمست ثقتها واحترامها. ربما كان من الأفضل ألا أخبرها بأي شيء عن أسلافي، ولكن لا يوجد إنسان يمكن أن ينظر في عمق تلك العيون ويرفض لها أدنى طلب.

ابتسمت أخيرًا، وقالت وهي تنهض: «سوف أصدقك على الرغم من

أنني لا أفهم. يمكنني أن أتصور بسهولة أنك لست من برسوم الموجودة اليوم؛ فأنت مثلنا، لكنك مختلف - ولكن لماذا يجب أن أرهق رأسي العليل بهذه المشكلة وقلبي يقول لي إنني أصدق لأنني أريد أن أصدق!».

كان منطقًا جيدًا، منطق أنثوي جيد يماثل نظيره على كوكب الأرض، وإذا كان أقنعها فهو بالتأكيد بلا أخطاء. لقد كان، في واقع الأمر، النوع الوحيد تقريبًا من المنطق الذي يمكن تحميله على مشكلتي. أخذنا نتجاذب أطراف الحديث، نسأل ونجيب بعضنا بعضًا على العديد من الأسئلة. وكانت متشوقة لمعرفة عادات وتقاليد شعبي، وأظهَرت معرفة رائعة بالأحداث على كوكب الأرض. وعندما سألتها عن ألفتها الظاهرة هذه بشؤون كوكب الأرض، ضحكت وصاحت قائلة:

«لماذا، لأن كل طالب في المدرسة في برسوم يعرف الجغرافيا، كما يعرف الكثير عن الحيوانات والنباتات، فضلًا عن معرفته تاريخ كوكبك بمثل ما يعرف كوكبه تمامًا. ألا يمكننا أن نرى كل شيء يحدث على كوكب الأرض، كما تسمونه؛ أليس معلقًا هناك في السماء على مرأى منا؟».

يجب أن أعترف أن كلامها أثار حيرتي تمامًا بقدر ما أربكها حديثي؛ وقلت لها ذلك. فأوضحت بشكل عام الأدوات التي استخدمها شعبها وطورها عبر العصور، وتتيح لهم الاستعانة بشاشة لرؤية صورة مثالية لما يحدث على أي كوكب وعلى العديد من النجوم. وهذه الصور مثالية من حيث التفاصيل، فعند تصوير الأشياء وتكبيرها، يمكن التعرف بوضوح على أي شيء لا يزيد حجمه كثيرًا عن ورقة عشب. وبعد ذلك، رأيت في

هيليوم عندما ذهبت إليها في ما بعد، العديد من هذه الصور، فضلًا عن الأدوات التي تُنتجها.

سألتها: «إذا كنت إذن على هذه الدراية بشؤون كوكب الأرض، لماذا لا تدركين تطابقي مع سكانه؟».

ابتسمت مرة أخرى كمن ضجر متسامحًا من طفل كثير الأسئلة، وأجابت:

«يرجع ذلك جون كارتر إلى أن جميع الكواكب أو النجوم تقريبًا التي تشبه ظروفها الجوية ظروف برسوم لديها أشكال من الحياة الحيوانية تكاد تتطابق معك ومعي؛ وعلاوة على ذلك، يغطي رجال كوكب الأرض، دون استثناء تقريبًا، أجسادهم بقطع غريبة وقبيحة من القماش، ويغطون رؤوسهم بأشياء بشعة عجزنا عن فهم الغرض منها؛ بينما أنت، عندما وجدك محاربو ثارك، لم تكن مشوهًا أو مزينًا على الإطلاق».

«وحقيقة أنك لم تكن ترتدي أي حُلي هي دليل قوي على أنك لست من أصل برسومي، بينما قد يسبب عدم ارتدائك أغطية بشعة شكًّا في أنك من كوكب الأرض».

حكيت لها عندئذ تفاصيل مغادرتي كوكب الأرض، موضحًا أن جسدي يرقد هناك مرتديًا كامل ملابس سكان الكوكب التي تعتبرها ملابس غريبة. وهنا عادت سولا ومعها أمتعتنا الضئيلة وربيبها المريخي الصغير الذي يتعين، بطبيعة الحال، أن يشاركهما السكن.

سألتنا سولا عما إذا كان قد جاءنا زائر أثناء غيابها، وبدت شديدة

الدهشة عندما أجبناها بالنفي. يبدو أنها صعدت إلى الطوابق العليا التي توجد فيها غرف نومنا والتقت بساركوجا وهي تهبط إلى أسفل. قلنا إنها كانت تتنصت بالتأكيد، لكننا لم نتذكر أننا تحادثنا حول شيء مهم، ولذا تجاهلنا هذه المسألة، لكننا اتفقنا على توخي أقصى درجات الحذر في المستقبل.

بعد ذلك أخذت أنا وديجاه ثوريس نفحص معمار الغرف الجميلة وزخارفها بالمبنى الذي نشغله. وقد أخبرتني أن هؤلاء الناس من المفترض أنهم ازدهروا لأكثر من مائة ألف سنة. كانوا أسلاف جنسها الأوائل، لكنهم اختلطوا مع الجنس الآخر الكبير من المريخيين الأوائل، الذين كانت بشرتهم داكنة جدًّا، سوداء تقريبًا؛ كما اختلطوا أيضًا مع الجنس الأصفر المحمر الذي ازدهر في الوقت نفسه.

اضطرت هذه الأقسام الثلاثة الكبرى من المريخيين الأوائل إلى الدخول في تحالف قوي، حيث أجبرهم جفاف بحار المريخ إلى السعي نحو المناطق الخصبة القليلة نسبيًّا ودائمة التقلص، فضلًا عن الدفاع عن أنفسهم في ظل ظروف الحياة الجديدة ضد جحافل الرجال الخُضر الهمجية.

وأسفرت العلاقات الوثيقة والتزاوج فيما بينهم عن جنس الرجال الحُمر، الذي كانت ديجاه ثوريس ابنته الجميلة. وخلال عصور المصاعب والحروب المتواصلة بين أعراقهم المختلفة، وكذلك مع الرجال الخُضر، وقبل تكييف أنفسهم مع الظروف المتغيرة، ضاع الكثير من الحضارة السامية والعديد من فنون المريخيين الشُقر؛ لكن

الجنس الأحمر الموجود اليوم وصل إلى مرحلة يشعر فيها أنه عوّض بالاكتشافات الجديدة وبالحضارة الأكثر عملية كل ما دُفن إلى غير رجعة مع البرسوميين القدماء تحت عدد لا يُحصى من العصور التي تخللت ذلك التاريخ.

ينتمي المريخيون القدماء إلى جنس يتسم بثقافته العالية واتساع اطلاعه. وخلال تقلبات القرون التي شهدت محاولات إعادة التكيُّف مع الظروف الجديدة، لم يقتصر الأمر على توقف تقدمهم وإنتاجهم تمامًا، وإنما ضاعت عمليًّا أيضًا جميع أرشيفاتهم وسجلاتهم وأدبياتهم.

ربطت ديجاه ثوريس العديد من الحقائق والأساطير المهمة بهذا الضياع للشعب النبيل الطيب. وقالت إن المدينة التي نخيم فيها من المفترض أنها كانت مركزًا للتجارة والثقافة يعرف باسم كوراد. وكانت مبنية على ميناء طبيعي جميل، تحيط به تلال رائعة. وشرحت أن الوادي الصغير الذي يقع على الجبهة الغربية للمدينة هو كل ما تبقى من الميناء، بينما كان الممر عبر التلال إلى قاع البحر القديم بمثابة قناة لمرور السفن إلى بوابات المدينة.

تناثرت المدن على شواطئ البحار القديمة، وكان يمكن العثور على مدن أصغر وبأعداد أقل، تتقارب في اتجاه وسط المحيطات، حيث وجد الناس من الضروري اتباع انحسار المياه إلى أن فرضت عليهم الضرورة خلاصهم النهائي، ما يُسمى القنوات المريخية.

لقد انهمكنا في استكشاف المبنى وفي حديثنا، بحيث لم ندرك ذلك إلا في فترة متأخرة بعد الظهر. عدنا إلى ظروفنا الحالية بوصول رسول

يحمل أمر استدعاء من لوركواس بتوميل كي أمثل أمامه على الفور. ودعت ديجاه ثوريس وسولا وأمرت وولا بالبقاء للحراسة. أسرعت إلى القاعة العامة، حيث وجدت لوركواس بتوميل وتارس تاركاس يجلسان على المنصة.

(١٢)

أسير يتمتع بالسلطة

دخلت إلى القاعة العامة وقدمت التحية، ثم أشار لي لوركواس بتوميل بالمضي قدمًا وخاطبني، وعيناه الكبيرتان البشعتان مثبتتان نحوي، قائلًا:

«أنت معنا منذ بضعة أيام، تمكنت خلالها نتيجة لشجاعتك من الفوز بمكانة عالية بيننا. وأيًّا ما كان ذلك، فأنت لست واحدًا منا؛ أنت لا تدين لنا بالولاء».

وتابع قائلًا: «موقفك غريب؛ فأنت أسير ومع ذلك تُعطي أوامر يجب أن تُطاع؛ أنت أجنبي ومع ذلك أنت زعيم ثاركي؛ أنت قزم ومع ذلك يمكنك قتل محارب قوي بضربه واحدة من قبضة يدك. والآن تم الإبلاغ عنك إنك تخطط للهرب مع أسيرة أخرى من جنس آخر؛ أسيرة تعتقد إلى حد ما، وفقًا لتصورها، أنك عدت من وادي دور. إذا ثبتت أي من هذه الاتهامات، ستكون سببًا كافيًا لإعدامك، لكننا شعب عادل وسوف تُحاكم لدى عودتنا إلى ثارك، إذا ما أمر تال هاجوس بذلك».

«ولكن»، واصل بنبراته المزمجرة الشرسة، «إذا هربت مع الفتاة الحمراء، سأكون أنا من يتعين عليه إبلاغ تال هاجوس؛ وسأكون أنا من يتعين عليه مواجهة تارس تاركاس، فإما أن أثبت حقي في القيادة، أو ستؤول حاجياتي المعدنية من جسدي الميت إلى أفضل رجل، فهذا هو العُرف في ثارك».

«ليس لدي أي خلاف مع تارس تاركاس؛ فنحن نحكم معًا أعظم الجماعات الصغيرة بين الرجال الخُضر؛ نحن لا نريد محاربة بعصنا بعضًا؛ وبالتالي، سأكون سعيدًا بموتك جون كارتر. على أننا يمكننا قتلك تحت هذين الشرطين فقط، ودون أوامر من تال هاجوس: في قتال شخصي دفاعًا عن النفس إذا هاجمت أحدنا، أو إذا تم القبض عليك في محاولة للهرب».

«وانطلاقًا من العدالة، يجب أن أحذرك أننا ننتظر حدوث أي من هذين العذرين لنُخلص أنفسنا من مسؤولية ضخمة جدًّا. إن تسليم الفتاة الحمراء آمنة إلى تال هاجوس يُمثل أهمية قصوى. فلم يحقق الثاركيون مثل هذا الأسر خلال ألف عام؛ فهي حفيدة أعظم جيداك أحمر، يُعد أيضًا ألد أعدائنا. لقد أنهيت حديثي. قالت لنا الفتاة الحمراء إننا نفتقر إلى أبسط مشاعر الإنسانية، لكننا جنس عادل وصادق. يمكنك أن تنصرف».

غادرت القاعة العامة. هذا إذن بداية اضطهاد ساركوجا لنا! كنت أعرف أنه ما من شخص آخر يمكنه أن يكون مسؤولًا عن هذا التقرير الذي بلغ آذان لوركواس بتوميل بهذه السرعة، وتذكرت الآن تلك الأجزاء من حديثنا الذي تطرقنا فيه إلى الهروب وإلى الأصول التي انحدر منها.

كانت ساركوجا في ذلك الوقت أقدم امرأة وأكثرهن ثقة لدى تارس تاركاس. وعلى هذا النحو كانت سلطة قوية خلف العرش؛ إذ لم ينل أي محارب ثقة لوركواس بتوميل إلى هذا الحد كما فعل أبرع محاربية المُلازم تارس تاركاس.

مع ذلك، وبدلًا من استبعاد أفكار الهروب الممكنة من ذهني، لم تؤد مقابلتي مع لوركواس بتوميل إلا إلى تركيز كل قدراتي على هذا الموضوع. والآن، أكثر من ذي قبل، أصبحت الضرورة المطلقة للهروب ملقاة على عاتقي، بقدر ما يتعلق الأمر بديجاه ثوريس؛ فقد كنت على اقتناع بأن مصيرًا رهيبًا ينتظرها في مقر تال هاجوس.

كان هذا الوحش، كما وصفته سولا، تجسيدا مفرطًا لجميع عصور القسوة والضراوة والوحشية التي انحدر منها. كان باردًا، وماكرًا، وحريصًا؛ كما كان أيضًا يتناقض بشكل ملحوظ مع معظم زملائه، إذ كان عبدًا لمطالب تلك الشهوة البهيمية للتناسل، التي تضاءلت وتكاد أن تكون قد هدأت في صدور المريخيين على كوكبهم الآخذ في الفناء.

بدأ العرق البارد يتصبب مني عندما أفكر في أن ديجاه ثوريس المقدسة قد تقع في براثن هذا الارتداد السحيق. من الأفضل كثيرًا أن نحافظ على الرصاص الصديق لأنفسنا حتى آخر لحظة، كما فعلت نساء الحدود الشجعان في وطني المفقود، اللاتي قتلن أنفسهن بدلًا من الوقوع في أيدي الشجعان الهنود.

كنت أتجول في الساحة وأفكر في هواجسي الكئيبة عندما اقترب مني تارس تاركاس وهو في طريقة إلى القاعة العامة. لم يتغير سلوكه

تجاهي، وحيّاني كما لو أننا لم نفترق منذ لحظات قليلة فقط.

سألني: «أين مسكنك، جون كارتر؟».

فقلت: «لم أختر مسكنًا. ويبدو من الأفضل أن أسكن بمفردي أو مع المحاربين الآخرين، وكنت أنتظر الفرصة لأسألك المشورة». ثم ابتسمت قائلًا: «فكما تعلم أنا لست على دراية بعد بجميع عادات وتقاليد ثارك».

«تعال معي»، أشار لي وتوجهنا معًا عبر الساحة إلى مبنى أسعدني أنه مجاور للمبنى الذي تشغله سولا والمسؤولين منها.

قال: «يقع مسكني في الطابق الأول من هذا المبنى، ويشغل المحاربون الطابق الثاني كله، لكن الطابق الثالث والطوابق الأعلى شاغرة؛ ويمكنك أن تختار منها».

وتابع حديثه قائلًا: «أنا أفهم تخليك عن امرأتك لأسيرة حمراء. حسنًا، فكما قلت أساليبكم تختلف عن أساليبنا، لكنك قادر على القتال بشكل جيد بما يكفي لتفعل ما يحلو لك؛ وبالتالي إذا رغبت في إعطاء امرأتك لأسيرة، فهذا شأن يخصك؛ لكنك كزعيم يجب أن يوجد من يخدمك، ووفقًا لعاداتنا يمكنك اختيار أي من الإناث، أو جميعهن، من حاشية الزعماء الذين ترتدي معادنهم الآن».

شكرته وأكدت له أنني أستطيع تدبر أموري جيدًا دون مساعدة، إلا فيما يتعلق بإعداد الطعام؛ وبالتالي وعدني بإرسال نساء لهذا الغرض، وأيضًا للعناية بذراعي وتصنيع ذخائري، وهو الأمر الذي اعتبره ضروريًّا.

طلبت منه أن يحضرن أيضًا بعض أغطية الحرير والفراء اللازمة للنوم وتُعتبر من الغنائم التي أصبحت ملكي بعد القتال، فالليل بارد، وليس لدي أي أغطية.

وعدني بذلك وغادر. أصبحت بمفردي، صعدت الممر المتعرج المُفضي إلى الطوابق العليا بحثًا عن مكان مناسب. تكرر جمال المباني الأخرى في هذا المبنى، وكالعادة شردت خلال جولة للبحث والاكتشاف.

اخترت أخيرًا غرفة أمامية في الطابق الثالث، لأنها تجعلني أقرب إلى ديجاه ثوريس التي تشغل مكانًا في الطابق الثاني من المبنى المجاور، وبدر إلى ذهني أنني قد أتمكن من ابتكار وسيلة اتصال تستطيع بمقتضاها الإشارة لي إذا ما كانت في حاجة إلى خدماتي أو حمايتي.

كان مجاورًا لغرفة نومي حمامات، وغرف لخلع الملابس، وغرف أخرى للنوم والمعيشة؛ في مجموعها حوالي ١٠ غرف في هذا الطابق. وكانت نوافذ الغرف الخلفية تطل على فناء هائل يُشكل مركز الميدان الذي تصنعه المباني التي تواجه الشوارع الأربعة المتجاورة، والتي خُصِّصت الآن لإيواء الحيوانات المختلفة التي تنتمي إلى المحاربين الذين يشغلون المباني المجاورة.

اكتسى الفناء كلية بالنباتات الصفراء الشبيهة بالطحالب التي تغطي عمليًّا سطح المريخ كله، إضافة إلى وجود العديد من النافورات، والتماثيل، والمقاعد الطويلة، والأشياء الغريبة الشبيهة بالبرجولا وتشهد جميعها على جمال ذلك الفناء في أزمنة ماضية، عندما زينها شعب أشقر

ضحوك، دفعته قوانينه الكونية الصارمة الراسخة ليس فقط خارج بيته، وإنما خارج كل شيء ما عدا أساطير أحفادهم الغامضة.

يمكن للمرء أن يتصور بسهولة أوراق الشجر فائقة الجمال لنباتات المريخ وافرة النماء التي ملأت في يوم ما هذا المشهد بالحياة والألوان؛ القامات الرشيقة للنساء الجميلات، والرجال الذين يتصفون بطول القامة والوسامة؛ والأطفال يرقصون فرحًا – الجميع، في ظل أشعة الشمس والسعادة والسلام. يصعب إدراك انتهائهم خلال عصور الظلام والقسوة والجهل، إلى أن نهضت مواهبهم الثقافية والإنسانية مرة أخرى في تركيبة نهائية لجنس أصبح الآن مُهيمنًا على المريخ.

انقطع حبل أفكاري بظهور عدة نساء شابات يحملن كميات من الأسلحة، والحرير، والفراء، والجواهر، وأواني الطبخ، وبراميل الأغذية والمشروبات، بما في ذلك قدر كبير من الغنيمة المنهوبة من المركبة الفضائية. يبدو أن هذا كله كان ملكًا للزعيمين اللذين قتلتهما، وأصبح ملكي الآن بموجب عادات وتقاليد الثاركيين. وضعت النساء هذه الأشياء في إحدى الغرف الخلفية ثم غادرن، وإنما فقط ليعدن بحمولة ثانية، وقلن لي إن هذا يمثل رصيدي من السلع. رافقهن في الرحلة الثانية حوالي عشرة أو خمسة عشر من النساء والشباب، ويبدو أنهم يشكلون حاشية الزعيمين.

ليسوا من أفراد أسرهم، ولا زوجاتهم ولا خدمهم؛ كانت العلاقة غريبة وتختلف تمامًا عن أي شيء معروف لنا، ويصعب بشدة وصفها. جميع ممتلكات المريخيين الخُضر مشتركة على المشاع في الجماعة ما

عدا الأسلحة الشخصية، وحاجيات الأفراد من الحُلي، والحرير والفراء اللازمين للنوم. وهذه الأشياء هي فقط التي يمكن للمرء أن يطالب بحقه فيها بلا منازع، كما لا يجوز له مراكمة أكثر مما يلزم لاحتياجاته الفعلية. ويحتفظ بالفائض بوصفه وصيًّا عليه فقط، ويعطيه إلى الأفراد الأصغر سنًّا في الجماعة حسب الضرورة.

يمكن تشبيه النساء والأطفال في حاشية الرجل بوحدة عسكرية يتولى الرجل مسؤوليتها بطرق مختلفة مثل أمور التعليم، والانضباط، والإعاشة، ومقتضيات تجوالهم المستمر، ومعاركهم التي لا تنتهي مع الجماعات الأخرى ومع المريخيين الحُمر. نساؤه لسن زوجات بأي معنى. لا يستخدم المريخيون الخُضر كلمة مناظرة في معناها مع هذه الكلمة المستخدمة على كوكب الأرض. فالتزاوج لديهم هو مسألة تهم الجماعة فقط، ومُوجه دون مرجعية نحو الانتقاء الطبيعي. يتولى مجلس زعماء كل جماعة توجيه هذه المسألة بمثل ما يتولى مالك سباق كنتاكي للخيول توجيه تناسل سلالته بشكل علمي لتحسينها.

قد يبدو الأمر جيدًا من الناحية النظرية – كما هو الحال مع النظريات – لكن نتائج الأعمار التي تسفر عنها هذه الممارسة غير الطبيعية، مقترنة بأن مصلحة المجتمع في الذرية تمثل أهمية قصوى مقارنة بمصلحة الأم، تبدو واضحة في برودة وقسوة تلك المخلوقات، ووجودها المتجهم الكئيب الذي يفتقر إلى الحب.

صحيح أن المريخيين الخُضر يتسمون بالفضيلة تمامًا، سواء الرجال أو النساء، باستثناء أفراد منحطين مثل تال هاجوس؛ لكن الأفضل هو

تحقيق توازن أسمى للصفات البشرية حتى على حساب خسارة طفيفة للعفة أحيانًا.

عندما أدركت أنني يجب أن أتحمل مسؤولية هذه المخلوقات، سواء فعلت ذلك أم لم أفعل، قمت بأفضل ما أمكنني بأن وجهتهم للبحث عن مساكن في الطوابق العليا، بحيث يتركون الطابق الثالث لي. كلفت إحدى الفتيات بواجبات إعداد طعامي البسيط، ووجهت الآخرين بتولي الأنشطة المختلفة التي كانت تشكل سابقًا المهن التي يقومون بها. وبعد ذلك رأيت عددًا قليلًا منهم، ولم أهتم بهم.

(١٣)

الحب على المريخ

بعد انتهاء معركة السفن الفضائية، ظلت الجماعة داخل المدينة لعدة أيام وتخلت عن مسيرة العودة للديار إلى أن تتأكد من عدم عودة السفن؛ فلم تكن الجماعة – حتى وإن كانت جماعة حربية مثل المريخيين الخُضر – ترغب في أن يتم القبض عليها في سهول مفتوحة وبصحبتها موكب يضم عربات وأطفال.

علمني تارس تاركاس خلال فترة تعطلنا العديد من عادات وفنون الحرب المألوفة لدى الثاركيين، بما في ذلك دروس في ركوب وتوجيه الوحوش الضخمة التي تحمل المحاربين. هذه المخلوقات، المعروفة باسم ثوات، خطيرة وشرسة كأسيادها؛ لكنها ما إن تُهزم، تصبح سهلة الانقياد بما يكفي لأغراض المريخيين الخُضر.

حصلت على اثنين من هذه الحيوانات من المحاربين اللذين أرتدي معادنهما، وتمكنت في فترة قصيرة من التعامل معهما بنفس مهارة تعامل محاربي المريخ. لم يكن الأسلوب معقدًا على الإطلاق. إذا لم يستجب

الثوات بسرعة كافية لتعليمات فرسانهم عبر التخاطر، يُضربون بقوة بين الأذنين بمؤخرة مسدس، وإذا أظهروا مقاومة، تستمر هذه المعاملة إلى أن يُهزم الوحش أو يطيح براكبه أرضًا.

وفي الحالة الأخيرة يصبح صراع الحياة والموت بين الرجل والوحش. فإذا كان الرجل سريعًا في استخدام مسدسه، قد يعيش ليركب مرة أخرى وإن كان على وحش آخر؛ أما إذا لم يكن سريعًا، تجمع نساؤه جثته الممزقة المشوهة ويحرقنها وفقًا لعادات ثارك.

جعلتني خبرتي مع وولا أن أحاول تجربة اللطف في معاملة الثوات. علمتهم أولًا عدم الإطاحة بي أرضًا، وكنت حتى أضربهم بحدة بين الأذنين لأطبع في أذهانهم سلطتي وقيادتي. وتدريجيًّا فزت بثقتهم بنفس الطريقة التي مارستها مرات لا تحصى مع حيوانات الركوب على كوكب الأرض. كنت دائمًا جيد التعامل مع الحيوانات، كما كنت أيضًا بحكم ميولي أتعامل بعطف وإنسانية مع كائنات المرتبة الأدنى، إلى جانب أن طريقتي تسفر دومًا عن نتائج مستمرة وتبعث على الرضا. يمكنني أن أقتل إنسانًا، إذا لزم الأمر، بقدر من تأنيب الضمير أقل بكثير مما أشعر به تجاه وحش بائس وغير عاقل وغير مسؤول.

وخلال بضعة أيام، أصبحت حيواناتي الثوات أعجوبة الجماعة بأكملها. فهم يتبعونني مثل الكلاب، ويحكون أنوفهم الخرطومية الكبيرة في جسدي كدليل أخرق على المودة، ويستجيبون لكل أوامري بسرعة وطاعة؛ مما جعل المحاربين المريخيين ينسبون لي امتلاكي لقوة موجودة على كوكب الأرض وغير معروفة على المريخ.

«هل سحرتهم؟» سألني تارس تاركاس بعد ظهر أحد الأيام عندما شاهدني أُدخل ذراعي بين الفكين الكبيرين لأحد الثوات الذي انحشرت قطعة حجر بين اثنين من أسنانه وهو يتغذى على النباتات شبيهة الطحالب داخل فنائي.

«بالعطف»، أجبته، ثم واصلت قائلًا: «هكذا ترى، تارس تاركاس، أن لطف المشاعر له قيمته، حتى لمحارب. أعرف أن الثوات سيطيعون كل أوامري، في ذروة المعركة وأيضًا خلال المسيرة، ولذا تتعزز كفاءتي القتالية، وأنا محارب أفضل لأنني سيد عطوف. قد يجد محاربوك الآخرون أن من صالحهم وأيضًا من مصلحة الجماعة اعتماد أساليبي في هذا الصدد. أنت نفسك قلت لي منذ بضعة أيام إن هذه الوحوش الضخمة، ونتيجة لعدم اليقين تجاه انفعالاتها، كثيرًا ما تكون وسيلة لتحويل النصر إلى هزيمة، لأنها قد تختار في لحظة حاسمة الإطاحة براكبها أرضًا وتمزيقه».

اقتصر رد تاركس تاركاس على التعليق التالي: «أرني كيف يمكنك تحقيق هذه النتائج».

وهكذا شرحت له بعناية مجمل أسلوب التدريب الذي اعتمدته لوحوشي، ثم طلب مني في وقت لاحق أن أكرره أمام لوركواس بتوميل والمحاربين المجتمعين. كانت تلك اللحظة بمثابة بداية وجود جديد للثوات البائسين، وقبل أن أغادر جماعة لوركواس بتوميل، سعدت بمشاهدة فوج يمتطي وحوش سهلة الانقياد ومطيعة على النحو الذي أرغب في رؤيته. كان التأثير على دقة وسرعة الحركات العسكرية

ملحوظًا، حتى أن لوركواس بتوميل قدم لي خلخالًا ضخمًا من الذهب كان يرتديه على ساقه كعلامة على تقديره لخدمة الجماعة.

بدأنا مرة أخرى مسيرتنا نحو ثارك في اليوم السابع بعد المعركة مع المركبة الفضائية، حيث استبعد لوركواس بتوميل جميع احتمالات هجوم آخر.

لم أرى ديجاه ثوريس كثيرًا خلال الأيام التي سبقت رحيلنا مباشرة، إذ شغلني تمامًا تارس تاركاس في إعطائي دروس فن الحرب في المريخ، كما انشغلت في تدريب حيواناتي الثوات. وفي المرات القليلة التي زرت فيها مسكنها كانت غائبة، كانت تسير في الشوارع مع سولا، أو تتدارس المباني في الجوار القريب من الساحة. وقد حذرتهما من مغامرة الابتعاد عن الساحة، خوفًا من القرود البيضاء الكبيرة التي أعرف شراستها جيدًا. ومع ذلك، لم تكن هناك نسبيًّا أي مدعاة للخوف، حيث رافقهم وولا في جميع تلك الرحلات، كما كانت سولا مُسلحة.

في المساء، وقبل رحيلنا، رأيتهما تقتربان من أحد الطرق الكبيرة التي تؤدي إلى الساحة من جهة الشرق. تقدمت لمقابلتهما وقلت لسولا إنني سأتولى مسؤولية الحفاظ على أمان ديجاه ثوريس، وطلبت منها العودة إلى مسكنها لإنجاز بعض المهمات التافهة. كنت معجبًا بسولا وأثق فيها، ولكني لسبب ما رغبت في الانفراد برفقة مريحة ولطيفة مع ديجاه ثوريس التي تمثل بالنسبة لي كل ما تركته ورائي على كوكب الأرض. هناك روابط اهتمام مشترك بيننا، روابط قوية كما لو أننا ولدنا تحت سقف واحد وليس على كوكبين مختلفين ينطلقان عبر الفضاء

وتفصل بينهما مسافة تبلغ حوالي ٤٨ مليون ميل.

كنت على يقين من أنها تشاطرني مشاعري، فعندما اقتربت منها غادرت وجهها الجميل نظرة اليأس البائس لتحل محلها ابتسامة ترحيب فرِح وهي تضع يدها اليمنى الصغيرة على كتفي الأيسر كتحية المريخيين الحُمر الحقيقية.

قالت: «ساركوجا أخبرت سولا أنك أصبحت ثاركيًّا بحق، وأنني لن أراك الآن أكثر مما أرى أي محارب آخر».

أجبتها: «ساركوجا كاذبة من الدرجة الأولى، على الرغم من فخر الثاركيين بأنهم لا يقولون سوى الحقيقة المطلقة».

ضحكت ديجاه ثوريس.

«رغم أنك أصبحت عضوًا في الجماعة، فأنا أعرف أنك لن تتوقف عن صداقتي؛ 'فقد يُغير المحارب معادنه، لكنه لا يغير قلبه'، كما يقولون في برسوم».

ثم واصلت قائلة: «أعتقد أنهم يحاولون إبعادنا عن بعضنا؛ فعندما لا يكون لديك مهام، تقوم دائمًا إحدى النساء الأكبر سنًّا من حاشية تارس تاركاس بتلفيق عذر لإبعادي أنا وسولا عن الأنظار. لقد أخذوني إلى التجويفات الموجودة أسفل المباني لمساعدتهم في خلط مسحوق الراديوم المفزع، وصُنع مقذوفاتهم الرهيبة. فكما تعرف أن صنع هذه الأشياء يجب أن يتم في ضوء اصطناعي، حيث يسفر دومًا تعرضها لأشعة الشمس عن انفجار. هل لاحظت أن رصاصاتهم تنفجر عندما

تصيب هدفًا؟ حسنًا، ينكسر الغلاف الخارجي المعتم من تأثير التصادم، كاشفًا عن أسطوانة زجاجية شبه صلبة توجد في نهايتها الأمامية جسيمات دقيقة من مسحوق الراديوم. وفي اللحظة التي تصطدم فيها أشعة الشمس - رغم تشتتها - بهذا المسحوق، فإنه ينفجر بعنف لا يصمد أمامه أي شيء. فإذا شهدت معركة ليلية، ستلاحظ عدم وجود هذه الانفجارات، بينما سيمتلئ صباح اليوم التالي للمعركة عند شروق الشمس بتفجيرات حادة نظرًا لانفجار الصواريخ التي أُطلقت في الليلة السابقة. ولكن، كقاعدة عامة، تُستخدم في الليل المقذوفات غير المتفجرة». [لقد استخدمت كلمة الراديوم لوصف هذا المسحوق، حيث أعتقد على ضوء الاكتشافات الأخيرة في كوكب الأرض أن هذا المسحوق عبارة عن خليط يشكل الراديوم أساسه. أما في مخطوط كابتن كارتر، فهو مذكور دائمًا بالاسم المستخدم في لغة هيليوم المكتوبة، ويُنطق بالهيروغليفية التي سيكون من الصعب ومن غير المُجد نسخها].

على الرغم من اهتمامي الشديد بشرح ديجاه ثوريس لهذه الطريقة المُساعِدة الرائعة في الحرب المريخية، كنت أكثر انشغالًا بمشكلة معاملتهم لها. لم يكن إبعادها عني مدعاة للدهشة، لكن تعريضها للأعمال الخطرة والشاقة أثار غضبي.

«هل تعرضتِ للقسوة والهوان، ديجاه ثوريس؟»، سألتها وأنا أشعر بدماء أجدادي المحاربين الساخنة تقفز في عروقي وأنا انتظر ردها.

أجابت: «قليلًا فقط، جون كارتر، ليس بأي طريقة يمكن أن تؤذي كرامتي. فهم يعرفون إنني ابنة عشرة آلاف جيداك، وأن أصولي تمتد

دون انقطاع إلى مُنشئ أول مجرى مائي عظيم. أما هم، الذين لا يعرفون حتى أمهاتهم، فيشعرون بالغيرة مني. إنهم يكرهون في أعماق قلوبهم مصائرهم الفظيعة، وبالتالي يصبون حقدهم البائس فوقي لأنني أفهم كل ما لا يفهمونه، ولأنهم لم يحققوا أبدًا كل ما يطمحون إلى تحقيقه. لنشفق عليهم يا زعيمي؛ فحتى إن متنا على أيديهم، يمكننا أن نشفق عليهم لأننا أعظم منهم وهم يعرفون ذلك».

إذا كنت أعرف دلالة تلك الكلمة «زعيمي»، عندما تقولها امرأة مريخية حمراء لرجل، لكانت ستصبح مفاجأة حياتي؛ لكنني لم أكن أعرف في ذلك الوقت، ولا حتى لعدة أشهر تالية. نعم، لا يزال هناك الكثير الذي يجب أن أعرفه عن برسوم.

«أفترض أن أفضل جزء من الحكمة أننا نرضى بمصيرنا بشرف قدر ما يمكننا، ديجاه ثوريس؛ على أني آمل أن أكون موجودًا في المرة القادمة التي يتجرأ فيها أي مريخي أخضر أو أحمر أو وردي أو بنفسجي، على مضايقتك يا أميرتي».

حبست ديجاه ثوريس أنفاسها مع كلماتي الأخيرة، ثم حدقت ناحيتي بعيون متسعة وأنفاس متسارعة، وبضحكة صغيرة غريبة أظهرت غمازات خبيثة عند طرفي فمها، ثم هزت رأسها وصاحت:

«يا لك من طفل! محارب عظيم، ومع ذلك طفل صغير يتعثر».

«ماذا فعلت الآن؟»، سألتها في حيرة وألم.

أنهت حديثها مناجية نفسها وهي تقول: «ستعرف في يوم ما، جون

كارتر، إذا عشنا؛ لكني لا أستطيع أن أخبرك. وأنا، ابنة مورس كاجاك ابن تاردوس مورس، استمعت إليك دون غضب».

ثم انطلقت مرة أخرى في حالة من حالاتها المزاجية المرحة، السعيدة، الضاحكة؛ وأخذت تمزح معي عن براعتي كمحارب ثاركي بما يتناقض مع رقة قلبي اللينة وطبيعتي الطيبة.

قالت ضاحكة: «أتصور أنك إذا جرحت خصمًا بطريق الخطأ، فستأخذه إلى بيتك وتتولى تمريضه حتى يسترد صحته».

أجبتها: «هذا تحديدًا ما نقوم به على كوكب الأرض. يقوم به على الأقل الرجال المتحضرون».

ضحكت مرة أخرى من كلماتي، لم تستطع أن تفهمها. فمع كل ما لديها من رقة وعذوبة أنثوية، لا تزال مريخية؛ وبالنسبة للمريخيين، العدو الجيد الوحيد هو العدو الميت؛ فموت رجل يعني وجود الكثير الذي يجب تقسيمه بين الأحياء.

كنت متلهفًا لأن أعرف ما قلته أو فعلته وسبب لها هذا الاضطراب منذ لحظة، وهكذا واصلت إلحاحي لتخبرني.

صاحت بقوة «كلا، يكفي أنك قلته وأنني أصغيت. وعندما تعرف، جون كارتر، وإذا كنت ميتة، كما هو محتمل قبل أن يحلق القمر القادم حول برسوم اثني عشر مرة أخرى، عليك أن تذكر أنني استمعت وأنني ... ابتسمت».

لم أفهم كلامها؛ وكلما توسلت لها أن تشرح، كلما أكدت أكثر

رفضها، بالتالي توقفت يائسًا.

ولى النهار مفسحًا الطريق أمام الليل. تجولنا على طول الطريق الكبير الذي يضيئه قمرا برسوم؛ ومع كوكب الأرض ينظر إلينا بعينه الخضراء المضيئة، كان يبدو أننا وحدنا في الكون، وأنا، على الأقل، سعيد بذلك.

شعرنا ببرودة الليلة المريخية، نزعت عني أغطيتي الحريرية ووضعتها على أكتاف ديجاه ثوريس. عندما استقر ذراعي للحظة عليها، شعرت بقشعريرة تسري في كل جزء من كياني على نحو لم يحدث لي أبدًا عند التواصل مع أي بشري آخر؛ ويبدو أنها انحنت قليلًا نحوي، لكنني لم أكن متأكدًا. عرفت فقط أنها لم تُبعِد ذراعي عندما استقر على كتفيها لفترة أطول مما يقتضيه تعديل وضع الغطاء الحريري، كما لم تتكلم. وهكذا مشينا في صمت على سطح عالم يحتضر، ولكن في صدر واحد منا على الأقل وُلِد أقدم شيء وإن كان جديدًا دائمًا.

أحببت ديجاه ثوريس. كانت لمسة ذراعي على كتفها العاري تحدثني بكلمات لا أُخطئها، وعرفت أنني أحببتها منذ اللحظة الأولى التي التقت فيها عينانا لأول مرة في ساحة مدينة كوراد الميتة.

(١٤)

مبارزة حتى الموت

كنت أرغب بشدة في أن أبوح لها بحبي، ثم فكرت في وضعها الضعيف حيث يمكنني تخفيف أعباء أسرِها وحمايتها بطريقتي البائسة ضد آلاف الأعداء الموروثين الذين يجب أن تواجههم عند وصولنا إلى ثارك. لا يمكنني المخاطرة بالتسبب لها في ألم أو حزن إضافي بإعلان حب لا تبادله في جميع الاحتمالات. إذا لم أكن حكيمًا، ستزداد صعوبة وضعها؛ واعتقادي بأنها قد تشعر أنني انتهزت فرصة ضعفها للتأثير على قرارها، كانت الحجة النهائية التي جعلتني أصمت.

سألتها: «لماذا أنت صامتة، ديجاه ثوريس؟ من الأرجح أنك ستعودين إلى سولا وإلى مسكنك».

غمغمت قائلة: «كلا، أنا سعيدة هنا. لا أعرف لماذا أشعر دائمًا بالسعادة والرضا عندما تكون معي، جون كارتر، وأنت الغريب؛ وأشعر في مثل هذه الأوقات بالأمان وأنني سأعود قريبا معك إلى بلاط والدي وأشعر بذراعيه القويتين تلتفان حولي ودموع أمي وقبلاتها على خدي».

سألتها: «يُقبل الناس بعضهم بعضًا إذن في برسوم؟»، وردًّا على سؤالي، شرحت معنى الكلمة التي استخدمتها.

«نعم؛ الآباء والإخوة والأخوات»، ثم أضافت بنبرة منخفضة وعميقة التفكير «والعشاق».

«وأنت ديجاه ثوريس، هل لديك والدين وإخوة وأخوات؟»

«نعم».

«و ... عاشق؟»

صمتت، ولم أغامر بتكرار السؤال.

وأخيرًا تجرأت على القول: «الرجل في برسوم لا يسأل المرأة أسئلة شخصية، ما عدا والدته والمرأة التي حارب من أجلها وفاز».

«لكني حاربت ...»، بدأت كلامي ثم تمنيت أن أقطع لساني؛ فقد استدارت رغم أنني أمسكت عن الكلام، وأزاحت الأغطية الحريرية من على كتفها وأعطتها لي، وتحركت كملكة دون كلمة واحدة نحو الساحة ومدخل مسكنها.

لم أحاول أن أتتبعها إلا لأرى أنها وصلت إلى المبنى بأمان، ووجهت وولا إلى مرافقتها ثم استدرت بائسًا ودخلت بيتي. جلست متربعًا لساعات معتل المزاج على أغطيتي الحريرية أتأمل الفرص الغريبة التي تلهو بنا نحن شياطين البشر الفانين البائسين.

إذن هذا هو الحب! لقد بقيت أهرب منه طوال السنوات وأنا أجوب القارات الخمس والبحار المحيطة بها. وعلى الرغم من النساء

الجميلات والفرص الواعدة، وعلى الرغم من شبه الرغبة في الحب والبحث المستمر عن المثال الذي أنشده، وقعت الآن بقوة ويأس في الحب مع مخلوقة من عالم آخر، من نوع ربما مشابه لنوعنا لكنه غير متطابق معه. إنها امرأة فقستها بيضة، وقد تمتد حياتها آلاف السنين، ولشعبها عادات وأفكار غريبة؛ إنها امرأة تختلف اختلافًا كبيرًا عني من حيث آمالها ومتعها ومعاييرها في الفضيلة والصواب والخطأ، كما هو حال اختلافاتي مع المريخيين الخُضر.

نعم، كنت أحمقًا، لكني وقعت في الحب. وعلى الرغم من معاناتي من أكبر بؤس شعرت به في حياتي، لم أكن لأتخلى عنها مقابل جميع ثروات برسوم. هذا هو الحب، وهؤلاء هم العشاق في أي مكان يُعرف فيه الحب.

كانت ديجاه ثوريس بالنسبة لي هي كل ما هو كمال، وكل ما هو حميد وجميل ونبيل وطيب. لقد كنت أؤمن بذلك من أعماق قلبي ومن أعماق روحي في تلك الليلة التي جلست فيها متربعًا على أغطيتي الحريرية في كوراد، بينما أقرب قمر في برسوم يحلق عبر السماء الغربية نحو الأفق، وينير الذهب والرخام والفسيفساء المرصعة بالجواهر التي تنتمي لغرفة عالمي القديم، كما أؤمن بذلك اليوم وأنا جالس على مكتبي في غرفة صغيرة تطل على نهر هدسون. مرت عشرين سنة؛ أمضيت عشرة منها أعيش وأقاتل من أجل ديجاه ثوريس وشعبها، وأمضيت العشرة الأخرى أحيا على ذكراها.

بزغ صباح يوم رحيلنا إلى ثارك صافيًا وحارًّا، مثل كل صباح مريخي

باستثناء الأسابيع الستة عندما يذوب الجليد في القطبين.

بحثت عن ديجاه ثوريس بين ازدحام العربات المغادرة، لكنها أدارت كتفها عني، واستطعت أن أرى حمرة الدماء تصعد إلى خديها. مع الاضطراب الأحمق الذي يثيره الحب، آثرت السلامة لربما أجهل طبيعة جريمتي أو على الأقل خطورتها، وبالتالي قمت، في أسوأ الأحوال، بشبه تسوية.

يُملي واجبي أن أتأكد أنها مستريحة، ولذا ألقيت نظرة داخل عربتها وأعدت ترتيب الحرير والفراء. وعند قيامي بذلك، لاحظت برعب أنها مقيدة بسلاسل كثيرة من إحدى كاحليها إلى جانب العربة.

صحت متوجهًا إلى سولا: «ما معنى ذلك؟»

أجابت ووجهها ينم عن عدم موافقتها على هذا الإجراء: «ساركوجا تعتقد أن هذا أفضل».

فحصت القيود ووجدت أنها مُثبتة بقفل زنبركي ضخم.

«أين المفتاح، سولا؟ أريد المفتاح».

أجابت: «ساركوجا ترتديه، جون كارتر».

استدرت دون أي كلمة أخرى وذهبت إلى تارس تاركاس واعترضت بشدة على الإهانة والقسوة غير الضرورية – كما كانت تراهما عيوني المُحبة – التي تنهال على ديجاه ثوريس.

«جون كارتر»، أجابني، «إذا حدث أن هربت أنت وديجاه ثوريس من ثارك، فسيكون خلال هذه الرحلة. نحن نعرف أنك لن تذهب بدونها. لقد أظهرت قوتك كمحارب، ونحن لا نريد أن نقيدك بالأغلال، وبالتالي

نضمن الأمن بأسهل طريقة. انتهى حديثي».

أدركت على الفور قوة منطقه، وعرفت أنه من غير المجدي مناشدته تغيير قراره، لكني طلبت منه استبعاد ساركوجا من مهمة الاحتفاظ بالمفتاح وتوجيهها إلى ترك الأسيرة لحالها في المستقبل.

«يمكنك تارس تاركاس القيام بذلك من أجلي مقابل الصداقة، التي يجب أن أعترف أنني أشعر بها تجاهك».

أجاب: «الصداقة؟ لا يوجد شيء من هذا القبيل، جون كارتر؛ لكنني سأنفذ رغبتك. سوف أوجه ساركوجا مباشرة أن تتوقف عن إزعاج الفتاة، وسأتولى بنفسي مسؤولية المفتاح».

ثم أضاف مبتسمًا: «إلا إذا كنت ترغب في أن تتولى هذه المسؤولية».

تطلع في وجهي طويلًا وجديًّا قبل أن يتحدث.

«إذا أعطيتني كلمتك بأنك وديجاه ثوريس لن تحاولا الهرب حتى نصل بأمان إلى بلاط تال هاجوس، يمكنني أن أعطيك المفتاح وألقي بالسلاسل في نهر إيس».

أجبته: «من الأفضل أن تحمل أنت المفتاح، تارس تاركاس».

ابتسم ولم يقل شيئًا آخر. لكننا في تلك الليلة رأيناه، ونحن نُعد مخيمنا، ينزع أغلال ديجاه ثوريس بنفسه.

مع كل وحشيته القاسية وبروده، كان هناك شعور ما خفي لدى تارس تاركاس، يكافح من أجل كبته. قد يكون بقايا غريزة إنسانية تعود إلى أحد أجداده القدماء، لكن رعب أساليب شعبه يطارده!

مررت بساركوجا وأنا في طريقي إلى عربة ديجاه ثوريس. كانت نظرتها القاتمة الحقود نحوي بمثابة أحلى بلسم شعرت به لعدة ساعات. يا إلهي، كم تكرهني! إن كراهيتها تبرز منها بجلاء بحيث يمكن للمرء أن يقطعها بسيف.

وبعد لحظات قليلة رأيت ما في أعماقها خلال محادثتها مع محارب اسمه زاد؛ وحش قوي، كبير، ضخم الجثة، لكنه لم يقتل قط أي من الزعماء، ولذلك لا يزال 'أو ماد'، أو رجل بلا اسم. فلا يمكنه الفوز باسم ثان إلا بحصوله على معادن أحد الزعماء. كان هذا هو العُرف الذي منحني الحق في أي اسم من اسميّ الزعيمين اللذين قتلتهما. وفي واقع الأمر، كان بعض المحاربين يخاطبونني باسم دوتار سوجات، وهو اسم يمزج بين لقبي المحاربين الزعيمين اللذين أخذت معادنهما أو، بعبارة أخرى، قتلتهما في معركة عادلة.

عندما تحدثت ساركوجا مع زاد، أخذ يرمقني من حين لآخر بنظراته، بينما بدا أنها تحثه بقوة على القيام ببعض الأفعال. لم أهتم بالأمر في ذلك الوقت، لكنني وجدت في اليوم التالي سببًا وجيهًا ذكرني بتلك الظروف، وتمكنت في الوقت نفسه من اكتساب بصيرة طفيفة لأعماق كراهية ساركوجا ومدى قدرتها على الانتقام مني بشكل مروع.

لم تعرني ديجاه ثوريس أي اهتمام مرة أخرى هذا المساء، فإذا ذكرت اسمها لا ترد، ولم تمنحني حتى رمشة عين تدل على أنها أدركت وجودي. لقد فعلت أقصى ما يمكن أن يفعله معظم العشاق الآخرين؛ سعيت إلى كلمة منها من خلال شخص حميم. وفي هذه اللحظة لجأت

إلى سولا التي كانت في مكان آخر من المخيم.

اندفعت قائلًا: «ما الأمر مع ديجاه ثوريس؟ لماذا لا تتحدث معي؟»

ارتبكت سولا، كما لو أن مثل هذه الأفعال الغريبة من جانب اثنين من البشر تتجاوز إدراكها تمامًا، وهذا هو الواقع بالفعل لدى هذه الطفلة البائسة.

«تقول إنك أغضبتها. هذا كل ما قالته، ما عدا أنها ابنة جِد وحفيدة جيداك وأنها تعرضت للإهانة من مخلوق لا يمكنه تلميع أسنان سوراك جدتها».

تأملت هذا الكلام لبعض الوقت، وأخيرًا سألت: «ما السوراك، سولا؟»

أوضحت سولا: «هو حيوان صغير، حجمه تقريبًا مثل حجم يدي، وتلهو به النساء الحُمر المريخيات».

لا يصلح لتلميع أسنان قط جدتها! لا بد أن مرتبتي منخفضة جدًّا في نظر ديجاه ثوريس، هكذا فكرت؛ لكنني لم أستطع أن أتمالك نفسي من الضحك على هذا التشبيه الغريب، فهو عائلي جدًّا ويشبه في هذا الصدد التشبيهات على كوكب الأرض. لقد أثار حنيني إلى الوطن، فهو يشبه كثيرًا تعبير 'لا يصلح لتلميع حذائها'. انتابتني سلسلة من الأفكار جديدة تمامًا بالنسبة لي. بدأت أتساءل عما يفعله قومي في البيت، فلم أرهم لسنوات. توجد عائلة كارتر في فرجينيا، وتزعم أنها على علاقة وثيقة بي؛ فمن المفترض أنني العم الكبير، أو شيء من هذا النوع على نفس

القدر من السخف. يمكنني قضاء ٢٥ أو ٣٠ سنة في أي مكان، ولكن أن أكون العم الكبير، هذه تبدو دائمًا ذروة التعارض؛ فأفكاري ومشاعري كانت مثل أفكار ومشاعر صبي. ضمت عائلة كارتر طفلين صغيرين أحببتهما كثيرًا وكانا يعتقدان أنه لا يوجد على كوكب الأرض مثل العم جاك. يمكنني رؤيتهما بوضوح كلما وقفت هناك تحت سماء برسوم التي يضيئها القمر، وأشتاق إليهما كما لم أتُق أبدًا لأي بشر من قبل. أنا جوال بطبيعتي، ولم أعرف أبدًا المعني الحقيقي لكلمة بيت، لكن القاعة الكبيرة لدى آل كارتر أعطت دائمًا لهذه الكلمة كل ما تعنيه بالنسبة لي، والآن يتجه قلبي ناحيتها، وأنا بين أناس يتسمون بالبرود وعدم الود. حتى ديجاه ثوريس تحتقرني! كنت مخلوقًا متدنيًا، متدنيًا إلى حد أنني لا أصلح حتى لتلميع أسنان قط جدتها؛ ثم أنقذتني روح الدعابة لدي، واستدرت ضاحكًا إلى أغطيتي الحريرية والفراء، ونمت على الأرض التي ينيرها القمر نوم محارب منهك وإن كان بصحة جيدة.

فككنا المخيم في اليوم التالي في ساعة مبكرة، وسرنا دون توقف إلا قبل حلول الظلام مباشرة. كسرت حادثتان ملل المسيرة. ففي حوالي الظهيرة، لمحنا من بعيد على يميننا ما كان يبدو واضحًا أنه حاضنة، فأصدر لوركواس بتوميل توجيهاته إلى تارس تاركاس للتحقق منها. أخذ الأخير عشرات المحاربين، كنت من بينهم، وأسرعنا عبر بساط الطحلب الناعم نحو الحظيرة الصغيرة.

لقد كانت حاضنة بالفعل، لكن البيض كان صغيرًا جدًّا مقارنة بذلك الذي رأيته يفقس في حاضنتنا يوم وصولي إلى المريخ.

ترجل تارس تاركاس وتفحص الحظيرة بدقة، وأعلن أخيرًا أنها تنتمي إلى رجال وارهون الخُضر، وأن أسمنت السياج كان بالكاد جافًّا.

«لا يمكن أن يكونوا أمامنا بأكثر من مسيرة يوم»، قال ذلك صائحًا وروميض المعركة يقفز إلى وجهه الشرس.

استغرق العمل في الحاضنة وقتًا قصيرًا في الواقع. حطم المحاربون المدخل، وزحف بعضهم إلى الداخل وسرعان ما حطموا جميع البيض بسيوفهم القصيرة. ثم امتطينا ركوباتنا واندفعنا لننضم مرة أخرى إلى الموكب. خلال سيرنا انتهزت الفرصة لأسأل تارس تاركاس عن هؤلاء الوارهون الذين حطمنا بيضهم، وعما إذا كانوا شعبًا أصغر من شعبه الثاركي.

وأضفت: «لاحظت أن بيضهم أصغر كثيرًا من البيض الذي رأيته يفقس في حاضنتكم».

أوضح أن البيض كان قد وُضع لتوِّه؛ لكنه، مثل كل بيض المريخيين الخُضر، سوف ينمو خلال فترة خمس سنوات من الحضانة إلى أن يكتسب حجم البيض الذي رأيته يفقس يوم وصولي إلى برسوم. هذه في الواقع معلومات مثيرة للاهتمام، فقد كان يلفت نظري دائمًا أن النساء المريخيات الخُضر، اللاتي يتسمن بكبر حجمهن، قادرات على إنتاج مثل هذا البيض الضخم الذي رأيت الصغار بأرجلهم الأربعة يخرجون منه. في واقع الأمر، كان البيض الجديد أكبر قليلًا من بيضة إوزة عادية؛ ونظرًا لأنه لا يبدأ في النمو إلا بعد تعرضه لضوء الشمس، لا يجد الزعماء صعوبة تذكر في نقل عدة مئات منه مرة واحدة من سراديب التخزين إلى الحاضنات.

بعد فترة قصيرة من واقعة بيض الوارهون، توقفنا كي تحصل

الحيوانات على الراحة. وفي أثناء هذا التوقف، جرت ثاني أحداث اليوم المثيرة. كنت منشغلًا في نقل ملابسي الخاصة بالركوب من أحد حيواناتي الثوات إلى الآخر، حيث قسّمت عمل اليوم بينهما، عندما اقترب مني زاد، ودون أن ينبس بكلمه وجه ضربة هائلة إلى أحد حيواناتي بسيفه الطويل.

لم أكن في حاجة إلى دليل لآداب المريخيين الخُضر لأعرف الرد المناسب، لأنني في الواقع كنت أتفجر غضبًا بحيث بالكاد ما منعت نفسي من إخراج مسدسي وقتله لوحشيته؛ لكنه وقف منتظرًا بسيفه الطويل، ولم يكن أمامي أي خيار سوى سحب سيفي ومواجهته في قتال عادل بالأسلحة التي يختارها أو الأقل منها.

هذا البديل الأخير متاح دائمًا، ولذا كان يمكنني إذا أردت أن أستخدم سيفي القصير، أو خنجري، أو بلطتي الصغيرة، أو قبضات يدي؛ وهذا من حقي تمامًا، وإنما لا يمكنني استخدام الأسلحة النارية أو الرمح ما دام لا يحمل هو سوى سيفه الطويل.

اخترت نفس سلاحه لأنني كنت أعرف أنه يفتخر بقدرته على استخدامه، وتمنيت إذا هزمته أن أهزمه بالسلاح الذي اختاره. بدأت المعركة وكانت طويلة، بما أدى إلى تأخير استئناف المسيرة لمدة ساعة. أحاطت بنا المجموعة كلها، مع ترك مسافة واضحة لمعركتنا تبلغ نحو مائة قدم من حيث قطرها.

حاول زاد بداية أن يندفع للانقضاض علي، كما يفعل ثور يركض وراء ذئب، لكن سرعتي كانت هائلة بالنسبة له؛ وفي كل مرة أتجنب فيها

هجماته، يحاول الاندفاع نحوي لكنه يتلقى جرحًا من سيفي على ذراعه أو ظهره. وسرعان ما أخذ الدم يتدفق من عشرات جروحه الطفيفة، على أنني لم أتمكن من الحصول على فرصة توجيه طعنة فعالة. ثم قام بتغيير تكتيكاته، وقاتل بحذر وبأقصى مهارة في محاولة لاستخدام العِلم للقيام بما لم يتمكن من عمله بالقوة الوحشية. يجب أن أعترف أنه كان مبارزًا رائعًا، ولو لم يكن لدي هذا القدر من قوة التحمل وخفة الحركة نتيجة لجاذبية المريخ المنخفضة، لربما لم أكن لأقدر على قتاله في المعركة المُشرفة كما فعلت.

قمنا بمراوغات لبعض الوقت دون أن يلحق بأي منا الكثير من الضرر؛ كانت السيوف الطويلة المستقيمة الشبيهة بالإبرة تومض في ضوء الشمس، وترن في الصمت وهي تتصادم مع كل حركة دفاعية فعالة. وأخيرًا أدرك زاد أنه أكثر تعبًا مني، ويبدو أنه قرر إنهاء المعركة بتألق نهائي لمجده؛ إذ هاجمني خلال ومضة ضوء مسببة للعمى ارتطمت بالكامل في عيني، بحيث لم أتمكن من رؤيته وهو يقترب، تمكنت فقط من القفز غير مبصر إلى أحد الجوانب في محاولة لتجنب النصل القوي الذي بدأت أشعر به بالفعل في جسدي. لم أحقق سوى نجاح جزئي، كما يشهد على ذلك شعوري بألم حاد في كتفي الأيسر. وخلال نظراتي الخاطفة لتحديد موقع خصمي مرة ثانية، التقت نظراتي المندهشة بمشهد أفادني كثيرًا يتعلق بالجرح الذي سببه العمى المؤقت. هناك، فوق عربة ديجاه ثوريس، وقف ثلاثة أشخاص، بغرض واضح وهو مشاهدة المعركة من فوق رؤوس الثاركيين. هؤلاء الأشخاص هم:

ديجاه ثوريس، وسولا، وساركوجا. وعندما لمحتهم بنظرتي العابرة، تمثلت أمامي صورة ستظل محفورة في ذاكرتي إلى يوم مماتي.

لقد شاهدت ديجاه ثوريس تلتفت إلى ساركوجا بغضب نمرة شابة، وتصيب شيئًا في يدها المرفوعة؛ شيء يومض في ضوء الشمس وهو يدور ساقطًا على الأرض. وهنا عرفت ما سبّب لي العمى في تلك اللحظة الحاسمة من المعركة، وكيف وجدت ساركوجا طريقة لقتلي دون إقحام نفسها. رأيت شيئًا آخر أيضًا كاد أن يفقدني حياتي، حيث أخذ ذهني تمامًا لجزء من لحظة بعيدًا عن خصمي؛ فعندما أصابت ديجاه ثوريس المرآة الصغيرة في يد ساركوجا، شحب وجه ساركوجا وهو مملوء بكراهية وغضب مرتبك، وسحبت خنجرها لتوجه طعنة مرعبة إلى ديجاه ثوريس؛ لكن سولا، صديقتنا العزيزة المخلصة، وقفت بينهما؛ وكان آخر ما رأيته هو السكين الكبير يقع على صدرها المغطى بالدروع.

تعافى خصمي من طعنته، وجعل الوضع شيقًا للغاية بالنسبة لي. ولذا اهتممت على مضض بالعمل المطروح أمامي دون أن يركز ذهني على المعركة.

تبادلنا الهجمات بشراسة تكرارًا ومرارًا، إلى أن شعرت فجأة بحد سيفه في صدري خلال هجمة لم أستطع تجنبها أو تفاديها، فألقيت نفسي عليه بسيفي الممدود، وبكل ثقل جسدي عزمت ألا أموت بمفردي إن لم أتمكن من منع الموت. شعرت بتمزق شديد في صدري، وأصبح كل شيء أسود أمامي، وأصبت بدوار في رأسي، وشعرت بركبتيّ تسقطان مستسلمتين أسفل جسدي.

(١٥)

سولا تخبرني بقصتها

سرعان ما عرفت، بعد استعادتي للوعي، أنني سقطت ولكن للحظة ثم وقفت بسرعة على قدماي بحثًا عن سيفي ووجدته، وأغمدته حتى مقبضه في صدر زاد الأخضر، الذي سقط ميتًا فوق طحلب نحاسي اللون في قاع البحر القديم. وعندما استعدت حواسي كاملة وجدت سلاحه نافذًا في صدري الأيسر، وإنما فقط في اللحم والعضلات التي تغطي ضلوعي، فقد نفذ قرب وسط صدري وخرج أسفل الكتف. عندما هاجمته مندفعًا، استدرت بحيث مر سيفه تحت عضلاتي وألحق بي جرحًا مؤلمًا وإن لم يكن خطيرًا.

بعد إزالة النصل من جسدي، استعدت نصلي أيضًا، وأدرت ظهري لجثته القبيحة ثم تحركت مجروحًا ومتألمًا ومشمئزًا نحو العربات التي تحمل حاشيتي وممتلكاتي. كانت همهمة تصفيق المريخيين في استقبالي، لكنني لم أهتم بها.

وصلت وأنا أنزف وضعيف إلى نسائي اللاتي اعتدن على مثل هذه الأحداث، فقمن بتطبيب جروحي باستخدام مواد علاجية رائعة

لا تُستخدم إلا في حالات ضربات الموت اللحظية القاتلة. أعط للمرأة المريخية فرصة، وسيتوارى الموت في مقعد خلفي. سرعان ما تحسنت على أيديهن، باستثناء شعوري بالضعف نتيجة للنزف وبعض الألم حول الجرح. لم أشعر بمعاناة شديدة من هذه الطعنة التي كانت لتجعلني دون شك، في ظل علاجات كوكب الأرض، أرقد على ظهري لأيام.

بمجرد انتهائهن من تطبيبي، سارعت إلى عربة ديجاه ثوريس حيث وجدت سولا البائسة تلف الضمادات حول صدرها، ولكن على ما يبدو أن معركتها مع ساركوجا لم تلحق بها الكثير من الأذى، حيث أصابت طعنة خنجر ساركوجا أحد حواف الحلي المعدنية بصدر سولا، فانحرف عن مساره ولم يسبب سوى جرح طفيف.

عندما اقتربت، وجدت ديجاه ثوريس مضجعة فوق أغطيتها الحريرية والفراء، وهيئتها الرشيقة منهارة في البكاء. لم تلحظ وجودي، كما لم تسمع حديثي مع سولا التي كانت تقف على مسافة قصيرة من العربة.

سألت سولا، وأنا أشير برأسي إلى ديجاه ثوريس: «هل أصيبت بجراح؟»

أجابت: «كلا، لكنها تعتقد أنك ميت».

تساءلت مبتسمًا: «وأن قط جدتها لن يجد الآن من يُلمع أسنانه؟»

«أعتقد أنك مخطئ، جون كارتر»، قالت سولا، «أنا لا أفهم طريقتها أو طريقتك، لكني على يقين أن حفيدة عشرة آلاف جيداك لا تحزن أبدًا

على أي شخص إلا من يشغل أعلى مكانة في عواطفها. إنهم جنس متفاخر، لكنهم عادلون، مثل البرسوميين كافة، ومن المؤكد أنك أسأت إليها أو جرحتها على نحو أحزنها بشدة بحيث أنها لن تقبل بوجودك حيًّا، رغم أنها تندب على قتلك».

ثم واصلت قائلة: «الدموع هي مشهد غريب في برسوم، ولذا يصعب علي تفسيرها. لم يسبق أن رأيت في حياتي كلها سوى شخصين يبكيان، غير ديجاه ثوريس؛ كان أحدهما يبكي من الحزن، والآخر من الغضب المتحير. أولهما كانت والدتي، قبل أن يقتلوها بسنوات، والثانية هي ساركوجا، عندما أبعدوها عني اليوم».

قلت صائحًا: «والدتك! لكنك، سولا، لا يمكن أن تعرفي والدتك».

«لكني أعرفها. وأعرف والدي أيضًا»، ثم أضافت: «إذا كنت ترغب في الاستماع إلى قصة غريبة وغير برسومية، تعال إلى عربتي الليلة، جون كارتر، وسأحكي لك ما لم أقله من قبل لأحد أبدًا طوال حياتي. أما الآن، فقد أُعطيت الإشارة لاستئناف المسيرة، يجب أن تذهب».

وعدتها: «سوف آتي الليلة، سولا. تأكدي إبلاغ ديجاه ثوريس أنني على قيد الحياة وبصحة جيدة. لن أفرض نفسي عليها، وتأكدي من عدم معرفتها أنني رأيت دموعها. إذا أرادت أن تتكلم معي، فأنا في انتظار أوامرها».

ركبت سولا العربة، التي كانت تتأرجح في مكانها في الصف. أما أنا فقد سارعت إلى حيواناتي الثوات التي تنتظرني، وتحركت مسرعًا إلى موقعي بجوار تارس تاركاس في الجزء الخلفي من الطابور.

كان مشهدنا مذهلًا ومهيبًا ونحن نتحرك عبر المناظر الطبيعية الصفراء؛ مائتان وخمسون عربة مزخرفة ذات ألوان زاهية، تتقدمها حراسة من حوالي مائتي من المحاربين والزعماء، يمتطون حيواناتهم، وكل خمسة متجاورين وعلى بعد مائة ياردة عن بعضهم بعضًا، ويتبعهم رقم مماثل بنفس التشكيل، مع مجموعة أو أكثر من المحاربين الذين يحمون أجنحة الموكب على الجانبين؛ وعلاوة على ذلك هناك خمسون من حيوانات الماستودون، أو حيوانات الجر الثقيلة المعروفة باسم زيتيدار، بالإضافة إلى ٥٠٠ أو ٦٠٠ من حيوانات الثوات الخاصة بالمحاربين ويتحركون بحرية داخل المربع الفارغ الذي شكله المحاربون المحيطون. أما المعادن والمجوهرات اللامعة في الحلي الرائعة لدى الرجال والنساء، وكذلك في أغطية الزيتيدار والثوات المزخرفة، والتي تتخللها ألوان ساطعة من أفخم أنواع الحرير والفراء والريش، فقد أضفت رونقًا بربريًّا على القافلة من شأنه أن يثير غيرة ملك هندي شرقي.

لم يصدر عن العجلات العريضة الضخمة للعربات والأقدام السميكة المبطنة لدى الحيوانات أي صوت فوق قاع البحر المغطى بالطحالب؛ وبالتالي تحركنا في صمت مطلق - مثل حُلم ضخم - لا يكسره أحيانًا إلا زمجرة الزيتيدار الأجشة عندما نحثها على السير، أو صخب الثوات وهي تتقاتل. لا يتحدث المريخيون الخُضر سوى قليلًا، وعادة بكلمات من مقطع واحد وبصوت منخفض يشبه الهدير الخافت لرعد بعيد.

اجتزنا امتداد واسع من الطحالب، ينحنى مع ضغط العجلات العريضة أو الأقدام السميكة المبطنة، ثم يرتفع مرة أخرى وراءنا دون ترك أي دليل على سيرنا فوقه. ربما كنا في الواقع أشباح الموتى الذين رحلوا في البحر الميت لهذا الكوكب الفاني، لكل الأصوات والعلامات التي تركناها عند مرورنا. كانت أول مسيرة أشهدها لمجموعة كبيرة من الرجال والحيوانات ولا ينتج عنها أي غبار وتغادر دون أن تترك أثرًا؛ فلا يوجد غبار على المريخ ما عدا في المناطق التي تُزرع خلال أشهر الشتاء، وحتى ذلك الحين فإن غياب الرياح العاتية يجعله غير ملحوظ تقريبًا.

أقمنا مخيمنا في تلك الليلة عند سفح التلال التي سرنا يومين لنصل إليها، وكانت علامة على الحدود الجنوبية لهذا البحر تحديدًا. لم تشرب حيواناتنا منذ يومين، كما لم تحصل على المياه لمدة شهرين تقريبًا، ولا حتى بعد وقت قصير من مغادرة ثارك؛ لكنها، كما شرح لي تارس تاركاس، لا تحتاج إلا إلى قدر قليل من الماء، ويمكنها أن تعيش إلى الأبد تقريبًا على الطحلب الذي يغطي برسوم ويحمل في سيقانه بالغة الصغر – كما قال لي – قدرًا من الرطوبة يكفي لتلبية الاحتياجات المحدودة للحيوانات.

بعد تناول وجبتي المسائية المكونة من الحليب النباتي وطعام يشبه الجُبن، بحثت عن سولا ووجدتها تعمل على ضوء شعلة في بعض أغطية تارس تاركاس المزخرفة. نظرت نحوي، وأضاء وجهها بالسرور والترحيب.

قالت: «أنا سعيدة بمجيئك. ديجاه ثوريس نائمة وأنا بمفردي. لا

يهتم بي قومي، جون كارتر؛ كما أنني أيضًا أختلف عنهم. إنه مصير حزين، إذ يجب أن أعيش حياتي بينهم، وكثيرًا ما رغبت أن أكون امرأة مريخية خضراء حقيقية، بلا حب وبلا أمل؛ لكنني عرفت الحب، ولذا أنا ضائعة».

«لقد وعدتك أن أحكي لك قصتي، أو بالأحرى قصة والداي. من ما عرفته عنك وطرق شعبك، أنا متأكدة أن حكايتي لن تبدو لك غريبة، لكنها بين المريخيين الخُضر لا يوجد ما يوازيها في ذاكرة أقدم ثاركي حي، كما لا تضم أساطيرنا العديد من الحكايات المماثلة».

«كانت والدتي صغيرة الحجم إلى حد ما، وفي الواقع أصغر حجمًا من أن يُسمح لها بتولي مسؤوليات الأمومة، ذلك أن زعماءنا يتناسلون أساسًا من أجل الحجم. كما كانت أيضًا أقل برودة وقسوة من معظم النساء الخُضر المريخيات، ولم تهتم بجماعتها كثيرًا، وكانت غالبًا ما تجوب الطرقات المهجورة في ثارك بمفردها، أو تذهب لتجلس بين الزهور البرية على سطح التلال القريبة، وتنتابها أفكار وتأمل في رغبات أعتقد أنني أنا وحدي بين نساء ثارك اليوم التي أفهمها، ألست ابنة أمي؟»

«وهناك بين التلال التقت بمحارب شباب، كان واجبه حراسة غذاء حيوانات الزيتيدار والثوات والتأكد من عدم تجوالهم إلى ما يتجاوز التلال. تحدثا في البداية عن أمور تهم جماعة ثارك، لكن لقاءاتهما زادت تدريجيًّا وأصبح واضحًا تمامًا لهما أن هذه اللقاءات لم تعُد من قبيل الصدفة. تحدثا عن نفسيهما، وعن ما يحبانه، وعن طموحاتهما وآمالهما. لقد وثقت به وأخبرته بما تشعر به من اشمئزاز فظيع تجاه قسوة جنسهما،

وتجاه الحياة البشعة الفاقدة للحب التي يحياها جنسهما، ثم انتظرت انطلاق عاصفة من الاستنكار من بين شفتيه الباردتين الصارمتين؛ لكنه بدلًا من ذلك أخذها بين ذراعيه وقبّلها».

«استمر حبهما سرًّا لمدة ست سنوات طوال. كانت أمي من حاشية تال هاجوس العظيم، بينما كان حبيبها محاربًا بسيطًا، لا يرتدي سوى معادنه. إذا كان ارتدادهما عن تقاليد ثارك قد اكتُشف، كان كلاهما سينال العقوبة في الساحة الكبرى أمام تال هاجوس وجحافله المحتشدة».

«البيضة التي خرجت أنا منها، كانت مخبأة تحت وعاء زجاجي كبير فوق أعلى برج وأكثرهم صعوبة من حيث الوصول إليه من الأبراج المهدمة جزئيًّا في ثارك القديمة. كانت أمي تزورها مرة واحدة كل سنة طوال السنوات الخمس التي ظلت فيها البيضة هناك في عملية الاحتضان. لم تكن تتجرأ على زيارتها أكثر من ذلك، فنتيجة لشعورها القوي بالذنب كانت تخشى أن تكون كل تحركاتها مراقبة. وخلال تلك الفترة اكتسب والدي امتيازًا كبيرًا كمحارب ونال معادن عدة زعماء. لم يتضاءل أبدًا حبه لوالدتي، وكان طموحه في الحياة أن يتمكن من انتزاع معادن تال هاجوس نفسه، وبالتالي يصبح حاكم ثارك ومن حقه أن يطالب بها لنفسه، هذا بالإضافة إلى أن يحمي، بسطوة سلطته، الطفل الذي على خلاف ذلك سرعان ما سيُعدم إذا عُرفت الحقيقة».

«كان حلمًا جامحًا، أن ينتزع المعدن من تال هاجوس خلال خمس سنوات، لكن تقدمه كان سريعًا بحيث تمكن من شغل مكانة عالية في مجالس ثارك. بيد أن الفرصة ضاعت إلى الأبد في أحد الأيام، بقدر

ما كان يمكن أن تأتي في الوقت المناسب لإنقاذ أحبائه؛ فقد صدرت الأوامر بأن يرحل في حملة طويلة إلى الغطاء الجليدي في الجنوب لشن الحرب على قاطنيه وسلب فرائهم، فهذه هي طريقة البرسوميين الخُضر: لا يكدحون للحصول على ما يمكن انتزاعه من الآخرين في معركة».

«غاب أربع سنوات، وعندما عاد كان كل شيء قد انتهى منذ ثلاث سنوات. فبعد حوالي عام من رحيله، وقبل فترة وجيزة من عودة بعثة استكشافية ذهبت لجلب ثمار حاضنة الجماعة، فقست البيضة. ومنذ ذلك الحين، استمرت والدتي تحتفظ بي في البرج القديم، وتزورني ليلًا وتغمرني بالحب الذي كان يمكن تحرمنا منه حياة الجماعة. وكانت تأمل، لدى عودة البعثة من الحاضنة، أن تضعني مع الصغار الآخرين المُعينين بمقر تال هاجوس، وبالتالي تتجنب المصير الذي كان سيتبع بالتأكيد اكتشاف خطيئتها ضد تقاليد الرجال الخُضر القديمة».

«علمتني بسرعة لغة وعادات جنسنا، وفي إحدى الليالي أخبرتني بالقصة التي حكيتها لك حتى الآن، وفرضت علي ضرورة السرية المطلقة والحذر الشديد بعد أن وضعتني مع صغار ثارك الآخرين حتى لا تسمح لأي شخص أن يخمن أنني أفضل تقدمًا في التعليم، ولا أن أكشف في وجود الآخرين عن أي شيء يدل على عاطفتي تجاهها؛ ثم قربتني منها وهمست في أذني باسم والدي».

«ثم ومض ضوء في ظلام غرفتها بالبرج، وهناك وقفت ساركوجا وعينيها اللامعتين المشوهتين مثبتتين في نوبة من الغضب والاحتقار على أمي. سيل الكراهية والإيذاء الذي صبته على أمي جعل قلبي الشاب

يتجمد رعبًا. كان من الواضح أنها سمعت القصة بأكملها، وأن تشككها في وجود شيء خاطئ نتيجة لغياب أمي الطويل ليلًا عن مقرها هو ما تسبب في وجودها هناك في تلك الليلة المشؤومة».

«هناك شيء واحد لم تسمعه ولم تعرفه، وهو اسم والدي الذي همست به أمي. كان هذا واضحًا من تكرار مطالبتها لأمي بالكشف عن اسم شريك حياتها في الخطيئة، على أنه لم يكن أي قدر من سوء المعاملة أو التهديدات يمكن أن ينتزع الاسم من أمي. كذبت أمي لكي تنقذني من تعذيب بلا داع، وقالت لساركوجا إنها وحدها تعرفه ومن المستحيل أن تخبر ابنتها به».

«وبعد أن انتهت ساركوجا من لعناتها، أسرعت إلى تال هاجوس لتخبره باكتشافها. وفي أثناء ذلك، لفتني أمي في أغطيتها الليلية من الحرير والفراء بحيث يصعب رؤيتي، وهبطت إلى الشارع وجرت بعنف في اتجاه ضواحي المدينة، الاتجاه الذي يقود إلى أقصى الجنوب، في اتجاه الرجل الذي لا يمكنها أن تطالب بحمايته لكنها ترغب في رؤية وجهه مرة أخرى قبل أن تموت».

«وعندما اقتربنا من أقصى جنوب المدينة، جاءنا صوت عبر السهل المغطى بالطحلب، من اتجاه الممر الوحيد عبر التلال الذي يقود إلى البوابات، الممر الذي تدخل من خلاله القوافل الآتية من الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب إلى المدينة. كانت الأصوات التي سمعناها هي صخب الثوات وتذمر الزيتيدار، مع قعقعة الأسلحة التي تعلن عن اقتراب مجموعة من المحاربين. تصورت أمي أنه والدي ومجموعته

يعودون من حملتهم، لكن مكر الثاركيين حال دون اندفاعها بتهور وعجلة لتحيته».

«تراجعت إلى ظلال المدخل في انتظار قدوم الموكب الذي سرعان ما دخل إلى الطريق، مخالفًا تشكيله ومحتشدًا في الطريق من الجدار إلى الجدار. وعندما مر بنا قائد الموكب، تمايل القمر الأصغر جليًّا فوق الأسقف المعلقة وأضاء المشهد بكل تألق ضوءه المدهش. تراجعت أمي مرة أخرى داخل الظلال الودودة، ورأت من مخبأها أن هذه ليست رحلة والدي، لكن القافلة العائدة كانت تحمل الثاركيين الصغار. وعلى الفور رسمت خطتها، فعندما اقتربت عربة كبيرة متأرجحة من مكان مخبأنا، تسللت خلسة إلى لوح الجر الخلفي بالعربة وهي منحية في ظل الجانب العلوي، وتضمني بقوة إلى حضنها في فورة من الحب».

«لقد كانت تعرف، ما لم أكن أعرفه، أنها لن تستطيع أبدًا أن تحملني مرة أخرى على صدرها بعد هذه الليلة، كما لم يكن من المحتمل أن ننظر إلى وجهينا مرة أخرى. جعلتني أمي أختلط بالأطفال الآخرين في فوضى الساحة، الذين أصبح رعاتهم خلال الرحلة أحرارًا الآن في التخلي عن مسؤوليتهم. اقتادونا إلى غرفة كبيرة تضم النساء اللاتي لم ترافقن الرحلة، وفي اليوم التالي وزعونا على حاشية الزعماء».

«لم أر أمي أبدًا بعد تلك الليلة. سجنها تال هاجوس، ومارسوا عليها كل الضغوط الممكنة، بما في ذلك أكثر أنواع التعذيب المروعة والمخزية، لانتزاع اسم والدي من شفتيها؛ لكنها بقيت صامدة ووفية حتى ماتت أخيرًا وسط ضحك تال هاجوس وقادته خلال ممارسة

تعذيب وحشي عليها».

«علمت فيما بعد أنها أخبرتهم بأنها قتلتني، وذلك لإنقاذي من مصير مماثل على أيديهم، وأنها ألقت جسدي إلى القرود البيضاء. كانت ساركوجا هي الوحيدة التي لم تصدقها، وأشعر حتى يومنا هذا أنها تشتبه في أصلي الحقيقي، لكنها لا تجرؤ على مواجهتي في الوقت الحاضر وفي جميع الأحوال لأنها تخمن أيضًا، وأنا متأكدة من ذلك، هوية والدي».

«عندما عاد أبي من رحلته وعلم بمصير أمي، كنت موجودة وتال هاجوس يخبره؛ لكنه لم يخن أبدًا أدنى عواطفه ولا برعشة في عضلاته، إلا أنه لم يضحك عندما كان تال هاجوس يصف في ابتهاج كفاحها حتى الموت. واعتبارًا من تلك اللحظة، أصبح أبي أقسى القساة، وأنا في انتظار اليوم الذي يحقق فيه هدفه الطموح، ويتحسس بقدمه جثة تال هاجوس، لأنني على ثقة أنه ينتظر الفرصة ليشفي غليله بانتقام رهيب، وأن حُبه الكبير لا يزال قويًّا في صدره كما غمره منذ ما يقرب من أربعين عامًا، كما أشعر به أنا أيضًا ونحن نجلس هنا عند حافة أقدم محيط في العالم بينما الناس نيام، جون كارتر».

سألتها: «ووالدك، سولا، هل هو معنا الآن؟».

أجابت: «نعم، لكنه لا يعرفني ولا يعرف الذين خانوا والدتي وأخبروا تال هاجوس. أنا فقط أعرف اسم والدي، وأنا وتال هاجوس وساركوجا فقط نعرف أنها هي من نقلت القصة التي جلبت الموت والتعذيب على حبيبته».

جلسنا صامتين لبضع لحظات. تدثرت بقتامة أفكار ماضيها الرهيب، وتدثرت بشفقتي على تلك المخلوقات البائسة التي حكمت عليهم عادات جنسهم القاسية الخرقاء بحياة بلا حب، حياة من القسوة والكراهية. ثم أخذت سولا تتحدث.

«جون كارتر، إذا كان هناك رجل حقيقي نجح في الإفلات من برودة حضن برسوم الميت، فهو أنت. أعرف أنني يمكنني أن أثق بك، ونظرًا لأن المعرفة قد تساعدك أو تساعده أو تساعد ديجاه ثوريس أو تساعدني في يوم ما، فسوف أخبرك باسم والدي، ولن أضع أي قيود أو شروط على لسانك. وعندما يحين الوقت، قل الحقيقة إذا كانت تبدو أفضل بالنسبة لك. أثق بك لأنني أعرف أن لعنة تلك السمة الرهيبة من الصدق المطلق والمخلص لم تصبك، وأن بإمكانك أن تكذب كأحد سادة فرجينيا الأفاضل إذا كان الكذب سينقذ الآخرين من الحزن أو المعاناة. والدي هو تارس تاركاس».

(١٦)

نخطط للهروب

كانت الفترة التي تبقت من رحلتنا إلى ثارك هادئة. باقي عشرين يومًا على الطريق، وعبور قيعان بحرين، والمرور عبر عدد من المدن المُدمَّرة أو الالتفاف حولها، ومعظمها أصغر من كوراد. عبرنا مرتين المجاري المائية المريخية الشهيرة، أو القنوات كما يسميها علماء الفلك في كوكب الأرض. عند اقترابنا من تلك النقاط، كانوا يرسلون محاربًا ومعه منظار ميداني قوي يصل مداه إلى مسافة بعيدة، فإذا لم تظهر في الأفق مجموعة كبيرة من القوات المريخية الحمراء، نتحرك قدمًا متجاورين إلى أقرب حد ممكن دون أن نترك فرصة لأن يرانا أحد، ثم نخيم حتى حلول الظلام، وعندئذ نقترب ببطء من الدروب المزروعة ونحدد موقع أحد الطرق السريعة الواسعة العديدة التي تخترق هذه المناطق على فترات منتظمة، ونزحف بصمت وخلسة عبر الأراضي القاحلة على الجانب الآخر. يتطلب اجتياز أحد هذه المعابر دون توقف خمس ساعات، في حين يستغرق المعبر الآخر ليلة كاملة، وبالتالي كنا على وشك مغادرة

حدود الحقول ذات الجدران المرتفعة عندما أشرقت الشمس علينا.

خلال عبورنا في الظلام، لم أتمكن من الرؤية سوى قليلًا، إلا عندما كان القمر الأقرب - في اندفاعه الجامح بلا توقف خلال سماء برسوم - يُضيء من وقت لآخر قِطعًا صغيرة من المناظر الطبيعية، كاشفًا عن حقول مسورة ومبان منخفضة متزاحمة، تشبه كثيرًا مظهر مزارع كوكب الأرض. هناك أيضًا العديد من الأشجار منتظمة الترتيب، التي يصل بعضها إلى ارتفاعات هائلة؛ كما توجد حيوانات في بعض الحظائر، أعلنت عن وجودها بصيحاتها الطويلة وشخيرها المرعب عندما وصلت إليها رائحتنا الغريبة، رائحة الحيوانات الوحشية والبشر الأكثر وحشية.

شاهدت إنسانًا مرة واحدة فقط، عند تقاطع مفترق طريقنا مع حاجز أبيض واسع يقطع طوليًّا كل منطقة مزروعة في مركزها بالضبط. أعتقد أن الزميل كان نائمًا على جانب الطريق، ونهض متكئًا على كوعه عندما اقتربت منه. وما إن لمح بنظرة واحدة اقتراب قافلة، قفز على قدميه صارخًا وفر بجنون على الطريق، ثم تسلق جدارًا قريبًا برشاقة قط مذعور. لم يعره الثاركيون أدنى اهتمام؛ فهم ليسوا على طريق الحرب، والعلامة الوحيدة التي تدل على رؤيتهم له هو التعجيل بوتيرة القافلة ونحن نسرع نحو الصحراء المتاخمة التي تميز مدخلنا إلى عالم تال هاجوس.

لم أتحدث ولو مرة واحدة مع ديجاه ثوريس، إذ لم ترسل لي أي كلمة تعني أنني موضع ترحيب في عربتها، وحال كبريائي الأحمق دون أن أقوم بأي مبادرة. أعتقد حقًّا أن طريقة الرجل مع المرأة تتناسب عكسيًّا مع مهارته بين الرجال. يمتلك الرجل الضعيف والساذج قدرة كبيرة غالبًا

على فتنة الجنس الجميل، في حين أن الرجل المقاتل الذي يمكنه مواجهة ألف خطر حقيقي دون خوف يجلس مختبئًا في الظل مثل طفل خائف.

بعد وصولي إلى برسوم بثلاثين يومًا فقط، دخلنا إلى مدينة ثارك القديمة التي سرق هؤلاء الرجال الخُضر شعبها الذي طواه النسيان منذ زمن بعيد، سرقوا حتى أسماءهم. يبلغ عدد جحافل ثارك حوالي ثلاثين ألف نسمة، ينقسمون إلى ٢٥ جماعة. ولكل جماعة جِد خاص بها وزعماء أقل مرتبة، لكنهم جميعًا تحت حكم تال هاجوس، جيداك ثارك. أقامت خمسة جماعات مقارها في مدينة ثارك، وتناثرت باقي الجماعات على نحو متوازن بين المدن المهجورة الأخرى بالمريخ القديم في جميع المناطق التي يحكمها تال هاجوس.

دخلنا إلى الساحة المركزية الكبيرة في فترة مبكرة من بعد الظهيرة. لم تلق البعثة العائدة ترحيبًا حماسيًّا وديًّا. نادى من تصادف وجودهم على أسماء المحاربين أو النساء الذين كانوا على صلة مباشرة بهم، كتحية رسمية، لكنهم اهتموا كثيرًا عندما اكتشفوا وجود أسيرين، وأصبحت أنا وديجاه ثوريس مركزًا للمجموعات المستفسرة.

سرعان ما تحددت لنا أماكن إقامة جديدة، مع تخصيص باقي اليوم للتأقلم مع الظروف المتغيرة. يقع بيتي الآن على الطريق المؤدي إلى الساحة من الجنوب – الشريان الرئيسي الذي سرنا خلاله من بوابات المدينة – عند النهاية الطرفية للساحة، وكان المبنى بأكمله لي. لاحظت نفس عظمة المعمار التي اتسمت بها كوراد، وإنما على نطاق أوسع وأكثر ثراء. كان مكان إقامتي يصلح لسكن أعظم أباطرة كوكب الأرض،

لكن هذه المخلوقات الغريبة لا يجذبها شيء في أي مبنى إلا حجمه وضخامة حجراته؛ فكلما كان المبنى أكبر، كلما كان مرغوبًا أكثر؛ وبالتالي شغل تال هاجوس أضخم مبنى عام، الأكبر في المدينة، رغم أنه لا يصلح إطلاقًا لأغراض الإقامة. خُصص ثاني أكبر مبنى إلى لوركواس بتوميل، حيث رتبته هي الأقل مباشرة بعد الجِد، وهلم جرا إلى قاعدة قائمة الجِد الخمسة. شغل المحاربون مباني زعماءهم؛ أو سعوا، في حالة تفضيلهم، إلى مأوى بين أي من آلاف المباني غير المسكونة في الجزء الخاص بهم من المدينة؛ حيث تتحدد لكل جماعة قسم معين من المدينة. ويجب اختيار المبنى وفقًا لهذه التقسيمات، إلا بقدر ما يتعلق الأمر بالجِد المعنيين، فهم يشغلون جميعًا المباني الضخمة التي تطل على الساحة.

عندما انتهيت أخيرًا من ترتيب بيتي، أو بالأحرى اعتبرته مرتبًا، كان الوقت تقريبًا عند غروب الشمس، فخرجت مسرعًا لمعرفة موقع سولا والمسؤولين منها، وقد عزمت على التحدث مع ديجاه ثوريس ومحاولة إقناعها بضرورة الهدنة بيننا، أو على الأقل إصلاح ما حدث، إلى أن أتمكن من إيجاد طريقة ما لمساعدتها على الهرب. بحثت دون جدوى إلى أن بدأت الحافة العلوية للشمس الحمراء العظمى تختفي وراء الأفق، ثم لمحت رأس وولا القبيحة تطل من نافذة الطابق الثاني على الجانب المقابل من نفس الشارع الذي أقيم فيه، ولكن الأقرب إلى الساحة.

ودون انتظار للحصول على دعوة أخرى، صعدت متسللًا على

المدرج المتعرج الذي يؤدي إلى الطابق الثاني، ودخلت غرفة كبيرة في الجزء الأمامي من المبنى حيث كان وولا المهووس في استقبالي مُرحبًا، مُلقيًّا بجثته الكبيرة نحوي وهو يكاد يلقي بي أرضًا. كان زميلي القديم البائس سعيدًا للغاية برؤيتي إلى حد أنني تصورت أنه سيفترسني، فغر فاه من الأذن إلى الأذن، مبينًا الصفوف الثلاثة من أنيابه في ابتسامة بشعة.

قمت بتهدئته بكلمة آمرة وبعض الملاطفة، ثم نظرت على عجل خلال الظلام المقترب عن دليل لوجود ديجاه ثوريس، وعندما لم أرها ناديت عليها. سمعت ردًّا كالهمهمة يأتي من زاوية بعيدة، ومع بضع خطوات سريعة كنت أقف بجانبها حيث تضطجع بين الفراء والحرير على مقعد خشبي قديم منحوت. انتظرت حتى وقفت تمامًا ونظرت في عيناي مباشرة قائلة:

«ماذا سيفعل دوتار سوجات، الثاركي، بديجاه ثوريس أسيرته؟»

«ديجاه ثوريس، لا أعرف كيف أغضبتك. أبعد ما يكون عن رغبتي أن أضرك أو أسيء لك، وأنت من آمل في حمايتها وراحتها. يمكنك رفضي إذا كانت هذه هي رغبتك، لكنك يجب أن تساعديننني في تحقيق هروبك، فإذا أمكننا ذلك، لن يكون طلبًا مني، بل أمر. عندما تصبحين آمنة مرة أخرى في بلاط والدك، يمكنك أن تفعلي بي ما يرضيك، ولكن من الآن فصاعدًا وحتى ذلك اليوم، أنا قائدك وعليك طاعتي ومعونتي».

تطلعت نحوي في وجهي طويلًا وبجدية، وأعتقد أنها كانت تلين تجاهي.

أجابت: «أفهم كلماتك، دوتار سوجات، لكني لا أفهمك أنت. أنت

خليط غريب لطفل ورجل، شرس ونبيل. أود فقط أن أقرأ قلبك».

«انظري أين توجد قدميك، ديجاه ثوريس؛ إنها هناك الآن حيث كانت منذ تلك الليلة الأخرى في كوراد، وحيث ستتخبط وحيدة دائمًا حتى يُسكتها الموت الى الأبد».

خطت خطوة صغيرة باتجاهي، ويداها الجميلتان ممدودتان تلاطفني.

همست قائلة: «ماذا تقصد، جون كارتر؟ ماذا تقول لي؟»

«أقول ما وعدت نفسي ألا أقوله لك، على الأقل حتى ينتهي أسرك لدى الرجال الخُضر؛ أقول ما فكرت عدم قوله لك أبدًا بسبب موقفك تجاهي خلال العشرين يومًا الماضية؛ أقول، ديجاه ثوريس، إنني لك، جسدًا وروحًا، لخدمتك، للقتال من أجلك، والموت من أجلك. ولا أطلب منك في المقابل سوى شيء واحد وهو أنك لا تُظهرين أي علامة، سواء لاستنكار أو استحسان كلماتي، حتى تصبحين آمنة بين قومك؛ وأيًّا كانت مشاعرك تجاهي، فيجب ألا تتأثر أو تصطبغ بالامتنان؛ فأي شيء قد أفعله لخدمتك، لا يحثه سوى دوافع أنانية، نظرًا لأن خدمتك تمنحني المزيد من السعادة».

«أحترم رغباتك، جون كارتر، لأنني أتفهم دوافعك، وأقبل خدماتك طواعية أكثر منها خضوعًا لسلطتك؛ كلمتك ستكون قانوني. لقد ظلمتك أفكاري مرتين، وأطلب منك مرة أخرى أن تغفر لي».

حال دخول سولا دون مواصلة محادثتنا ذات الطابع الشخصي.

كانت سولا شديدة الاضطراب، وعلى غير عادتها تمامًا من حيث الهدوء والرزانة.

صاحت: «كانت ساركوجا الرهيبة في حضرة تال هاجوس، ومما سمعته في الساحة، لا يوجد سوى أمل ضئيل لكل منكما».

استفسرت ديجاه ثوريس: «ماذا يقولون؟»

«سيلقون بكما إلى الكالوتات المتوحشة [الكلاب] في الساحة الكبرى، بمجرد تجمُّع القوم للمباريات السنوية».

قلت: «سولا، أنت ثاركية، لكنك تكرهين وتستنكرين عادات قومك قدر ما نفعل. ألن ترافقينا في جهدنا من أجل الهرب؟ أنا على يقين أن ديجاه ثوريس يمكنها منحك البيت والحماية لدى شعبها، ومصيرك بينهم لن يكون أسوأ من مصيرك هنا على الإطلاق».

صاحت ديجاه ثوريس: «نعم، تعالي معنا، سولا، ستكونين بين رجال هيليوم الحُمر أفضل حالًا من هنا، وأنا لا أعدك ببيت معنا فقط، وإنما أيضًا بالمحبة والمودة التي تتسم بها طبيعتك والتي لن تجديها أبدًا في ظل عادات جنسك. تعالي معنا، سولا. يمكننا أن نذهب بدونك، لكن مصيرك سيكون رهيبًا إذا ظنوا أنك تواطأت لمساعدتنا. أعرف أن هذا الخوف حتى لن يغريك للتدخل وإعاقة هروبنا، لكننا نريدك معنا، نريدك أن تأتي إلى أرض السعادة والشمس المشرقة، بين الناس الذين يعرفون معنى الحب والتعاطف، والامتنان. قولي إنك ستأتين، سولا؛ قولي إنك ستأتين».

غمغمت سولا لنفسها جزئيًّا: «المجرى المائي العظيم الذي يؤدي إلى هيليوم يبعد مسافة خمسين ميلًا إلى الجنوب؛ يمكن أن يقطعها ثوات سريع في ثلاث ساعات؛ ثم تبلغ المسافة إلى هيليوم بعد ذلك حوالي خمسمائة ميل، وأغلب الطريق يمر خلال مقاطعات ضعيفة الاستقرار. سيعرفون وسيتتبعونا. قد نختبئ بين الأشجار الضخمة لفترة، لكن احتمالات الهروب ضئيلة جدًّا في الواقع. سيتتبعونا إلى بوابات هيليوم نفسها، وسوف يزهقون الأرواح في كل خطوة؛ أنتم لا تعرفونهم».

توجهتُ بسؤال إلى ديجاه ثوريس: «ألا توجد طريقة أخرى للوصول إلى هيليوم؟ ألا يمكنك رسم خريطة تقريبية للبلد الذي يجب أن نجتازه، ديجاه ثوريس؟»

أجابتني: «نعم». وأخرجت ماسة كبيرة من شعرها ورسمت على رخام الأرضية أول خريطة أراها على الإطلاق لإقليم برسوم. كانت تتقاطع في جميع الاتجاهات بخطوط مستقيمة طويلة، أحيانًا متوازية وأحيانًا تتقارب في اتجاه دائرة كبرى. قالت إن الخطوط تمثل المجاري المائية، والدوائر تمثل المدن؛ وأشارت إلى دائرة بعيدة في جهة شمالنا الغربي وقالت إنها هيليوم. كانت هناك مدن أخرى أقرب، لكنها قالت إنها تخشى دخول العديد منها لأنهم ليسوا جميعًا ودودين تجاه هيليوم.

أخيرًا، وبعد أن درست الخريطة بعناية على ضوء القمر الذي أغرق الغرفة الآن، أشرت إلى ممر مائي يقع بعيدًا شمالنا، ويبدو أيضًا أنه يقود إلى هيليوم.

سألت ديجاه ثوريس: «ألا يخترق هذا أراضي جدك؟»

أجابت: «نعم، لكنه يبعد مسافة مائتي ميل شمالنا؛ إنه أحد الممرات المائية التي عبرناها في رحلتنا إلى ثارك».

قلت: «لن يشكوا أبدًا أننا سنحاول استخدام هذا الممر المائي البعيد، ولهذا أعتقد أنه أفضل مسار لهروبنا».

وافقتني سولا، وقررنا ضرورة مغادرة ثارك هذه الليلة نفسها؛ وبأقصى سرعة يمكنني خلالها أن أجد حيواناتي الثوات وأسرجها. كانت سولا ستركب واحدًا ونركب أنا وديجاه ثوريس الثاني؛ ويحمل كل منا ما يكفي من الطعام والشراب لمدة يومين، حيث لا يمكن حث الحيوانات على الركض بسرعة كبيرة لمسافة طويلة هكذا.

وجهت سولا أن تمضي قدمًا مع ديجاه ثوريس على أحد الطرق التي يقل ارتيادها إلى الحدود الجنوبية للمدينة، حيث ألحق بهم مع الثوات في أسرع وقت ممكن؛ ثم تركتهما لجمع ما نحتاجه من غذاء وحرير وفراء، وتسللت بهدوء إلى الجزء الخلفي من الطابق الأول، ودخلت الفناء حيث كانت حيواناتنا تتحرك مضطربة كعادتها، قبل أن تستقر ليلًا.

في ظلال المباني، وفي الخارج تحت بهاء أقمار المريخ، كان قطيع الثوات والزيتيدار الكبير يتحرك، وكان الزيتيدار يصدر نخيره المنخفض والثوات يصدر أحيانًا صياحه الحاد الذي يشير إلى حالة الغضب المألوفة التي تعيش فيها هذه المخلوقات. لقد أصبحوا أكثر هدوءًا الآن، نظرًا لغياب الأشخاص، لكنهم عندما تشمموا رائحتي أصبحوا أكثر اضطرابًا وزاد ضجيجهم البشع. إنه عمل محفوف بالمخاطر، هذا الدخول إلى حلبة الثوات بمفردي وفي الليل: أولًا، لأن ضجيجهم المتزايد قد يُحذر

المحاربين القريبين أن شيئًا ما يحدث، وأيضًا لأنه لأي سبب بسيط أو بلا سبب على الإطلاق يمكن أن يقرر أي ثوات ضخم أن يتولى قيادتي.

كان عدم إثارة انفعالاتهم المزاجية الكريهة في مثل هذه الليلة يتوقف كثيرًا على السرية والسرعة، ولذا تشبثت بظلال المباني، بحيث أكون مستعدًّا عند أي تحذير للقفز إلى مكان آمن بجوار أي باب أو شباك قريب. وهكذا تحركت بصمت إلى البوابات الكبرى التي تفتح على الشارع خلف الفناء، وبمجرد أن اقتربت من المخرج ناديت برفق على الحيوانين. وشكرت العناية الإلهية الكريمة التي منحتني البصيرة للفوز بحب وثقة هذين المتوحشين الأحمقين، حيث رأيت من الجانب الآخر للفناء جسدين عملاقين يشقان طريقهما نحوي عبر جبال اللحم الصاخبة.

اقتربا جدًّا مني وأخذا يفركان كمامتي وجهيهما بجسدي، ويتشممان قطع الطعام التي اعتدت دائمًا مكافأتهما بها. فتحت البوابات وأمرت الوحشين الكبيرين بالمرور خلالها، ثم تسللت بهدوء بعدهما وأغلقت البوابات خلفي.

لم أسرج أو أركب الحيوانات هناك، وإنما مشيت بهدوء في ظلال المباني نحو طريق غير مطروق يؤدي إلى الموقع الذي اتفقت مع ديجاه ثوريس وسولا على مقابلتهما عنده. تحركنا خلسة متحررين في صمت على طول الشوارع المهجورة، لكنني لم أبدأ في التنفس بحرية إلا عندما أصبح السهل الذي يقع خارج المدينة على مرمى البصر. كنت على يقين أن سولا و ديجاه ثوريس لن تجدا صعوبة في الوصول دون انكشاف إلى

موقع لقائنا، لكنني مع الثوات الضخمة لم أكن متأكدًا من أنني سأحقق ذلك لنفسي، إذ ليس معتادًا على الإطلاق أن يغادر المحاربون المدينة بعد حلول الظلام؛ فلا يوجد مكان يمكنهم الذهاب إليه إلا رحلة طويلة.

وصلت إلى موقع اللقاء بأمان. ونظرًا لأنني لم أجد ديجاه ثوريس وسولا، قمت بقيادة حيواناتي إلى قاعة مدخل أحد المباني الكبيرة. افترضت أن إحدى النساء الأخريات من نفس سكان البيت جاءت لتتحدث مع سولا، وبالتالي تأخرت مغادرتهما. لم أشعر بأي مخاوف لا مبرر لها حتى مرت ساعة تقريبًا دون إشارة منهما. ومع مرور نصف ساعة أخرى، غمرني قلق شديد. ثم انشق سكون الليل عن صوت مجموعة تقترب، عرفت من ضجيجها أنها لا يمكن أن تكون لهاربين يتسللان خلسة نحو الحرية. سرعان ما اقتربت مني المجموعة، ولاحظت عبر ظلال المدخل السوداء أنها مجموعة من المحاربين غير المترجلين، وتساقطت منهم بشكل عابر عدة كلمات خلعت قلبي وأثارت الرعب في نفسي.

«من المرجح أنه رتب للقائهم خارج المدينة، وبالتالي .....»، لم أسمع أكثر من ذلك، فقد مشوا، لكن ما سمعته كان كافيًا. لقد انكشفت خطتنا، وفرص هروبنا من الآن فصاعدًا وصولًا إلى النهاية المخيفة ستكون ضئيلة في الواقع. أصبح أملي الوحيد الآن هو العودة دون انكشاف إلى مسكن ديجاه ثوريس ومعرفة مصيرها. ولكن، كيف أفعل ذلك مع هذه الثوات المتوحشة الضخمة معي، فمعرفة المدينة الآن لهروبي ربما أثارها، وهذه مشكلة ذات أبعاد غير بسيطة.

وفجأة طرأت لدي فكرة. اعتمادًا على معرفتي بأن هيكل المباني في هذه المدن المريخية القديمة يضم فناء مجوفًا في مركز كل ميدان، التمست طريقي كالضرير خلال الغرف الداكنة، وناديت على الثوات الضخمة لتتبعني. وجدت الحيوانات صعوبة في المرور عبر بعض المداخل، ولكن لما كان تصميم جميع المباني التي تطل على الواجهات الرئيسية للمدينة يتسم باتساع نطاقه، تمكن الحيوانان من التملص بسرعة؛ وهكذا وصلنا أخيرًا إلى الفناء الداخلي حيث وجدت، كما كنت أتوقع، البساط المعتاد من النبات الشبيه بالطحلب الذي سيوفر للحيوانين الطعام والشراب حتى يمكنني إعادتهما إلى حظيرتهما. كنت على يقين أنهما سيكونان هادئين وقانعين هنا، كما في أماكن أخرى، فإمكانية اكتشافهما كان أبعد احتمال، إذ لا يرغب الرجال الخُضر كثيرًا في دخول هذه المباني الخارجية التي كان يتردد عليها الشيء الوحيد، على ما أعتقد، الذي يسبب لهم الإحساس بالخوف – القرود البيضاء الكبيرة في برسوم.

أزلت أغطية السرج وأخفيتها بالمدخل الخلفي للمبنى الذي دخلنا من خلاله إلى الفناء، وتركت الوحوش تتجول بحرية ثم اتخذت طريقي بسرعة عبر الفناء إلى الجزء خلفي للمباني القائمة على الجانب الآخر، ومنها إلى الطريق الذي يقع خلفها. انتظرت في مدخل المبنى حتى تأكدت من عدم اقتراب أي شخص ثم أسرعت إلى الجانب الآخر، ومن خلال المدخل الأول إلى الفناء وما بعده؛ وهكذا، عبرت من فناء إلى آخر مع قلة فرص اكتشافي التي تترتب على عبور الطرق اللازمة، ووصلت بأمان

إلى ساحة الفناء في الجزء الخلفي من مسكن ديجاه ثوريس.

وجدت هنا، بطبيعة الحال، وحوش المحاربين الذين تم إيواؤهم في المباني المجاورة، وتوقعت أن ألتقي بالمحاربين أنفسهم في الداخل إذا دخلت؛ لكنني، لحسن حظي، كان لدي أسلوب آخر أكثر أمانًا للوصول إلى الطابق العلوي حيث يجب أن أجد ديجاه ثوريس. وبعد أن حددت تقريبيًّا المبنى الذي تشغله، إذ لم ألحظهم من جهة الفناء، اقتنصت فرصة قوتي وخفة حركتي الكبيرتين نسبيًّا وقفزت لأعلى إلى أن أدركت حافة نافذة الطابق الثاني التي اعتقدت أنها تقع في الجزء الخلفي من شقتها. سحبت نفسي داخل الغرفة وتحركت خلسة نحو الجزء الأمامي للمبنى. لم تدلني الأصوات على أن الغرفة مشغولة إلا عندما وصلت تمامًا إلى مدخل غرفتها.

لم أندفع داخل الغرفة بتهور، لكنني توقفت لأستمع حتى أتأكد أنه صوت ديجاه ثوريس وأن مخاطرة الدخول آمنة. وحسنًا فعلت واتخذت هذه الاحتياطات، فالمحادثة التي سمعتها كانت دمدمة منخفضة لرجال، والكلمات التي وصلتني أخيرًا كانت بمثابة تحذير جاء في الوقت المناسب. كان المتكلم هو أحد الزعماء الذي يعطي أوامره لأربعة من محاربيه.

كان يقول: «وعندما يعود إلى هذه الغرفة – فهو سيعود بالتأكيد عندما يجد أنها لم تقابله عند حافة المدينة – عليكم أنتم الأربعة أن تنقضوا عليه وتجردوه من أسلحته. سوف يتطلب الأمر قواكم مجتمعة للقيام بذلك، إذا كانت التقارير التي أحضروها معهم من كوراد صحيحة. وبعد تقييده

بسرعة، عليكم أن تحملوه إلى السراديب الموجودة أسفل مقر الجيداك، وتكبلوه جيدًا بالسلاسل بحيث يمكن إيجاده عندما يرغب تال هاجوس. لا تسمحوا له بالتحدث مع أحد، ولا تسمحوا لأحد بالدخول إلى هذه الشقة قبل أن يأتي. لا يوجد خطر أن تعود الفتاة، فهي ستكون آمنة خلال هذا الوقت بين أيدي تال هاجوس. ربما يجب أن يشفق عليها جميع أسلافها، لأن تال هاجوس لن يرحمها؛ لقد قامت ساركوجا العظيمة بعمل نبيل ليلًا. سوف أذهب، وإذا فشلتم في إلقاء القبض عليه عندما يأتي، سأوصي بإلقاء جثثكم إلى حضن نهر إيس البارد».

(١٧)

إعادة احتجاز باهظة التكلفة

بعد أن كف المتكلم عن حديثه، استدار ليغادر الشقة من الباب الذي أقف عنده. لكنني لم أكن في حاجة إلى مزيد من الانتظار؛ فقد سمعت ما يكفي لملء روحي بالرهبة، فتسللت بهدوء عائدًا إلى ساحة الفناء من الطريق الذي أتيت منه. تشكلت خطة عملي في هذه اللحظة. عبرت الميدان والشارع المتاخم على الجانب الآخر، وسرعان ما وقفت داخل فناء تال هاجوس.

ألهمتني الشقق المضاءة ببراعة في الطابق الأول إلى تحديد توجهي بداية، فذهبت إلى النوافذ كي أطل على ما يوجد بالداخل. وسرعان ما اكتشفت أن توجهي لم يكن يسيرًا كما تمنيت، فالغرف الخلفية المتاخمة للفناء كانت ممتلئة بالمحاربين والنساء. عندئذ ألقيت نظرة إلى الطوابق العليا، ولاحظت أن الطابق الثالث لم يكن مضيئًا، فقررت أن أجعل من تلك النقطة مدخلي إلى المبنى. تحركت ووصلت خلال دقيقة إلى

النوافذ العليا، وسرعان ما سحبت نفسي عبر غطاء من ظلال الطابق الثالث غير المضيء.

ولحسن الحظ أن الغرفة التي اخترتها كانت شاغرة. زحفت بهدوء إلى الرواق، ورأيت خلفه ضوءًا في الشقق الموجودة أمامي. وصلت إلى ما بدا مدخلًا، واكتشفت أنه ليس سوى فتحة إلى غرفة داخلية هائلة تعلو من الطابق الأول، أي من طابقين أسفلي، إلى سطح المبنى بما يشبه القبة، عالية فوق رأسي. احتشد الزعماء، والمحاربون، والنساء على أرضية هذه القاعة الدائرية الكبيرة. ارتفعت في إحدى أطرافها منصة كبيرة، جثم فوقها أبشع وحش رأيته على الإطلاق. لديه كافة سمات المحاربين الخُضر من حيث البرودة، والصرامة، والقسوة، والفظاعة؛ لكنه أكثر بروزًا وانحطاطًا بالشهوات البهيمية التي منحها لنفسه على مدى سنوات عديدة. لم يكن في مظهره الوحشي أي علامة على الكرامة أو الكبرياء، وتمددت كتلته الضخمة على المنصة حيث تكوم مثل بعض الأسماك الشيطانية الضخمة، مع أطرافه الستة تُبرِز هذا التشابه بطريقة مذهلة ومروعة.

لكن المشهد الذي أصابني بجمود متوجس كان لديجاه ثوريس وسولا الواقفتين هناك أمامه، ونظراته الشهوانية الوحشية عندما يترك عينيه الجاحظتين تتأملان خطوط جسدها الجميل. كانت تتحدث، لكنني لم أستطع سماع ما تقوله، كما لم أستطع تبيان دمدمة رده المنخفضة. وقفت هناك منتصبة أمامه، رأسها عالية، وحتى من على بُعد مسافتي عنهما كان بإمكاني قراءة الاحتقار والاشمئزاز على وجهها

وهي تلقي نظرتها المتعجرفة عليه دون أي علامة على الخوف. إنها حقًّا الابنة الفخورة لألف جيداك، كل شبر من جسدها العزيز الصغير الثمين؛ كانت صغيرة الحجم جدًّا وهزيلة جدًّا بجانب المحاربين شاهقي الطول من حولها، لكنها في جلالها تُقزمهم إلى مجرد شيء تافه؛ كانت أقوى شخصية بينهم، وأعتقد حقًّا أنهم شعروا بذلك.

أشار الآن تال هاجوس إلى إخلاء الغرفة، وترك السجينتين بمفردهما أمامه. ذاب الزعماء والمحاربين والنساء ببطء في ظلال الغرف المحيطة، ووقفت ديجاه ثوريس وسولا وحدهما أمام جيداك الثاركيين.

تردد زعيم واحد فقط قبل أن يغادر؛ رأيته واقفًا في ظلال عمود قوي، تعبث أصابعه في مقبض سيفه العظيم، وتتجه عيناه القاسيتين بكراهية عنيدة نحو تال هاجوس. كان تارس تاركاس، وقد قرأت أفكاره كما لو كانت كتابًا مفتوحًا حيث بدا البغض السافر على وجهه. كان يفكر في تلك المرأة الأخرى التي وقفت قبل أربعين عامًا أمام هذا الوحش، ولو كنت قد تحدثت بكلمة في أذنه في تلك اللحظة، لكان عهد تال هاجوس قد انتهى؛ لكنه أخيرًا خطا أيضًا بخطوات كبيرة خارج الغرفة، دون أن يعرف أنه ترك ابنته نفسها تحت رحمة أكثر مخلوق يكرهه.

نهض تال هاجوس. فهرعت متخوفًا من نواياه ومتوقعها إلى الدرج المتعرج الذي يقود إلى الطوابق السفلى، ولم يكن هناك أحد بالقرب مني ليعترض طريقي. وصلت إلى المنصة الرئيسية بالغرفة دون أن يلحظني أحد، واتخذت موقعي في ظل نفس العمود الذي تركه تارس تاركاس من لحظات. عندما وصلت إلى المنصة، كان تال هاجوس يتحدث.

«أميرة هيليوم، يمكنني انتزاع فدية هائلة من شعبك إذا أعدتك لهم دون أن يصيبك أذى، لكنني أُفضل ألف مرة أن أشاهد هذا الوجه جميل يتلوي من آلام التعذيب؛ وأنا أتعهد لك أنها ستكون فترة طويلة، فعشرة أيام من المتعة قصيرة جدًّا لإظهار حبي لجنسك. فأهوال موتك سوف تقلق مضاجع الرجال الحُمر طوال جميع العصور القادمة؛ سيرتجفون في ظلال الليل، عندما يخبرهم آباؤهم عن انتقام الرجال الخُضر المرعب؛ عن سلطة وقوة وكراهية وقسوة تال هاجوس. لكنك قبل التعذيب ستكونين ملكي لمدة ساعة واحدة قصيرة، وسيصل ذلك أيضًا إلى جدك تاردوس مورس، جيداك هيليوم، بحيث يزحف على الأرض في عذاب حزنه. سيبدأ التعذيب غدًا، أما الليلة فأنت مِلك تال هاجوس، تعالي!».

قفز من المنصة وأمسكها بخشونة من ذراعها. لكنه ما إن لمسها إلا ووجدني أقفز بينهما. كان سيفي القصير، بحدته ولمعانه، في يدي اليمنى ويمكنني أن أغرزه في قلبه المتعفن قبل أن يدرك أنني فوقه. لكنني ما إن رفعت ذراعي لأسدد ضربتي، فكرت في تارس تاركاس. ورغم كل غضبي وكراهيتي، لم أكن لأسلبه تلك اللحظة الرائعة التي عاش من أجلها وتمناها كل تلك السنوات الطويلة المضجرة، ولذا حولت قبضتي اليمنى القوية بالكامل نحو فكه. سقط دون صوت على الأرض كشخص ميت.

في هذا الصمت المميت نفسه، أمسكت يد ديجاه ثوريس وأشرت إلى سولا لتتبعنا. أسرعنا صامتين خارج الغرفة واتجهنا إلى الطابق الأعلى. وصلنا دون أن يرانا أحد إلى نافذة خلفية، واستعنت بأشرطة

وجلود أغطيتي لإنزال سولا أولًا ثم ديجاه ثوريس على الأرض. نزلت بخفة بعدهما، وتحركنا سريعًا حول الفناء في ظلال المباني، وبالتالي عُدنا إلى نفس المسار الذي اتبعته مؤخرًا عند عودتي من الحدود البعيدة للمدينة.

وصلنا أخيرًا إلى حيواناتي الثوات في ساحة الفناء حيث تركتهم، ووضعت الأغطية عليهم، ثم أسرعنا خلال المبنى إلى الطريق. ركبت سولا فوق أحد الوحشين، وركبت أنا وورائي ديجاه ثوريس فوق الوحش الآخر، وتحركنا من مدينة ثارك عبر التلال إلى الجنوب.

كان يمكننا الدوران حول المدينة والتوجه نحو الشمال الغربي، حيث يقع أقرب مجرى مائي على مسافة قصيرة جدًّا من موقعنا. لكننا اتجهنا نحو الشمال الشرقي وسرنا على الامتداد الطحلبي، حيث يقع على بعد مائتي ميل – يتسمان بالخطورة والصعوبة – شريان رئيسي آخر يؤدي إلى هيليوم.

لم ننبس ببنت شفة إلا بعد أن أصبحت المدينة بعيدة وراءنا. لكنني سمعت بكاء ديجاه ثوريس الصامت وهي متشبثة بي ورأسها الحبيب مستقر على كتفي.

«إذا نجحنا، يا زعيمي، ستصبح ديون هيليوم كبيرة؛ أكبر مما يمكن أن تدفعه لك على الإطلاق؛ وإذا لم ننجح»، أضافت، «لن تقل الديون، على الرغم من أن هيليوم لن تعرف أبدًا أنك أنقذت آخر سلالتنا من خطر أسوأ من الموت».

لم أجب، لكنني مددت يدي إلى جانبي وضغط على أصابعها

الصغيرة التي أحببتها حيث كانت تتشبث بي لتشعر بالدعم. ثم أسرعنا سيرنا، في ظل صمت متواصل، فوق الطحلب الأصفر الذي يضيئه القمر؛ وكل منا منشغل بأفكاره الخاصة. من جانبي، لا يسعني أن أكون أكثر سعادة مهما حاولت، وجسد ديجاه ثوريس الدافئ بالقرب مني. ومع كل المخاطر التي لم تنته، كان قلبي يغني مبتهجًا كما لو أننا ندخل بالفعل بوابات هيليوم.

لقد اختلت خططنا السابقة مع الأسف، وها نحن نجد أنفسنا الآن دون طعام أو شراب، وأنا الوحيد المُسلح. ولذلك قمنا بحث وحوشنا على التحرك بسرعة قد تصيبهم بإرهاق شديد قبل أن نأمل في رؤية نهاية المرحلة الأولى من رحلتنا.

واصلنا تحركنا طوال الليل واليوم التالي كله، مع فترات قصيرة من الراحة. وفي الليلة الثانية، كنا وحيواناتنا مستنفدين تمامًا، فاستلقينا على الطحلب ونمنا لحوالي خمس أو ست ساعات، ثم استأنفنا رحلتنا مرة أخرى قبل طلوع النهار. واصلنا رحلتنا فوق حيواناتنا طوال اليوم التالي. وفي فترة متأخرة من بعد الظهيرة، وعندما لم نشهد أي أشجار على بُعد – وهي علامة على الممرات المائية الكبيرة التي تمر عبر مجمل برسوم – اكتشفنا الحقيقة الرهيبة، أننا تائهون.

ومن الواضح أننا تحركنا دائريًّا، وإنما يصعب تحديد الطريق الذي اتخذناه، كما لم يكن ممكنًا أن ترشدنا الشمس نهارًا والأقمار والنجوم ليلًا. على أي حال لم يكن أي ممر مائي يلوح في الأفق، وكنا جميعًا على وشك السقوط من الجوع والعطش والتعب. كان بإمكاننا أن نُميز أمامنا،

على اليمين قليلًا، الخطوط العريضة لجبال منخفضة. فقررنا محاولة الوصول إليها على أمل أن نتبين من قمتها المجرى المائي المفقود. هبط الليل علينا قبل أن نصل إلى هدفنا، ولأننا كنا في حالة إغماء تقريبًا من التعب والضعف، فقد استلقينا ونمنا.

أيقظني في الصباح الباكر جسم ضخم يضغط بالقرب من جسمي، وعندما فتحت عيني لمحت وولا القديم المبارك مكومًا بالقرب مني. لقد تبعنا الحيوان المخلص عبر ذلك الامتداد القفر غير المطروق ليتقاسم معنا مصيرنا، مهما كان. وضعت ذراعي حول عنقه، وضغطت بخدي على خده. لا أشعر بالخجل لأنني فعلت ذلك، ولا أخجل من الدموع التي طفرت من عيني وأنا أفكر في مدى حبه لي. استيقظت ديجاه ثوريس وسولا بعد فترة قصيرة، وقررنا أن ننطلق على الفور في محاولة للوصول إلى التلال.

سرنا حوالي ميل عندما لاحظت أن الثوات الذي أمتطيه بدأ يتعثر ويترنح بطريقة تثير الشفقة، على الرغم من أننا لم نحاول إجبار الحيوانين على السير من حوالي ظهر اليوم السابق. وفجأة مال بقوة إلى أحد الجوانب، وسقط بعنف على الأرض. وقعت أنا وديجاه ثوريس على الطحلب الناعم دون اصطدام يُذكر؛ لكن الوحش البائس كان في حالة جديرة الشفقة، حيث لم يكن قادرًا حتى على النهوض، على الرغم من تحرره من ثقل أوزاننا. أخبرتني سولا أن برودة الليل، عندما يهبط، فضلًا عن الراحة، ستجعله يستعيد قواه دون شك. وبالتالي قررت عدم قتله، كما كانت نيتي الأولى، فقد كنت أعتقد أنه من القسوة أن نتركه

وحيدًا ليموت من الجوع والعطش. أزلت أغطيته، وألقيتها بجواره، ثم تركنا الزميل البائس لمصيره، وواصلنا السير بأفضل ما أمكننا مع ثوات واحد. مشيت أنا وسولا، بحيث تركب ديجاه ثوريس الثوات وهو ما كان ضد رغبتها. تقدمنا على هذا النحو لمسافة ميل تقريبًا إلى التلال التي كنا نسعى للوصول إليها، ثم صرخت ديجاه ثوريس لأنها شاهدت من أفضلية مكانها فوق الثوات مجموعة كبيرة من الرجال الراكبين يخرجون من ممر في التلال على بعد عدة أميال. نظرت أنا وسولا في الاتجاه الذي أشارت إليه، حيث شاهدنا بوضوح عدة مئات من المحاربين غير المترجلين. ويبدو أنهم كانوا يسيرون في اتجاه الجنوب الغربي، وهو ما سيأخذهم بعيدًا عنا.

مما لا شك فيه أنهم محاربين من ثارك تم إرسالهم للإمساك بنا. تنفسنا الصعداء لأنهم كانوا يتحركون في الاتجاه المعاكس. وبسرعة أنزلت ديجاه ثوريس من فوق الثوات، وأمرته بالاستلقاء، وفعلنا نحن الثلاثة الشيء نفسه، حتى نبدو شيئًا صغيرًا قدر الإمكان، خشية جذب انتباه المحاربين تجاهنا.

كان يمكننا رؤيتهم لمجرد لحظة وهم يخرجون من الممر، قبل أن يغيبوا عن النظر خلف نتوء جبلي ودود، كان بالنسبة لنا نتوءًا من العناية الإلهية؛ فلو استمر ظهورهم لأي فترة زمنية أطول، لاكتشفوا وجودنا. على أن آخر محارب ظهر من الممر توقف، وأثار ذعرنا عندما وضع منظاره المقرب على عينيه ومسح قاع البحر في جميع الاتجاهات. من الواضح أنه أحد الزعماء، ففي بعض تشكيلات المشاة لدى الرجال

الخُضر يُعزز الزعيم خلفية الطابور الطرفية. وعندما اتجهت عدسة المنظار ناحيتنا، توقفت قلوبنا في صدورنا، وشعرت بعرق بارد يتصبب من كل مسام جسدي.

والآن مال المنظار بالكامل نحونا و... توقف. كان توتر أعصابنا يقترب من نقطة الانهيار، وأشك أن أحدًا منا تنفس خلال اللحظات القليلة التي غطانا فيها زجاج منظاره؛ ثم أنزل المنظار من عينيه، ورأيناه يصيح بأوامره للمحاربين الذين اختفوا عن أنظارنا خلف التلال. لم ينتظر عودتهم للانضمام إليه، وإنما حث ثواته واندفع بسرعة جنونية في اتجاهنا.

لم يكن لدينا سوى فرصة واحدة ضعيفة، ويجب أن نقتنصها بسرعة. رفعت بندقيتي المريخية الغريبة على كتفي، ولمست الزر الذي يسيطر على الزناد. حدث انفجار حاد، حيث وصل الصاروخ إلى هدفه، وسقط الزعيم من فوق ركوبته السريعة.

نهضت على قدمي وحثثت الثوات لينهض، وطلبت من سولا أن تأخذ ديجاه ثوريس معها على الثوات وأن يبذلا جهدًا عظيمًا للوصول إلى التلال قبل أن يدركنا المحاربون الخُضر. كنت أعرف أن بإمكانهما أن يجدا في الوديان والأخاديد مكانًا للاختباء مؤقتًا، وحتى إذا ماتوا هناك من الجوع والعطش فهو أفضل من وقوعهما في أيدي الثاركيين. أجبرتهما على أخذ المسدسين اللذين كانا معي، كوسيلة بسيطة للحماية وأيضًا كملاذ أخير؛ أي كمهرب لهما من موت مروع في حال الإمساك بهما. حملت ديجاه ثوريس بذراعي، وأجلستها على الثوات وراء سولا

التي كانت قد امتطه بالفعل امتثالًا لأمري.

همست: «وداعًا أميرتي، ربما نلتقي في هيليوم. لقد سبق أن تمكنت من الفرار من محن أسوأ من ذلك»، وحاولت أن أبتسم وأنا أكذب.

صرخت: «ماذا، ألن تأتي معنا؟»

«كيف يمكنني ذلك، ديجاه ثوريس؟ يجب أن يعطل شخص هؤلاء الزملاء لفترة، ويمكنني الهروب منهم بمفردي أفضل مما يمكننا نحن الثلاثة معًا».

قفزت بسرعة من فوق الثوات، وألقت ذراعيها الحبيبتين حول عنقي، ثم نظرت إلى سولا وقالت بوقار عذب: «أسرعي، سولا! ديجاه ثوريس سوف تبقى لتموت مع الرجل الذي تحبه».

هذه الكلمات محفورة في قلبي. آه، يمكنني بكل سرور أن أتخلى عن حياتي ألف مرة لأسمعها مرة أخرى فقط؛ لكنني عندئذ لن أستطيع أن أعطي حتى ثانية لأستمتع بحضنها العذب، وضغط شفتي بشفتيها للمرة الأولى. أمسكت بجسدها، وأجلستها على مقعدها خلف سولا مرة أخرى، وأمرت سولا بنبرة حاسمة أن تمسكها بقوة، ثم ضربت الثوات على خاصرته، وشاهدتهما وهما يتحركان بعيدًا، وديجاه ثوريس تحاول جاهدة حتى اللحظة الأخيرة أن تحرر نفسها من قبضة سولا.

استدرت، ولمحت المحاربين الخُضر يبحثون عن زعيمهم. وخلال لحظة شاهدوه، ثم شاهدوني؛ لكنني بدأت، ما إن اكتشفوني، في إطلاق النار وأنا راقد على بطني فوق الطحلب. كان لدي مائة رصاصة

في مخزن بندقيتي، ومائة أخرى في الحزام على ظهري، وواصلت إطلاق النار حتى رأيت جميع المحاربين الذين كانوا أول من عادوا من خلف النتوء الجبلي إما أمواتًا أو يهرعون للاختباء.

بيد أن فترة الراحة لم تدم طويلًا، فسرعان ما بدأ ظهور المجموعة كلها، حوالي ألف رجل، يتسابقون بجنون نحوي. واصلت إطلاق النار حتى فرغت بندقيتي، وأصبحوا على مقربة مني. تبينت بلمحة بصر اختفاء ديجاه ثوريس وسولا بين التلال، فوقفت وألقيت بندقيتي عديمة الفائدة، وبدأت أتحرك في اتجاه معاكس للاتجاه الذي اتخذته سولا وديجاه ثوريس.

إذا كان للمريخيين مشاهدة أي استعراض للقفز، فقد منحته اليوم لهؤلاء المحاربين المندهشين الذين لم يشاهدوا مثله منذ سنوات طوال. وفي حين أدى بهم هذا الاستعراض إلى الابتعاد عن ديجاه ثوريس، فلم يصرف انتباههم عن السعي للإمساك بي.

تسابقوا بجنون ورائي، إلى أن ارتطمت قدمي في النهاية بقطعة كوارتز ناتئة، فوقعت على الطحلب متمددًا. وعندما نظرت لأعلى، وجدتهم بجواري. وعلى الرغم من أنني سحبت سيفي الطويل في محاولة لبيع حياتي بأغلى ثمن ممكن، انتهت المعركة سريعًا. تهاويت أسفل ضرباتهم التي انهالت فوقي كالسيل؛ شعرت بدوار، وأصبح كل ما حولي أسود، وسقطت في غياهب النسيان.

(١٨)

مقيد بالسلاسل في وارهون

من المؤكد أنني غبت عن الوعي عدة ساعات، وأتذكر جيدًا شعوري بالمفاجأة التي غمرتني عندما أدركت أنني لم أمت.

كنت مستلقيًا بين كومة من الحرير والفراء المخصصين للنوم، في ركن من غرفة صغيرة تضم العديد من المحاربين الخُضر، وتنحني أمامي امرأة عجوز قبيحة.

عندما فتحت عيني، استدارت إلى أحد المحاربين، قائلة:

«سوف يعيش، أو جِد».

«هذا جيد»، أجاب المحارب الذي خاطبته، وهو ينهض مقتربًا من أريكتي، «عليه أن يقدم عرضًا استثنائيًّا في المباريات الكبرى».

وقعت عيناي عليه الآن، ورأيت أنه ليس ثاركيًّا، فالحلي والمعادن التي يرتديها ليست للثاركيين. كان ضخمًا، ولديه جروح فظيعة في وجهه

وصدره، وأحد أنيابه مكسور، إحدى أذنيه مفقودة. وكان مثبت على ثدييه جماجم بشرية، يتدلى منها عدد من الأيدي البشرية المجففة.

أقنعتني إشارته إلى المباريات الكبرى، التي سمعت عنها الكثير خلال وجودي مع الثاركيين، أنني لم أقفز سوى من المطهر إلى جهنم.

بعد بضع كلمات أخرى، أكدت له المرأة أنني الآن قادر تمامًا على السفر، وأن الجِد أمر بأن نركب ونتحرك خلف الطابور الرئيسي.

كنت مقيدًا بقوة فوق أكثر حيوانات الثوات جموحًا التي رأيتها من قبل، ويوجد محارب في كل جانب لمنع الوحش من الانشقاق عن المجموعة، وتحركنا بوتيرة جنونية سعيًا للحاق بالطابور. لم تكن جروحي تؤلمني كثيرًا، وسرعان ما أثبتت العلاجات والحقن التي استخدمتها المرأة جودتها وصلاحياتها العلاجية، قد كانت تلك المرأة ماهرة في ربط الجراح ووضع الضمادات عليها.

وصلنا إلى الموقع الرئيسي للقوات قبل حلول الظلام مباشرة، وبعد وقت قصير من إعدادهم المخيم لقضاء الليل. أخذوني على الفور إلى القائد، الذي اتضح أنه جيداك جحافل جماعات وارهون.

كان – مثله مثل الجِد الذي أحضرني – مشوهًا بجروح مخيفة، ومزين أيضًا بدرع صدري من الجماجم البشرية والأيدي الميتة المجففة، التي يبدو أنها علامة يضعها أعظم المحاربين في وارهون، فضلًا عن أنها تدل على وحشية فظيعة تتجاوز إلى حد كبير حتى وحشية الثاركيين.

كان الجيداك بار كوماس، وهو أصغر سنًّا نسبيًّا، يُعتبر مثالًا للكراهية

والغيرة الشرسة من الملازم القديم، داك كوفا – الجِد الذي أمسك بي، ولا يمكنني إلا أن أشير إلى الجهود المدروسة تقريبًا التي قام بها الأخير لإهانة رئيسه.

لقد أغفل تمامًا التحية الرسمية المعتادة عند دخولنا في حضرة الجيداك، كما دفعني بخشونة أمام الحاكم وهو يعلن بصوت عال متوعد:

«لقد أحضرت مخلوقًا غريبًا يرتدي معادن ثارك، ومن دواعي سروري أن يخوض معركة مع ثوات وحشي في المباريات الكبرى».

أجاب الحاكم الشاب بنبرة تأكيد ومهابة: «سوف يموت على النحو الذي يراه جيداك بار كوماس مناسبًا؛ إن كان موته مناسبًا على الإطلاق».

قال داك كوفا هادرًا: «إن كان موته مناسبًا على الإطلاق؟ على جثتي، لكنه سيموت بار كوماس». لن ينقذه بكاؤك الضعيف. آه، لو كانت وارهون يحكمها جيداك حقيقي وليس شخصًا ضعيف القلب، يستطيع حتى داك كوفا العجوز أن يمزق معدنه بيديه العاريتين!».

نظر بار كوماس محدقًا للحظة نحو الزعيم الجريء المتمرد، واكتسى وجهه بتعبيرات العجرفة والازدراء الجسور والكراهية، ثم ألقى بنفسه نحو رقبة من شوه سمعته دون أن يسحب سلاحًا أو يتفوه بكلمة.

لم أشهد من قبل معركة بين اثنين من المحاربين المريخيين الخُضر لا يستخدمان فيها سوى طبيعتهما الوحشية كسلاح، وكان استعراض هذه الضراوة الحيوانية مخيفًا بمثل ما يمكن أن يتصوره أكثر خيال اضطرابًا. مزقا عيون وآذان بعضهما بعضًا بأياديهما، وجرحا ونطحا

بعضهما بوحشية بأنيابهما اللامعة مرارًا وتكرارًا إلى أن تقطع جسديهما مثل الشرائط من الرأس إلى القدم.

كان بار كوماس أفضل في المعركة، حيث كان أقوى وأسرع وأكثر ذكاء. وسرعان ما بدا أن المعركة انتهت ولم يبق فقط سوى ضربة الموت النهائية، وهنا انزلق بار كوماس متجنبًا ضربة قوية. وكانت هذه هي الفرصة الصغيرة التي احتاجها داك كوفا، فألقى نفسه على جسم خصمه ودفن نابه الوحيد القوي في فخذ بار كوماس، ثم بكل ما تبقى له من قوة جهده مزق جسد الجيداك الشاب طوليًّا بالكامل، وأخيرًا أقحم نابه الكبير في عظام فك بار كوماس. تكوم كل من المنتصر والمهزوم ضعيفًا وهامدًا على الطحلب، كتلة ضخمة من اللحم الممزق الذي تغطيه الدماء.

مات بار كوماس. أما داك كوفاك، فلم تنقذه سوى جهود نسائه الخارقة من المصير الذي يستحقه. وقد تمكن بعد ثلاثة أيام من السير دون مساعدة إلى جسد بار كوماس الذي، بحكم العرف، لم يتم نقله من موقع سقوطه. وضع رجله على عنق حاكمه السابق، وحاز لقب جيداك وارهون.

أُزيلت أيدي ورأس الجيداك الميت لإضافتها إلى حلي المنتصر، ثم أحرقت نساؤه ما تبقى من جسده وسط ضحكات وحشية ومرعبة.

أدت إصابات داك كوفا إلى تأخير المسيرة كثيرًا، إلى حد أنه تقرر التخلي عن الرحلة – التي كانت غارة على مجتمع ثاركي صغير انتقامًا لتدمير الحاضنة – إلى ما بعد المباريات الكبرى، ثم يعود المحاربون

جميعًا، وعددهم عشرة آلاف، إلى وارهون.

كان تعريفي بهؤلاء القوم القساة المتعطشين للدماء بمثابة فهرس للمشاهد التي رأيتها يوميًّا تقريبًا خلال فترة وجودي معهم. هم جماعة أصغر من الثاركيين، لكنهم أشرس بكثير. لم يمر يوم إلا والتقى بعض أفراد جماعات وارهون المختلفة في قتال مميت. رأيت ما يصل إلى ثمانية مبارزات مميتة خلال يوم واحد.

وصلنا إلى مدينة وارهون بعد مسيرة ثلاثة أيام تقريبًا، وألقوني على الفور في قبو وكبلوني بسلاسل كثيرة مثبتة على الأرض والجدران. كانوا يحضرون لي الطعام على فترات، ولكن بسبب الظلام الدامس في المكان لم أعرف كم من الوقت أمضيت هناك: أيام، أم أسابيع، أم أشهر. كانت أبشع تجربة مررت بها طوال حياتي، وقد أذهلني عدم استسلام عقلي لأهوال ذلك السواد كالحِبر. كان المكان مليئًا بأشياء زاحفة متسلقة، وتمر فوقي أجسام باردة وملتوية عندما أرقد. وكنت ألمح أحيانًا في الظلام عيونًا نارية لامعة، تحدق ناحيتي بنوايا مروعة. لم يصلني أي صوت من العالم أعلاه، ولم ينبس سجاني بكلمة عند إحضار طعامي، على الرغم من أنني أمطرته في البداية بوابل من الأسئلة.

وأخيرًا ركز عقلي المترنح كل الكراهية والاشمئزاز المهووس تجاه هذه المخلوقات الفظيعة، التي وضعتني في هذا المكان الرهيب، على هذا المبعوث الوحيد الذي مثّل بالنسبة لي كامل قوم وارهون.

لاحظت أنه يتقدم دائمًا ومعه شعلة خافتة بحيث يتمكن من وضع الطعام في متناول يدي. وعندما ينحني لوضعه على الأرض، تصبح رأسه

عند مستوى صدري تقريبًا. بالتالي، وبمكر رجل مجنون، تراجعت إلى الركن البعيد من زنزانتي عندما سمعته يقترب. جمعت بعض أطراف السلسلة الكبيرة التي تقيد يدي وانتظرت مجيئه، رابضًا كالوحش الذي ينتظر فريسته. وعندما انحنى لوضع الطعام على الأرض، حركت السلسلة فوق رأسي على نحو متأرجح، وحطمت حلقاتها بكل قوتي على جمجمته. سقط دون صوت ميتًا على الأرض.

أخذت أضحك وأثرثر كالأبله، ثم جلست على جثته الممددة أتحسس بأصابعي رقبته الميتة. لمست أصابعي سلسلة صغيرة يتدلى في نهايتها عدد من المفاتيح. أعادت لمسة أصابعي على هذه المفاتيح عقلي، وطرأت لي فكرة مفاجئة. لم أعُد الأبله الثرثار، وإنما الرجل العاقل المنطقي الذي يمتلك وسائل هروبه في يده.

ألقيت نظرة في الظلام، وأنا أبحث عن طريقة لإزالة السلسلة من حول رقبة ضحيتي، فرأيت ستة أزواج من العيون اللامعة مثبتة ناحيتي دون أن تطرف. اقتربوا ببطء، انكمشت مرة أخرى ببطء من حالتهم المرعبة الفظيعة. عدت إلى ركني، جلست قابضًا على راحة يدي، تسللت العيون البشعة حتى وصلت إلى الجثة عند قدماي. ثم تراجعت ببطء، وإنما هذه المرة كانت تصدر صوتًا غريبًا مزعجًا، وأخيرًا اختفت في تجويف أسود يقع على بُعد في زنزانتي.

(١٩)

القتال في الحلبة

استعدت رباطة جأشي ببطء، وأخيرًا سعيت مرة أخرى لمحاولة إزالة المفاتيح من جثة سجاني السابق. وعندما تحركت في الظلام الدامس لتحديد موقعه، هالني أنني لم أجده. ثم أدركت الحقيقة، لقد جر أصحاب تلك العيون اللامعة غنيمتي بعيدًا عني لافتراسه في العرين المجاور؛ إذن كانوا ينتظرون لأيام وأسابيع وأشهر، طوال سجني الأبدي، لجر جسدي الميت إلى وليمتهم.

لم يحضروا لي أي طعام لمدة يومين، ثم ظهر مرسال جديد واستمر سجني كما كان من قبل، لكنني لم أسمح لعقلي مرة أخرى أن يغمره رعب حالتي.

بعد وقت قصير من هذه الواقعة، أحضروا سجينًا آخر مقيد بالسلاسل بالقرب مني. رأيت على ضوء الشعلة الخافت أنه مريخي أحمر، وكنت متلهفًا على رحيل حُراسه حتى أخاطبه. وعندما غابت أصوات خطاهم مبتعدة، قلت بدماثة كلمة التحية المريخية: كاور.

أجاب: «من أنت يا من تتحدث في الظلام؟»

«أنا جون كارتر، صديق لرجال هيليوم الحُمر».

فقال «أنا من هيليوم، لكني لا أذكر اسمك».

وعندئذ حكيت له قصتي كما كتبتها هنا، لكني حذفت فقط أي إشارة لحبي لديجاه ثوريس. ابتهج كثيرًا بأخبار أميرة هيليوم، وبدا متأكدًا أنها وسولا يمكنهما بسهولة الوصول إلى بر الأمان من الموقع الذي تركتهما فيه. قال إنه يعرف المكان جيدًا لأن الممر الضيق الذي اتخذه محاربو وارهون عندما اكتشفونا هو الطريق الوحيد الذي يستخدمونه دائمًا عندما يسيرون نحو الجنوب.

وأكد لي قائلًا: «دخلت ديجاه ثوريس وسولا إلى التلال التي لا تبعد سوى خمسة أميال عن ممر مائي كبير، وربما هما الآن آمنتين تمامًا».

كان اسم زميلي السجين كانتوس كان، ورتبته بادوار (أي ملازم) في سلاح البحرية بهيليوم. وكان أحد أفراد الرحلة المنكوبة التي سقطت في أيدي الثاركيين عندما أسروا ديجاه ثوريس، وحكى بإيجاز الأحداث التي أعقبت هزيمة السفن الحربية.

لقد تحركوا ببطء نحو هيليوم، نظرًا لشدة إصاباتهم وعددهم القليل جزئيًّا. وأثناء مرورهم بالقرب من مدينة زودانجا - عاصمة أعداء هيليوم التاريخيين بين رجال برسوم الحُمر - هاجمتهم قوة كبيرة من سفن الحرب الفضائية، ودمرت أو استولت على جميع سفنهم ما عدا السفينة التي ينتمي إليها كانتوس كان. ظل ثلاث من السفن الفضائية الحربية

التابعة لزودانجا تطارد سفينته لعدة أيام، لكنه فر أخيرًا خلال ظلام ليلة بلا قمر.

بعد ثلاثين يومًا من القبض على ديجاه ثوريس، أو حوالي وقت مجيئنا إلى ثارك، وصلت سفينته الفضائية إلى هيليوم وبها حوالي عشرة ناجين من أفراد الطاقم الأصلي الذي ضم ٧٠٠ ضابط ورجل. وعلى الفور أُرسلت سبعة أساطيل كبرى، يضم كل منها ١٠٠ سفينة فضائية حربية قوية، للبحث عن ديجاه ثوريس؛ ومن هذه السفن واصلت ٢٠٠٠ سفينة فضائية أصغر بحثها دون جدوى عن الأميرة المفقودة.

محت أساطيل الثأر جماعتين من جماعات المريخيين الخُضر من على وجه برسوم، ولكن دون العثور على أي أثر لديجاه ثوريس. استمر البحث بين الجماعات الشمالية، ولم يمتد البحث إلى الجنوب إلا خلال الأيام القليلة الماضية.

تم اختيار كانتوس كان للتحليق بإحدى الطائرات الصغيرة ذات الراكب الواحد، ومن سوء حظه أن الوارهون اكتشفوه خلال استطلاعه لمدينتهم. فاز الرجل، نظرًا لشجاعته وجرأته، بأكبر قدر من الاحترام والإعجاب. فقد هبط وحده عند حدود المدينة، واخترق المباني المحيطة بالساحة سيرًا على الأقدام. ظل لمدة يومين بلياليهم يستكشف مساكنهم وأقبيتهم بحثًا عن أميرته المحبوبة، إلى أن وقع في أيدي مجموعة من وارهون وهو على وشك المغادرة بعد أن تأكد أن ديجاه ثوريس ليست أسيرة هناك.

تعارفنا جيدًا أنا وكانتوس كان خلال فترة سجننا، وتكونت بيننا

صداقة شخصية دافئة. ولم تمر سوى بضعة أيام قبل أن يأخذونا من محبسنا في القبو إلى المباريات الكبرى. ساقونا في الصباح المبكر لأحد الأيام إلى مدرج هائل، لم يكن مبنيًّا فوق سطح الأرض وإنما محفور تحت سطحها. كان يمتلئ جزئيًّا بالأنقاض، بحيث يصعب تحديد ضخامة حجمه الأصلي. وقد ضم في حالته هذه كل العشرين ألف وارهوني من الجماعات المتجمعة.

كانت الحلبة ضخمة، لكنها غير متساوية وغير مشذبة على الإطلاق. وقد كدس الوارهونيون حولها أحجار بناء من بعض حطام مباني المدينة القديمة لمنع الحيوانات والأسرى من الهرب نحو الجمهور، كما شُيدت أقفاص في نهاية كل طرف من أطرافها للاحتفاظ بهم حتى يأتي دور كل منهم ليلقى موتًا رهيبًا في الحلبة.

كنت محتجزًا مع كانتوس كان في أحد الأقفاص. وضمت الأقفاص الأخرى عددًا من حيوانات الكالوت الوحشية، والثوات، والزيتيدار المجنونة، بالإضافة إلى محاربين خُضر ونساء من جماعات أخرى، وكثير من الوحوش البرية الغريبة والشرسة من برسوم التي لم أرها أبدًا من قبل. كان ضجيج زئيرهم ودمدمتهم وصريرهم يصم الآذان، كما كان المظهر الهائل لأي منهم كافيًا لجعل أشجع قلب يشعر بنُذُر خطيرة.

شرح لي كانتوس كان أن أحد السجناء سيحصل على حريته في نهاية اليوم، بينما يرقد الآخرون موتى في الحلبة. سوف يتقاتل الفائزون في المباريات المختلفة لهذا اليوم ضد بعضهم بعضًا حتى يبقى اثنين فقط على قيد الحياة؛ ويحصل المنتصر في آخر لقاء على حريته، سواء كان

حيوانًا أو رجلًا. وفي صباح اليوم التالي، تمتلئ الأقفاص بشحنة جديدة من الضحايا، وهكذا دواليك طوال الأيام العشرة للمباريات.

بعد وقت قصير من وضعنا في القفص، بدأ المدرج يمتلئ، وفي غضون ساعة امتلأ كل جزء متاح من مساحة للجلوس. جلس داك كوفا، مع الجِد والشيوخ، عند مركز أحد جوانب الحلبة فوق منبر كبير مرتفع.

فُتحت أبواب قفصين بعد إشارة من داك كوفا، وسيقت عشرات النساء المريخيات الخُضر إلى وسط الحلبة. تسلمت كل واحدة منهن خنجرًا، ثم أُطلقت عليهن من طرف بعيد مجموعة من ١٢ حيوانًا من حيوانات الكالوت أو الكلاب الوحشية.

عندما هرع المتوحشون، مدمدمين وهادرين نحو النساء شبه العُزل، أدرت رأسي حتى لا أرى هذا المشهد المروع. كانت صيحات وضحكات الجماعة الخضراء تشهد على النوعية الممتازة لهذه الرياضة. التفتُّ مرة أخرى إلى الحلبة عندما أخبرني كانتوس كان بانتهاء الأمر، فرأيت ثلاثة من حيوانات الكالوت المنتصرة تزمجر وتهدر فوق جثث ضحاياها. لقد قدمت النساء أنفسهن بشكل جيد.

أطلقوا بعد ذلك حيوان زيتيدار مجنون على الكلاب المتبقية، واستمر ذلك طوال اليوم الطويل، الحار الرهيب.

خلال اليوم صارعت رجالًا أولًا ثم وحوشًا، لكنني كنت مسلحًا بسيف طويل، وتفوقت دائمًا على خصمي بخفة حركتي وأيضًا قوتي، وقد ثبت أنها ليست سوى لعبة أطفال بالنسبة لي. ومرة بعد مرة، فزت بتصفيق الجمهور المتعطش للدماء. وقرب النهاية، كانت هناك صيحات

تطالب بإخراجي من الحلبة واعتباري عضوًا في جماعات وارهون.

وفي نهاية المطاف، لم يتبق سوى ثلاثة منّا: محارب أخضر عظيم من إحدى جماعات الشمال البعيدة، وكانتوس كان، وأنا.

دخل الاثنان الآخران إلى المعركة، وبعدها كان من المفترض أن أقاتل المنتصر، ثم يحصل الفائز النهائي على حريته.

قاتل كانتوس كان عدة مرات خلال اليوم، ودائمًا ما ينتصر مثلي، وأحيانًا بفارق صغير، وخاصة في مواجهة المحاربين الخُضر. كان لدي أمل قليل أن يتفوق على خصمه العملاق الذي انهزم أمامه خلال اليوم. بلغ طول خصمه قرابة ١٦ قدمًا، بينما كان طول كانتوس كان يقل بعض بوصات عن ستة أقدام. عندما تقدما للمواجهة، رأيت للمرة الأولى إحدى خدع مهارات المبارزة المريخية التي تركزت عليها جميع آمال كانتوس كان للانتصار والحياة بضربة حظ واحدة؛ ذلك أنه عندما أصبح على بعد عشرين قدم تقريبًا من الزميل الضخم، ألقي بذراع سيفه بعيدًا وراءه على كتفه، وبقوة كاسحة رشق رأس سلاحه في المحارب الأخضر. طار كسهم بحق وثقب قلب الشيطان البائس وأرداه قتيلًا في الحلبة.

أصبحت أواجه كانتوس كان الآن. عندما اقتربنا همست له لإطالة أمد المعركة حتى الظلام تقريبًا على أمل أن نجد وسيلة ما للهرب. ومن الواضح أن الجماعة خمنت أن قلوبنا ضعيفة في قتالنا لبعضنا بعضًا، حتى أنها أطلقت صيحات غاضبة لأن أيًّا منا لم يسدد ضربة قاتلة. وما إن رأيت حلول الظلام المفاجئ، همست إلى كانتوس كان أن يوجه سيفه

بين ذراعي الأيسر وجسدي. وعندما فعل ذلك، تمايلت للخلف وأنا قابض بذراعي على السيف بإحكام ووقعت على الأرض وسلاحه يبدو ظاهريًّا بارزًا من صدري. أدرك كانتوس حركتي المفاجئة وانتقل بسرعة إلى جانبي ووضع قدمه على رقبتي وسحب سيفه من جسدي وأعطاني طعنة الموت النهائية في رقبتي، وهي الطعنة التي من المفترض أن تقطع حبل الوريد بعنقي، لكن النصل البارد انغرز في هذه اللحظة دون إلحاق ضرر في رمال الحلبة. ليس بمقدور أحد أن يقول، في هذا الظلام الذي هبط الآن، إلا أنه أجهز علي بالفعل. همست له أن يذهب للفوز بحريته، ثم يبحث عني في التلال التي تقع شرق المدينة، وهكذا تركني.

عندما أصبح المدرج شاغرًا، تسللت خلسة إلى أعلى. ونظرًا لوجود تجويف كبير يقع بعيدًا عن الساحة في جزء غير مأهول بالسكان من المدينة الكبيرة الميتة، لم أجد صعوبة تذكر للوصول إلى التلال.

(٢٠)

في مصنع الغلاف الجوي

انتظرت كانتوس كان هناك لمدة يومين، ولما لم يأت بدأت اتجه سيرًا على الأقدام نحو الجنوب الغربي إلى موقع أقرب مجرى مائي كما قال لي. كان طعامي الوحيد يتكون من الحليب النباتي المشتق من النباتات، وهو ما منحني قدرًا وفيرًا من هذا السائل الذي لا يُقدر بثمن.

تجولت طوال أسبوعين طويلين، متعثرًا خلال الليل ومسترشدًا فقط بالنجوم، ومختبئًا خلال النهار وراء بعض الصخور الناتئة أو بين التلال التي أشق طريقي خلالها أحيانًا. تعرضت عدة مرات لهجوم وحوش همجية؛ مسوخ فظة غريبة تقفز فوقي في الظلام، فبقيت دائمًا قابضًا على سيفي الطويل في يدي لأكون مستعدًّا لها. كانت تحذرني في الوقت المناسب عادة قوة التخاطر الغريبة التي اكتسبتها مؤخرًا، لكنني متى أجد هذه الأنياب الخبيثة بالقرب من أوردة رقبتي ووجه مملوء بالشعر يضغط بالقرب مني، كنت أعرف أنني تحت التهديد.

لم أكن أعرف نوع الكائن الذي يهاجمني، وإنما كنت أشعر بضخامته وثقله وأرجله العديدة. كانت يداي تصل إلى حلقه قبل أن تجد أنيابه فرصة لتنغرز في رقبتي، وببطء كنت أُجبر الوجه المُشعِر على الابتعاد عني وأغلق أصابعي، مثل القبضة، على قصبته الهوائية.

استلقينا هناك دون صوت، بذل الوحش كل جهد ممكن لتصلني أنيابه الفظيعة، وجاهدت للحفاظ على قبضة يدي حول عنقه وخنقه. استسلم ذراعي ببطء في هذا الصراع غير المتكافئ، وزحفت عيون خصمي المشتعلة وأنيابه اللامعة نحوي بوصة بعد بوصة، إلى أن لمس وجهه المُشعر وجهي مرة أخرى، وعندئذ أدركت أن كل شيء قد انتهى. وهنا انطلقت من الظلمة المحيطة كتلة تدميرية حية بكاملها فوق المخلوق الذي طرحني أرضًا. تدحرج الاثنان هادرين فوق الطحلب، يمزقان ويضربان بعضهما بعضًا بطريقة مخيفة، لكن المعركة انتهت بسرعة ووقف من قام بحمايتي وهو يخفض رأسه فوق حلق الشيء الميت الذي كاد أن يقتلني.

انطلق فوق الأفق فجأة القمر الأقرب وأضاء ساحة برسوم، وهنا تبين لي أن وولا هو من حماني؛ لكنني كنت تواقًا لأن أعرف متى جاء أو كيف وجدني. وغني عن القول إنني كنت سعيدًا برفقته، لكن سروري لرؤيته تقلص نتيجة لقلقي من سبب تركه ديجاه ثوريس. كنت أشعر واثقًا أن وفاتها فقط هي سبب ابتعاده عنها، لأني أعرف يقينًا أنه يمتثل لأوامري.

على ضوء الأقمار التي أصبحت تبدو رائعة الآن، رأيت أنه ليس سوى ظل لنفسه السابقة، فعندما ترك ملاطفتي له وبدأ يلتهم بشراهة

الذبيحة الميتة أمام قدماي أدركت أن هذا الزميل البائس كان أكثر من نصف جوعان. ولم أكن أنا نفسي في وضع أفضل كثيرًا، لكني لا أستطيع أن آكل اللحم النيئ، وليست لدي أي وسيلة لإشعال النار. عندما انتهى وولا من وجبته، استأنفت مرة أخرى تجوالي المضجِر الذي يبدو بلا نهاية، بحثًا عن المجرى المائي بعيد المنال.

في فجر اليوم الخامس عشر من بحثي، شعرت بسعادة غامرة لرؤية الأشجار العالية التي يدل وجودها على هدف بحثي. وفي حوالي الظهيرة، جررت نفسي مرهقًا إلى بوابات مبنى ضخم يغطي مساحة ربما تصل إلى أربعة أميال مربعة ويرتفع مائتي قدم في الهواء. لم تظهر أي فتحة في جدرانه القوية باستثناء الباب الصغير الذي انهرت أمامه منهكًا، كما لم تظهر أي علامة على الحياة هناك.

لم أجد أي جرس أو أي طريقة أخرى يعرف بها نزلاء المكاني وجودي، ما لم يكن الثقب الصغير بالجدار القريب من الباب مخصصًا لهذا الغرض. كان الثقب بحجم قلم رصاص، وفكرت أنه قد يكون من حيث طبيعته أنبوبًا يمكن الحديث من خلاله، فوضعت فمي عليه وكنت على وشك أن أنادي، لكن صوتًا صدر منه يطلب مني أن أحدد من أنا، ومن أين أتيت، وما طبيعة مهمتي.

أوضحت أنني هربت من الوارهونيين، وأكاد أن أموت من الجوع والإرهاق.

«أنت ترتدي معدن محارب أخضر ويتبعك حيوان الكالوت، ومع ذلك فهيئتك هيئة رجل أحمر. من حيث اللون، أنت لست أخضر ولا

أحمر. باسم الشعاع التاسع، من أي نوع أنت أيها المخلوق؟».

أجبت: «أنا صديق رجال برسوم الحُمر، وأكاد أموت جوعًا. باسم الإنسانية، افتحوا لنا».

بدأ الباب ينحسر أمامي حتى غاص مسافة خمسين قدم داخل الجدار ثم توقف وانزلق بسهولة نحو اليسار، كاشفًا عن ممر قصير وضيق من الخرسانة يوجد في نهايته الأخرى باب آخر مماثل تمامًا للباب الذي دخلت منه. لم يكن هناك أحد على مرمى البصر، لكننا بمجرد مرورنا على الباب الأول، انزلق برفق خلفنا عائدًا إلى مكانة وانحسر سريعًا إلى موضعه الأصلي في الجدار الأمامي من المبنى. عندما انزلق الباب جانبًا، لاحظت سُمكه المهول، عشرون قدمًا بالكامل، وعندما عاد إلى مكانه مرة أخرى بعد أن أُغلق وراءنا، هبطت أسطوانات فولاذية كبيرة من السقف خلفه، ودخلت نهاياتها السفلى في فتحات غاطسة على الأرض.

انحسر باب ثان وثالث أمامي وانزلقا إلى جانب واحد مثل الباب الأول، قبل أن أصل إلى غرفة داخلية كبيرة حيث وجدت الطعام والشراب مُعدًّا على مائدة حجرية كبيرة. وجهني صوت إلى تلبية نداء معدتي وإطعام حيواني الكالوت. وفي هذه الأثناء، اختبرني مضيفي غير المرئي عبر استجواب صارم ودقيق.

«كلامك لافت للنظر»، قال الصوت في ختام استجوابه، «لكنك من الواضح تقول الحقيقة، ومن الواضح أيضًا أنك لست من برسوم. يمكنني معرفة ذلك من تكوين عقلك والموقع الغريب لأجهزتك الداخلية، وشكل قلبك وحجمه».

صحت قائلًا: «أيمكنك أن ترى خلالي؟»

«نعم، يمكنني رؤية كل شيء إلا أفكارك، ولو أنك من برسوم لكنت استطعت قراءة أفكارك».

ثم فُتح باب في الجانب الآخر من الغرفة وتوجهت نحوي مومياء صغيرة وغريبة وجافة لرجل. لم يكن يرتدي سوى قطعة واحدة من الملابس أو الزينة؛ قلادة صغيرة من الذهب تتدلى منها على صدره قطعة حلي كبيرة الحجم بمثل حجم طبق عشاء مُثبتة بقوة بألماس ضخم، باستثناء وسطها تحديدًا حيث يشغله حجر غريب يبلغ قطره بوصة، وتتألق فيه ٩ أشعات مختلفة ومميزة: ألوان المنشور السبعة في كوكب الأرض، وأشعتين جميلتين كانتا، بالنسبة لي، جديدتين ومجهولتين. لا يمكنني أن أصفهما بأكثر مما يمكنك وصف اللون الأحمر لرجل أعمى. أعرف فقط أنهما جميلتان إلى أقصى حد ممكن.

جلس الرجل العجوز وتحدث معي لساعات، وأغرب جزء في تواصلنا أنني كنت قادر على قراءة أفكاره في حين أنه لم يتمكن أن يسبر غور مقدار ذرة من عقلي إلا عندما أتكلم.

لم أخبره بقدرتي على استشعار عملياته العقلية، وهكذا عرفت الكثير الذي ثبتت قيمته الهائلة بالنسبة لي في وقت لاحق، والذي لم أكن لأعرفه أبدًا إذا شك في امتلاكي هذه القوة الغريبة؛ ذلك أن المريخيين لديهم سيطرة كاملة على جهازهم العقلي بحيث يمكنهم توجيه أفكارهم بدقة مطلقة.

كان المبنى الذي وجدت نفسي فيه يحتوي على الماكينات التي

تُنتِج ذلك الجو المصطنع الذي يديم الحياة على المريخ. يتوقف سر العملية بأكملها على استخدام الشعاع التاسع، إحدى الومضات الجميلة التي لاحظت انبعاثها من حجر كبير في إكليل مضيفي.

يتم فصل هذا الشعاع من باقي أشعة الشمس الأخرى عن طريق أدوات مُعدلة بدقة موضوعة على سطح المبنى الضخم، الذي يُستخدم ثلاثة أرباعه للخزّانات اللازمة لتخزين الشعاع التاسع. يُعالج بعد ذلك هذا المُنتَج كهربائيًّا، أو بالأحرى تُدرَج معه نسب معينة من الاهتزازات الكهربائية المُصفاة، ثم يجري ضخ الناتج إلى المراكز الهوائية الرئيسية الخمسة في الكوكب، حيث يتلامس عند تحريره مع أثير الفضاء ويحوله إلى غلاف جوي.

وهناك دائمًا احتياطيات كافية من الشعاع التاسع، مُخزنة في مبنى كبير للحفاظ على جو المريخ الحالي لألف سنة. وأخبرني صديقي الجديد أن خوفهم الوحيد يكمن في وقوع أي حادث من شأنه أن يصيب جهاز الضخ.

قادني إلى غرفة داخلية حيث رأيت بطارية ذات عشرين مضخة راديوم، تعادل أي واحدة منها مهمة إمداد المريخ كله بُمركب الغلاف الجوي. وأخبرني أنه على مدى ٨٠٠ سنة ظل يراقب هذه المضخات التي تُستخدَم بالتناوب يوميًّا ولكل منها امتداده، أو ما يزيد قليلًا على أربعة وعشرين ونصف ساعة بزمن كوكب الأرض. لديه مساعد واحد، ويقسمان المراقبة بينهما. يمضي كل رجل منهما بمفرده في هذا المصنع الضخم المعزول نصف سنة مريخية – أي حوالي ٣٤٤ يومًا من أيام

كوكب الأرض.

يتعلم كل مريخي أحمر خلال مرحلة طفولته المبكرة مبادئ تصنيع الجو. ولكن لا يعرف أبدًا إلا شخصين فقط في وقت واحد سر الدخول إلى المبنى الكبير الذي يبلغ سُمك جدرانه ١٥٠ قدمًا، وبالتالي منيع تمامًا؛ حتى السقف يحرسه زجاج يبلغ سُمكه خمسة أقدام من اعتداء أي مركبة جوية.

والخوف الوحيد الذين يعيرونه اهتمامًا هو هجوم من المريخيين الخُضر أو بعض المختلين من الرجال الحُمر؛ إذ يدرك جميع البرسوميين أن وجود كل شكل من أشكال حياة المريخ مرهون بعمل هذا المصنع دون انقطاع.

اكتشفت وأنا أقرأ أفكاره حقيقة مثيرة، وهي أن الأبواب الخارجية تُعالج بوسائل التخاطر، وأن الأقفال مُعدة بدقة بالغة بحيث تنفتح الأبواب بفعل تركيبة معينة من موجات الفكر. ولتجربة لعبتي الجديدة، فكرت في مفاجأته بالكشف عن هذه التركيبة. فسألته بطريقة عارضة كيف تمكن من فتح الأبواب الضخمة من الغرف الداخلية للمبنى. وبسرعة الوميض قفزت إلى ذهنه تسعة أصوات مريخية، لكنها سرعان ما تلاشت عندما أجاب قائلًا إنه سر لا يجب أن يفصح عنه.

منذ ذلك الحين تغيرت طريقته تجاهي، كما لو كان يخشى من إفشاء سره العظيم، كما قرأت الشك والخوف في نظراته وأفكاره على الرغم من استمرار كلماته اللطيفة.

قبل أن أغادر لحلول الليل، وعدني أن يعطيني رسالة إلى مسؤول

زراعي قريب يمكنه مساعدتي في طريقي إلى زودانجا، التي قال إنها أقرب مدينة مريخية.

وأضاف: «ولكن، تأكد من عدم إخبارهم أنك متجه إلى هيليوم، لأنهم في حالة حرب مع ذلك البلد. أنا ومساعدي لا ننتمي إلى أي بلد، إننا ننتمي إلى برسوم كلها، وهذا الطلسم الذي نرتديه يحمينا في جميع الأراضي، حتى بين الرجال الخُضر – على الرغم من أننا لا نثق في وجودنا بين أيديهم».

وتابع قائلًا: «ليلة سعيدة يا صديقي، أتمنى أن تحظى بنوم طويل ومريح – نعم، نوم طويل».

وعلى الرغم من ابتسامته اللطيفة، رأيت في أفكاره الرغبة التي لم يعترف بها أبدًا لي، ثم صورته وهو يقف أمامي خلال الليل، وطعنة سريعة من خنجر طويل، وعبارة مرتبة جزئيًّا «أنا آسف، لكن ذلك من أجل أفضل مصلحة لبرسوم».

عندما أغلق باب غرفتي وراءه، انقطعت أفكاره عني لأنه لم يعد على مرأى مني، وهو ما بدا غريبًا بالنسبة لي في حدود معرفتي القليلة بعملية انتقال التفكير.

ماذا أفعل؟ كيف يمكنني الهرب خلال هذه الجدران القوية؟ يمكنني الآن أن أقتله بسهولة بعد هذا التحذير، ولكن بمجرد موته لن أتمكن أبدًا من الهرب؛ ومع توقف جهاز المصنع الكبير، سوف أموت مع جميع سكان الكوكب الآخرين – كلهم، حتى ديجاه ثوريس إن لم تكن قد ماتت بالفعل. لم أكن مهتمًّا بالآخرين، لكن تفكيري في ديجاه

ثوريس طرد من عقلي كل رغبة في قتل مضيفي المخطئ.

فتحت باب غرفتي بحذر وتبعني وولا، وبحثت عن الباب الداخلي للأبواب الكبيرة. واتتني خطة جامحة؛ أن أحاول فتح الأقفال الكبيرة عن طريق موجات الفكر التسعة التي قرأتها في عقل مضيفي.

زحفت خلسة من ممر بعد ممر، وهبط أسفل مسارات متعرجة تلتف هنا وهناك إلى أن وصلت أخيرًا إلى القاعة الكبرى التي كسرت فيها صومي الطويل صباح ذلك اليوم. لم أجد مضيفي في أي مكان، كما لم أكن أعرف أين يستقر ليلًا.

كنت على وشك أن أخطو بجرأة إلى الغرفة، عندما حذرتني ضوضاء طفيفة خلفي جعلتني أنسحب إلى ظلال تجويف في الممر. سحبت وولا ورائي وأنا جاثم على نحو منخفض في الظلام.

مر بي حاليًا الرجل العجوز، وما إن دخل الغرفة خافتة الإضاءة التي كنت على وشك أن أمر خلالها، رأيته يحمل خنجرًا رفيعًا طويلًا في يده ويشحذه على حجر. قرأت في ذهنه قراره بتفقد مضخات الراديوم، وهو ما يستغرق حوالي ثلاثين دقيقة، ثم العودة إلى غرفة نومي والإجهاز عليّ.

عندما مر خلال القاعة الكبرى واختفى أسفل المسار الذي يؤدي إلى غرفة المضخة، تحركت خلسة من مكان اختبائي وعبرت إلى الباب الكبير، وهو الباب الداخلي من الأبواب الثلاثة التي تحول بيني وبين الحرية.

بتركيز ذهني على القفل الضخم، قذفت موجات الفكر التسعة

ناحيته. انتظرت لاهثًا وكلي أمل، وأخيرًا تحرك الباب الكبير برفق نحوي وانزلق بهدوء إلى أحد الجوانب. انفتحت البوابات الجبارة المتبقية واحدة بعد الأخرى طبقًا لأمري، وخرجت أنا ووولا نحو الظلام أحرارًا، وأفضل حالًا عما كنا عليه من قبل، بالإضافة إلى امتلاء بطوننا.

أسرعت بعيدًا عن ظلال مجموعة المباني الهائلة إلى أول مفترق طرق، عازمًا على الوصول إلى الطريق الرئيسي في أسرع وقت ممكن. وقد وصلت هناك في حوالي صباح اليوم، ودخلت أول حظيرة وجدتها لأبحث عن أي أدلة على وجود سكان.

وجدت مبان خرسانية منخفضة متناثرة، ذات أبواب ثقيلة يتعذر اجتيازها، ولم يسفر أي قدر من الطرق والنداء بصوت عال عن أي استجابة. شعرت بالضجر وكنت مرهقًا من الأرق، فألقيت نفسي على الأرض وأمرت ووولا أن يقف ليحرسني.

أيقظني في وقت لاحق هديره المخيف، ففتحت عيني لأرى ثلاثة من المريخيين الحُمر يقفون على مسافة قصيرة منّا وبنادقهم تغطيني.

أسرعت شارحًا: «أنا لست مسلحًا ولست عدوًا. لقد كنت سجينًا لدى الرجال الخُضر، وأنا الآن في طريقي إلى زودانجا. كل ما أطلبه هو الغذاء والراحة لنفسي ولحيواني الكالوت، وإرشادات مناسبة للوصول إلى وجهتي».

قاموا بخفض بنادقهم وتقدموا بلطف نحوي، ووضعوا أياديهم اليُمنى على كتفي الأيسر، وفقًا لعادات التحية لديهم. سألوني أسئلة كثيرة عن نفسي وعن ترحالي، ثم أخذوني إلى بيت أحدهم الذي يبعد

مسافة قصيرة.

كانت المباني التي طرقتها في الصباح الباكر مخصصة فقط للتخزين والمنتجات الزراعية. يشغل البيت موقعًا مناسبًا في بستان للأشجار الضخمة؛ ومثله مثل جميع بيوت المريخيين الحُمر، يرفعونه في الليل حوالي أربعين أو خمسين قدمًا أعلى سطح الأرض على محور معدني كبير ينزلق لأعلى أو لأسفل عبر ذراع مغروس في الأرض، يجري تشغيله بواسطة محرك صغير من الراديوم في قاعة مدخل المبنى. هكذا يحمي المريخيون الحُمر مساكنهم ببساطة من الأذى أثناء الليل، بدلًا من عناء استخدام المسامير وقضبان الحماية. لديهم أيضًا وسائل خاصة لخفض مساكنهم أو رفعها عن الأرض إذا رغبوا في المغادرة وتركها.

يشغل هؤلاء الإخوة، مع زوجاتهم وأطفالهم، ثلاثة بيوت متشابهة في هذه المزرعة. لكنهم لا يعملون بأنفسهم، لأنهم موظفو حكومة مسؤولين. يتم أداء العمل عن طريق المحكوم عليهم، وأسرى الحرب، والمَدينين المتأخرين عن سداد ديونهم، والعُزاب الذين يحول فقرهم الشديد دون دفع ضريبة العزوبية الباهظة التي تفرضها جميع الحكومات المريخية الحمراء.

كانوا تجسيدًا للمودة وكرم الضيافة، وأمضيت معهم عدة أيام، أستريح وأتعافى من خبراتي الطويلة والشاقة.

عندما سمعوا قصتي -وقد حذفت أي إشارة إلى ديجاه ثوريس والرجل العجوز في مصنع الغلاف الجوي- نصحوني بتلوين جسمي ليشبه تقريبًا جنسهم، ثم أحاول العثور على عمل في زودانجا، إما في

الجيش أو البحرية.

شرح لي أحدهم: «احتمالات تصديق حكايتك قليلة، إلى أن تثبت أنك جدير بالثقة وتفوز بأصدقاء بين أعلى النبلاء في البلاط. وهذا يمكنك تحقيقه بسهولة من خلال الخدمة العسكرية، فنحن شعب محب للحرب في برسوم، ونحتفظ بأغنى عطايانا للرجل المقاتل».

عندما أصبحت مستعدًّا للرحيل، أمدوني بثوات محلي صغير شديد القوة مماثل لذلك الذي يستخدمه جميع المريخيين الحُمر لأغراض السرج. يقترب حجم الحيوان من حجم حصان، ولطيف جدًّا، لكنه من حيث اللون والشكل نسخة طبق الأصل من عمه الضخم الشرس في البراري.

كما أمدني الإخوة بزيت ضارب إلى الحُمرة، دهنت جسمي كله به؛ وقص أحدهم شعري الذي أصبح طويلًا، بحيث يناسب الشكل السائد حينذاك، أي مُربع من الخلف وقصير من الأمام، حتى يمكنني التحرك في أي مكان في برسوم كمريخي أحمر بالكامل. قاموا أيضًا بتجديد كل ما لدي من معادن وحلي، بحيث تصبح على نمط رجل محترم من زودانجا، مرتبط ببيت بتور، وهو اسم عائلة الإخوة الذين أنعموا علي بكل هذا.

أحضروا أيضًا كيسًا صغيرًا يمتلئ بالعملات المُستخدمة في زودانجا وثبتوه جانبي. لا تختلف العُملة المريخية عن عملتنا في كوكب الأرض، إلا من حيث شكلها البيضاوي. أما النقود الورقية، فيمكن أن يأخذ الأفراد على عاتقهم تحرير أوراق تفي باحتياجهم، على أن يتم سدادها مرتين سنويًّا. وإذا حرر رجل أوراقًا أكثر مما يمكنه سداده، تتولى الحكومة

السداد بالكامل لدائنيه، على أن يعمل المدين بقيمة المبلغ في المزارع أو المناجم المملوكة جميعها للحكومة. يناسب هذا النظام الجميع ما عدا الشخص المَدين، حيث يضطر للعمل في أراضي المزارع الكبرى المعزولة بالمريخ، التي تمتد كشرائط ضيقة من القطب إلى القطب، عبر اتساعات برية مأهولة بالحيوانات المتوحشة والرجال الأكثر توحشًا.

عندما ذكرت لهم عدم قدرتي على رد ما غمروني به من عطف، أكدوا لي أن فرصتي للرد كبيرة إذا استمر وجودي فترة طويلة في برسوم. قاموا بتوديعي وانتظروا حتى غبت عن أنظارهم عند الطريق الأبيض الواسع.

(٢١)

استطلاع جوي لزودانجا

عندما شرعت في رحلتي نحو زودانجا، لفتت انتباهي العديد من المشاهد الغريبة والمثيرة. وتعلمت في بيوت المزارع العديدة التي توقفت عندها عددًا من الأشياء الجديدة والمفيدة المتعلقة بأساليب وعادات برسوم.

تُجمع المياه التي تزود مزارع المريخ في خزانات جوفية هائلة بأي من القطبين من ذوبان القمم الثلجية، وتُضخ عبر قنوات طويلة إلى مختلف المراكز المأهولة بالسكان. تقع المناطق المزروعة على طول جانبي هذه القنوات، وعلى امتداد طولها كله. وهي مقسمة إلى مساحات من الحجم نفسه تقريبًا، وكل مساحة منها تخضع لإشراف واحد أو أكثر من موظفي الحكومة.

وبدلًا من غمر أسطح الحقول بالماء، وبالتالي إهدار كميات هائلة من المياه بالتبخر، يُنقل السائل الثمين تحت الأرض خلال شبكة واسعة

من الأنابيب الصغيرة إلى جذور النباتات مباشرة. تتشابه دائمًا المحاصيل على المريخ، حيث لا يوجد جفاف ولا أمطار، ولا رياح عاتية، ولا حشرات، كما لا توجد طيور تخرب المحاصيل.

تذوقت في هذه الرحلة أول لحم آكله منذ أن غادرت كوكب الأرض – شرائح وقطع من اللحم كبيرة غضة من حيوانات المزارع جيدة التغذية. كما استمتعت أيضًا بفواكه وخضراوات شهية، لكني لم أجد أي نوع من الطعام يشبه تمامًا أي شيء على كوكب الأرض. لقد أدخلوا تحسينات على كل نبات وزهرة وخضار وحيوان عبر سنوات طويلة من الزراعة والتربية العلمية الدقيقة، بينما بالمقارنة نجد أن ما يماثلهم على كوكب الأرض قد تضاءل إلى اللاشيء الباهت الرمادي، بلا أي شخصية.

قابلت في توقف ثان أناسًا على درجة عالية من التهذيب ينتمون إلى طبقة النبلاء، وتصادف خلال حديثنا أن تطرقنا إلى هيليوم. كان أحدهم، وهو من كبار السن، هناك في بعثة دبلوماسية قبل عدة سنوات، وتحدث بأسى عن الظروف التي يبدو أنها تتجه نحو استمرار الحرب بين هذين البلدين.

قال: «تفتخر هيليوم عن حق بأن نساءها أجمل نساء برسوم، ومن بين كل كنوزها لديها ابنة مورس كاجاك الرائعة – ديجاه ثوريس – أكثر الزهور تألقًا».

«لماذا»، أضاف قائلًا، «الشعب يقدس الأرض التي تمشي عليها، ومنذ فقدانها في تلك الحملة الفاشلة، تكتسي هيليوم جميعها بالحداد».

«إن مهاجمة حاكمنا للأسطول العاجز عند عودته إلى هيليوم لم يكن

سوى خطأ آخر من أخطائه الفظيعة، وأخشى أن تضطر زودانجا عاجلًا أم آجلًا إلى تنصيب رجل أكثر حكمة مكانه».

«بل حتى الآن، وعلى الرغم من أن جيوشنا المنتصرة تحيط بهيليوم، فإن شعب زودانجا يعرب عن استيائه؛ فالحرب ليست مقبولة شعبيًّا، لأنها لا تستند إلى الحق أو العدل. اقتنصت قواتنا فرصة غياب أسطول هيليوم الرئيسي الذي خرج يبحث عن الأميرة، وتمكنت بسهولة من تقليص المدينة إلى محنة مؤسفة. ويقال إنها سوف تسقط خلال فترات المرور القصيرة للقمر التالي».

فسألته عرضًا قدر الإمكان: «وماذا تعتقد قد حدث للأميرة ديجاه ثوريس؟».

أجاب: «لقد ماتت. عرفنا ذلك من محارب أخضر قبضت عليه مؤخرًا قواتنا في الجنوب. قال إنها هربت من جماعات ثارك مع مخلوق غريب من عالم آخر، لكنها وقعت في أيدي الوارهونيين. وقد عُثر على حيوانات الثوات خاصتهما وهي تتجول فوق قاع البحر، كما اكتُشفت أدلة حدوث قتال دموي في موقع قريب».

على الرغم من أن هذه المعلومات لم تكن تبعث على الاطمئنان بأي حال، فلم تكن أيضًا دليلًا قاطعًا على موت ديجاه ثوريس، ولذا صممت أن أبذل كل جهد ممكن للوصول إلى هيليوم بأسرع ما يمكنني، لأحمل إلى تاردوس مورس أخبار مكان حفيدته المحتمل عندما كانت معي.

وصلت إلى زودانجا بعد أن تركت الأشقاء بتور بعشرة أيام. منذ اللحظة التي بدأت فيها التواصل مع سكان المريخ الحُمر لاحظت أن

وولا تسبب في توجيه قدر كبير من الاهتمام نحوي بشكل غير مرغوب؛ فهذا الوحش الضخم ينتمي إلى نوع لا يتولى الرجال الحُمر تدجينه أبدًا. وأعني أن المرء إذا تنزه على سيرًا على الأقدام في برودواي مع أسد من مملكة نوميديا القديمة، سيكون التأثير إلى حد ما مماثلًا لذلك التأثير الذي أحدثته عندما دخلتُ زودانجا مع وولا.

إن مجرد التفكير في الافتراق عن زميل مخلص قد سبب لي أسفًا شديدًا وحزنًا حقيقيًّا، تجنبته إلى أن وصلنا لبوابات المدينة؛ وعندئذ أصبح من المحتم أن أصده. ولأن سلامتي أو سعادتي كانت في خطر، لم تكن لأي حجة أخرى أن تغلبني لأبعد المخلوق الوحيد في برسوم الذي لم يخفق أبدًا في إظهار مودته وولائه. لكني كما قدمت حياتي عن طيب خاطر لخدمتها، والتي بحثًا عنها كنت على وشك مواجهة تحديات أخطار مجهولة بالنسبة لي في هذه المدينة الغامضة، فإنني لن أسمح حتى لحياة وولا أن تهدد نجاح مشروعي، ناهيك عن سعادته اللحظية، إذ لم أشك في أنه سرعان ما سينساني. وبالتالي قمت بتوديع الوحش البائس بحنان، ووعدته أنني إذا نجحت في مغامرتي وخرجت منها سالمًا فسأجد طريقة للبحث عنه والعثور عليه.

يبدو أنه فهمني تمامًا، فعندما أشرت له بالعودة إلى الخلف في اتجاه ثارك، استدار بحسرة. لم أتحمل مشاهدته وهو يغادر، لكني تحركت بحزم في اتجاه زودانجا، واقتربت من جدرانها الخانقة يائسًا.

أتاحت الرسالة التي أعطوها لي أن أفوز على الفور بدخول المدينة الشاسعة المسورة. كان الوقت لا يزال في الصباح المبكر، والشوارع

مهجورة عمليًّا، والمساكن ترتفع عاليًا فوق أعمدة معدنية وتشبه عششًا ضخمة للغربان، بينما كانت الأعمدة نفسها تتخذ مظهر جذوع الأشجار الصلبة. أما المحال التجارية، فهي كقاعدة لم تكن مرتفعة عن الأرض، كما لم تكن أبوابها مغلقة أو ذات قضبان، فالسرقة غير معروفة عمليًّا في برسوم. الاغتيال هو الخوف الدائم لجميع البرسوميين، ولهذا السبب وحده يرفعون منازلهم عاليًا فوق سطح الأرض في الليل، أو في أوقات الخطر.

أعطاني الإخوة بتور توجيهات صريحة بالوصول إلى موقع في المدينة حيث يمكنني العثور على أماكن الإقامة ويكون بالقرب من مكاتب موظفي الحكومة الذين كانت الرسائل موجهة لهم. قادني طريقي إلى الميدان أو الساحة المركزية، الذي يُعد سمة من سمات جميع المدن المريخية.

تغطي ساحة زودانجا مساحة ميل مربع، وتحدها قصور الجيداك والجِد وأعضاء آخرين من العائلات الملكية وعائلات النبلاء في زودانجا، بالإضافة إلى المباني العامة الرئيسية، والمقاهي، والمحال التجارية.

وخلال عبوري الساحة الكبيرة، شاهدت بتعجب وإعجاب المعمار الرائع والغطاء النباتي القرمزي فائق الجمال الذي كسا المروج الواسعة، واكتشفت مريخيًّا أحمر يمشي بخفة نحوي قادمًا من أحد الطرق. لم يعرني أدنى اهتمام، لكنه عندما اقترب مني عرفته، فاستدرت ووضعت يدي على كتفه وناديته:

«كاور، كانتوس كان!»

استدار بسرعة البرق، وقبل أن أتمكن من خفض يدي، كان رأس سيفه الطويل في صدري.

زمجر قائلًا: «من أنت؟»، قفزت إلى الوراء قفزة أبعدتني خمسين قدمًا عن سيفه، فوضع رأس سيفه على الأرض وصاح ضاحكًا:

«لست بحاجة إلى رد أفضل، فلا يوجد سوى رجل واحد في برسوم كلها يمكنه أن يرتد واثبًا مثل كرة مطاطية. باسم أم القمر القادم، جون كارتر، كيف جئت إلى هنا، وهل أصبحت دارسينًا[1] بحيث يمكنك تغيير لونك حسب رغبتك؟».

«لقد منحتني نصف دقيقة سيئة يا صديقي»، هكذا تابع حديثه بعد أن حكيت له باختصار مغامراتي منذ أن افترقنا في ساحة وارهون. «إذا كان اسمي ومدينتي معروفين لدى الزودانجيين، لسرعان ما سأجلس على ضفاف بحر كوراس المفقود مع أجدادي الموقرين الراحلين. أنا هنا لمصلحة تاردوس مورس، جيداك هيليوم، لاكتشاف مكان ديجاه ثوريس، أميرتنا. فقد وقع صاب ثان، أمير زودانجا، في حبها بجنون ويخفيها في المدينة. أما والده، ثان كوسيس، جيداك زودانجا، فقد جعل زواجها طواعية لابنه ثمنًا للسلام بين بلدينا، لكن تاردوس مورس لن يوافق على المطالب وبعث برسالة أنه وشعبه يفضلان بالأحرى النظر إلى وجه أميرتهم الميت على رؤيتها تُزف إلى أي شخص ليس من اختيارها،

(١) دارسين: هو الاسم الذي يطلقه البرسوميين على الزواحف القادرة على تغيير لون بشرتها لتتسق والبيئة المحيطة بها – المترجمة.

وأنه شخصيًّا يفضل الغرق في رماد هيليوم المفقودة والمحترقة على ضم معادن منزله إلى معادن ثان كوسيس. كان رده أفظع إهانة يمكن توجيهها إلى ثان كوسيس والزودانجيين، لكن حب قومه له زاد لموقفه وأصبحت قوته في هيليوم اليوم أكبر من أي وقت مضى».

«أنا هنا منذ ثلاثة أيام»، واصل كانتوس كان، «لكنني لم أعثر بعد على مكان حبس ديجاه ثوريس. واليوم أنضم إلى بحرية زودانجا في الاستطلاع الجوي، وآمل بهذه الطريقة أن أكسب ثقة صاب ثان، الأمير، الذي يقود هذه الفرقة البحرية، وبالتالي أعرف مكان ديجاه ثوريس. أنا سعيد لأنك هنا، جون كارتر، فأنا أعرف ولاءك لأميرتي، ويمكننا معًا أن ننجز الكثير».

بدأت الساحة الآن تمتلئ بالناس ذهابًا وإيابًا على الأنشطة اليومية لواجباتهم. وبدأت المحال التجارية تفتح والمقاهي تمتلئ بزبائن الصباح الباكر. قادني كانتوس كان إلى أحد أماكن الطعام الرائعة، حيث تولت الأجهزة الميكانيكية خدمتنا بالكامل. لم تلمس أي يد الطعام من لحظة دخوله إلى المبنى في حالته النيئة إلى أن ظهر ساخنًا ولذيذًا على الموائد أمام الضيوف، استجابة للمس أزرار صغيرة يشيرون خلالها إلى رغباتهم.

بعد أن انتهينا من وجبتنا، أخذني كانتوس كان معه إلى مقر أسطول الاستطلاع الجوي وقدمني إلى رئيسه وطلب منه إلحاقي عضوًا بالفيلق. وفقًا للعُرف، يُعد الفحص ضروريًّا. لكن كانتوس كان قال لي ألا أخشى النتيجة حيث سيهتم بهذا الجزء من الموضوع. وقد أنجز الأمر بأن أخذ

طلبي للفحص إلى المسؤول وقدم نفسه باعتباره جون كارتر.

قال بمرح: «سيتم اكتشاف هذه الخدعة لاحقًا، عندما يفحصون أوزاني وقياساتي، وبياناتي الشخصية الأخرى؛ لكن ذلك لن يحدث قبل عدة أشهر، ويجب أن نكون قد أنجزنا أو أخفقنا في مهمتنا قبل ذلك بكثير».

أنفق كانتوس كان الأيام القليلة التالية في تعليمي تعقيدات الطيران والحيل الصغيرة الظريفة التي يستخدمها المريخيون لتدارك أي مشكلات. يصل طول جسم المركبة الجوية التي تتسع لرجل واحد حوالي ١٦ قدمًا، ويبلغ اتساعها قدمين، وسُمكها ثلاث بوصات، ومستدقة إلى نقطة في نهاية كل طرف. يجلس السائق على رأس هذه الطائرة فوق مقعد مُشيد على محرك صغير يدفعها، مصنوع من الراديوم ولا يصدر ضوضاء. أداة الطفو محتواة داخل جدران معدنية رقيقة من جسمها، وتتكون من الشعاع البارسومي الثامن، أو شعاع الدفع، كما يمكن تسميته نظرًا لخواصه.

هذا الشعاع، مثله مثل الشعاع التاسع، غير معروف على كوكب الأرض، لكن المريخيين اكتشفوا أنه خاصية ملازمة لكل الضوء بغض النظر عن مصدر انبعاثه. وقد تعلموا أن هذا الشعاع الشمسي الثامن هو الذي يدفع ضوء الشمس إلى الكواكب المختلفة، وأن الشعاع الثامن بمفرده لدى كل كوكب هو الذي «يعكس»، أو يدفع الضوء وبالتالي يخرج إلى الفضاء مرة أخرى. يمتص سطح برسوم الشعاع الشمسي الثامن، لكن الشعاع البرسومي الثامن – الذي يميل إلى دفع الضوء من

المريخ إلى الفضاء – يتدفق باستمرار من الكوكب مشكلًا قوة تنافر الجاذبية، التي عند حبسها تكون قادرة على رفع أثقال هائلة من على سطح الأرض.

إنه الشعاع الذي أتاح لهم الطيران على نحو مثالي، بحيث أن السفن الفضائية الحربية التي تفوق وزنًا أي شيء معروف على كوكب الأرض تبحر برشاقة وخفة عبر هواء برسوم الرقيق كبالون يطير في جو كوكب الأرض الثقيل.

خلال السنوات الأولى لاكتشاف هذا الشعاع، وقعت العديد من الحوادث الغريبة قبل أن يتعلم المريخيون قياس القوة الرائعة التي اكتشفوها والسيطرة عليها. ففي إحدى الحالات، منذ حوالي ٩٠٠ سنة، كانت أول سفينة فضائية حربية كبيرة سيتم بناؤها من احتياطيات الشعاع الثامن مُزودة بكمية هائلة من الأشعة وأبحرت في الجو من هيليوم وبها خمسمائة ضابط ورجل، ولم تعد أبدًا.

كانت قوة تنافرها مع الكوكب كبيرة جدًّا إلى حد أنها حملتها إلى الفضاء، حيث يمكن رؤيتها اليوم، بمساعدة تلسكوبات قوية، تندفع عبر السماء على بعد عشرة آلاف ميل من المريخ؛ وبالتالي أصبحت بمثابة تابع صغير يحيط ببرسوم إلى نهاية الزمن.

قمت برحلتي الأولى في اليوم الرابع بعد وصولي إلى زودانجا، ونتيجة لذلك فزت بترقية ضمت مكانًا للسكن في قصر ثان كوسيس.

قمت بالدوران عدة مرات خلال تحليقي فوق المدينة، حيث رأيت كانتوس كان يفعل ذلك، ثم أدرت محرك سفينتي إلى أقصى سرعة

متحركًا بسرعة هائلة نحو الجنوب، متتبعًا أحد المجاري المائية الكبرى التي تدخل زودانجا من هذا الاتجاه.

قطعت ربما مائتي ميل في أقل قليلًا من ساعة، وعندها رأيت في أسفل عن بعد مجموعة من ثلاثة محاربين خُضر يتسابقون بجنون نحو شخص صغير يسير على الأقدام ويبدو أنه يحاول الوصول إلى حدود أحد الحقول المسورة.

هبط بآلتي بسرعة تجاههم، ودرت حول الجزء الخلفي للمحاربين، وسرعان ما رأيت أن الشيء الذي يطاردونه هو مريخي أحمر يرتدي معدن سرب الاستطلاع الذي التحقت به. وعلى بعد قصير تقع طائرته الصغيرة، محاطة بالأدوات التي يبدو أنه كان يستخدمها لإصلاح عطل بها عندما فأجأه المحاربون الخُضر.

إنهم الآن عنده تقريبًا؛ تركض الحيوانات التي يركبونها بسرعة مهولة نحو هذا الشخص الضئيل نسبيًّا، بينما ينحني المحاربون إلى اليمين برماحهم المعدنية الكبيرة. يبدو كل منهم ساعيًا إلى أن يكون أول من يطعن الزودانجي البائس، وفي آخر لحظة كان يمكن أن يجهزوا عليه لولا وصولي في الوقت المناسب.

قدت طائرتي الجوية بسرعة عالية خلف المحاربين مباشرة، وسرعان ما تفوقت عليهم، ودون إنقاص سرعتي صدمت مقدمة طائرتي الصغيرة بين أكتاف أقربهم. الاصطدام الذي كان يكفي لتحطيم عدة بوصات من الفولاذ الصلب، أسفر عن قذف جثته مقطوعة الرأس في الهواء فوق رأس حيوانه الثوات، حيث سقطت مبعثرة على الطحلب.

استدار الحيوانان الآخران وهما يصيحان من الرعب، وانسحبا في اتجاهين معاكسين.

قللت سرعتي محلقًا وهبطت إلى الأرض أمام أقدام الزودانجي المندهش. كان حميمًا في شكره لمساعدتي التي جاءت في الوقت المناسب، ووعدني بمكافأة مستحقة عن العمل الذي قمت به اليوم، فقد كان ابن عم جيداك زودانجا هو من أنقذت حياته.

لم نضع وقتًا في الحديث لأننا كنا نعرف أن المحاربين سيعودان بالتأكيد بمجرد استعادتهم السيطرة على حيواناتهم. أسرعنا إلى آلته التالفة، وبذلنا كل جهد للانتهاء من الإصلاحات المطلوبة، وكنا على وشك الانتهاء عندما شاهدنا وحشين خُضر يعودان بأقصى سرعة من جانبين معاكسين. وعندما اقتربا لمسافة مائة ياردة، أصبحت حيوانات الثوات هوجاء مرة أخرى ورفضت تمامًا المضي قدمًا تجاه المركبة الجوية التي أخافتهم.

ترجل المحاربان أخيرًا، وجذبا حيواناتهما نحونا سيرًا على الأقدام وهما يسحبان سيفيهما الطويلين.

تقدمت لمواجهة أضخمهما، وقلت للزودانجي أن يقوم بأفضل ما يمكنه مع الآخر. أجهزت على المحارب دون جهد تقريبًا، إذ اعتدت عليهم الآن من ممارساتي العديدة، ثم سارعت إلى زميلي الجديد ووجدت وضعه يائسًا في الواقع.

كان مصابًا بجروح وسقط على الأرض وقدم خصمه الضخمة على رقبته، والسيف الطويل الكبير مرفوع ليجهز عليه بطعنة أخيرة. قطعت

بقفزة واحدة مسافة الخمسين قدم التي تفصل بيننا، وبزاوية ممتدة حركت سيفي كاملًا خلال جسد المحارب الأخضر. سقط سيفه على الأرض دون إحداث أضرار، ثم سقط هو هزيلًا فوق الزودانجي الممدد على الأرض.

كشفت نظرة عابرة على الزودانجي أنه مصاب بجراح مميتة، وبعد استراحة قصيرة أكد أنه أصبح مستعدًّا لمحاولة رحلة العودة. لقد كان عليه أن يقود طائرته، لأن هذه السفن الضعيفة مصممة لنقل شخص واحد فقط.

أكملنا الإصلاحات بسرعة، وارتفعنا معًا في سماء المريخ الساكنة الصافية. وعدنا بسرعة كبيرة ودون المزيد من الحوادث المؤسفة إلى زودانجا.

ومع اقترابنا إلى المدينة، اكتشفنا حشدًا قويًّا من المدنيين والجنود متجمعين على الأرض المنبسطة أمام المدينة. كانت السماء سوداء من السفن البحرية، وكانت طائرات التنزه العامة والخاصة ترفع شرائط طويلة من الحرير الملون بألوان بهيجة، فضلًا عن لافتات وإعلام من تصميمات غريبة وخلابة.

أشار لي رفيقي أن أبطئ، وقاد آلته إلى جواري مقترحًا أن نقترب ونشاهد الحفل، الذي قال إنه بغرض منح أوسمة للضباط والرجال لشجاعتهم وغير ذلك من خدماتهم المتميزة. ثم رفع راية صغيرة تشير إلى أن طائرته تحمل فردًا من العائلة الملكية في زودانجا، وشققنا معًا طريقنا خلال متاهة السفن الجوية المنخفضة إلى أن أصبحنا نحلق مباشرة فوق

جيداك زودانجا وموظفيه. كان الجميع يمتطون حيوانات الثوات القوية المحلية الصغيرة التي يستخدمها المريخيون الحُمر، وكانت أغطيتهم المزركشة وحليهم تضم كمية من الريش الملون الرائع أذهلتني بتشابهها المذهل بحشود فريق من الهنود الأحمر على كوكب الأرض.

لفت أحد الموظفين انتباه ثان كوسيس بوجود رفيقي فوقهم، فأشار له الحاكم بالهبوط. وخلال انتظار انتقال القوات إلى موقع يواجه الجيداك، تحدث الاثنين بجدية معًا، وكان الجيداك وموظفوه ينظرون نحوي أحيانًا. لم أستطع سماع حديثهما، والآن توقف الحديث وترجل الجميع، حيث وصلت آخر مجموعة من القوات إلى موقعها أمام الإمبراطور. تقدم أحد الموظفين تجاه القوات، ونادى على اسم جندي وأمره بالتقدم. سرد الضابط بعد ذلك طبيعة العمل البطولي الذي حظي بقبول الجيداك، الذي تقدم بدوره ووضع حلية معدنية على الذراع الأيسر للرجل المحظوظ.

تقلد عشرة رجال هذه الأوسمة، ثم نادى المساعد قائلًا:

«جون كارتر، الاستطلاع الجوي!»

لم أُدهش أبدًا في حياتي مثل هذه المرة، لكن عادة الانضباط العسكري قوية داخلي، فهبطُّ بآلتي الصغيرة برفق على الأرض، وتقدمت مترجلًا كما رأيت الآخرين يفعلون. وعندما توقفت أمام المسؤول، خاطبني بصوت مسموع لكافة القوات والمشاهدين.

قال: «جون كارتر، اعترافًا بشجاعتك ومهارتك الرائعة في الدفاع عن شخص ابن عم الجيداك ثان كوسيس، وتغلبك بمفردك على المحاربين

الخُضر الثلاثة، من دواعي سرور جيداكنا أن يمنحك علامة تقديره».

ثم تقدم ثان كوسيس نحوي ومنحني حلية، قائلًا:

«روى لي ابن عمي تفاصيل إنجازك الرائع، الذي لا يقل كثيرًا عن معجزة، وإذا كنت قادرًا على الدفاع بهذا الشكل الجيد عن ابن عم الجيداك، فيمكنك الدفاع بأفضل من ذلك عن شخص الجيداك نفسه. ولذا عينتك في منصب «بادوار» الحراس، وستقيم من الآن فصاعدًا في قصري».

شكرته، وانضممت بناء على توجيهه إلى موظفيه. بعد المراسم، أعدت آلتي إلى مقرها على سطح ثكنات سرب الاستطلاع الجوي، ومعي وصيف من القصر ليرشدني إلى رئيسي، الموظف المسؤول عن القصر.

(٢٢)

العثور على ديجاه ثوريس

تلقى الوصيف الأكبر، الذي أصبح رئيسي، تعليمات بوضعي بالقرب من شخص الجيداك الذي يتعرض دومًا في زمن الحرب إلى خطر الاغتيال، حيث يبدو أن قاعدة «كل شيء مسموح به في الحرب» تشكل مجمل أخلاقيات الصراع المريخي.

ولذلك اصطحبني فورًا إلى الشقة التي كان يوجد فيها عندئذ ثان كوسيس. كان الحاكم منخرطًا في محادثة مع ابنه صاب ثان وعدد من حاشية بيته، ولم يدرك دخولي.

ازدانت جدران الشقة كاملًا بمفروشات رائعة تخفي أي نافذة أو باب يمكن اختراقها خلالهم. وكانت الغرفة مضاءة بأشعة ضوء الشمس الحبيسة بين السقف الفعلي وما كان يبدو سقفًا كاذبًا من الزجاج الباهت أدناه ببضع بوصات.

جذب مرشدي جانبًا من إحدى الستائر، فانكشف ممر يطوق الغرفة، يقع بين الستائر والجدران. قال إنني يجب أن أبقى داخل هذا الممر ما دام

ثان كوسيس في الشقة. وعندما يغادر يجب أن أتبعه. كان واجبي الوحيد هو حراسة الحاكم والبقاء بعيدًا عن الأنظار قدر الإمكان. وأبلغني قبل أن يغادر أن مدة مهمتي أربع ساعات.

كانت الستائر مصنوعة من نسيج غريب يعطي مظهر الصلابة الشديدة من أحد الجوانب، على أنني كنت قادرًا من مكان اختبائي على تمييز كل ما يحدث داخل الغرفة بسهولة كما لو أن الستار الفاصل غير موجود.

ما إن حصلت على موقعي، انفتح الستار من الطرف الآخر من الغرفة ودخل أربعة جنود من الحرس يحيطون بامرأة. وعند اقترابهم من ثان كوسيس، تحرك الجنود مبتعدين إلى الجانبين، وهناك كانت تقف ديجاه ثوريس أمام الجيداك وعلى بعد أقل من عشرة أقدام عني، وكان وجهها الجميل يشع بالابتسامات.

تقدم صاب ثان، أمير زودانجا، لمقابلتها، واقتربا يدًا بيد من الجيداك. نظر ثان كوسيس في دهشة، وقام لتحيتها.

«لمن أدين بهذه الزيارة من أميرة هيليوم التي أكدت لي قبل يومين، دون اعتبار لكرامتي، أنها تفضل تال هاجوس، الثاركي الأخضر على ابني؟»

زادت ابتسامة ديجاه ثوريس، ثم أجابت وغمازاتها الخبيثة تتحرك في زوايا فمها:

«منذ بدء الزمن على برسوم كان يحق للمرأة تغيير رأيها كما يحلو

لها وأن تخفي مشاعرها في الأمور المتعلقة بقلبها. سوف تغفر لي، ثان كوسيس، كما فعل ابنك. قبل يومين لم أكن متأكدة من حبه لي، لكنني تأكدت الآن، وقد جئت ألتمس منك أن تنسى كلماتي المتهورة وتقبل تأكيد أميرة هيليوم أنها عندما يحين الوقت سوف تتزوج صاب ثان، أمير زودانجا».

أجاب ثان كوسيس: «أنا سعيد بقرارك هذا. فلا أرغب على الإطلاق في شن حرب أخرى ضد شعب هيليوم، وسوف يُسجَّل وعدك ويصدر إعلانًا لشعبي على الفور».

قاطعته ديجاه ثوريس قائلة: «من الأفضل، ثان كوسيس، أن ينتظر الإعلان إلى حين إنهاء هذه الحرب. فسوف يبدو غريبًا في الواقع لشعبي وشعبك أن أميرة هيليوم تمنح نفسها لعدو بلدها في خضم القتال».

تحدث صاب ثان قائلًا: «ألا يمكن إنهاء الحرب على الفور؟ لا يتطلب الأمر سوى كلمة من ثان كوسيس لإحلال السلام. قلها يا والدي، قل الكلمة التي سوف تُعجل من سعادتي، وتضع نهاية لهذا الصراع الذي لا يحظى بشعبية».

أجاب ثان كوسيس: «سوف نرى كيف يريد شعب هيليوم السلام. يجب على الأقل أن أعرضه عليهم».

استدارت ديجاه ثوريس بعد بضع كلمات، ثم غادرت الشقة وخلفها الحراس.

وهكذا تحطم حلم سعادتي القصير على أرض الواقع. فالمرأة التي

منحتها حياتي، والتي سمعت من شفتيها مؤخرًا إعلان حبها لي، قد نسيت وجودي ببساطة ومنحت نفسها مبتسمة إلى ابن أبغض عدو لشعبها.

على الرغم من أنني سمعتها بأذناي، فلم أصدق ذلك. يجب أن أعثر على شقتها وأجبرها على تكرار الحقيقة القاسية أمامي بمفردي قبل أن أقتنع. وبالتالي تركت موقعي وأسرعت خلال الممر خلف الستائر في اتجاه الباب الذي غادرت منه الغرفة. تسللت بهدوء من خلال هذه الفتحة، واكتشفت متاهة من الأروقة المتعرجة، التي تتفرع إلى كل اتجاه.

هرولت سريعًا في أولها ثم غيره، وسرعان ما وجدتني تائهًا بلا أمل. وقفت لاهثًا مستندًا إلى جدار عندما سمعت أصواتًا بالقرب مني. يبدو أنها كانت قادمة من الجانب الآخر للقسم الذي أستند إلى جداره، وتمكنت من تمييز نبرات صوت ديجاه ثوريس. لم أستطع سماع الكلمات ولكنني كنت أعرف أنني لا يمكن أن أخطئ في الصوت.

بتحركي خطوات قليلة، اكتشفت دهليزًا آخر يوجد باب في نهايته. مشيت بجرأة إلى الأمام، واندفعت إلى الغرفة لأجد نفسي في غرفة انتظار صغيرة تضم الحراس الأربعة الذين كانوا يرافقونها. نهض أحدهم على الفور وبادرني بالسؤال عن طبيعة عملي.

أجبته: «أنا من طرف ثان كوسيس، وأرغب في التحدث على انفراد مع ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم».

فسألني: «أين الأمر الخاص بك؟».

لم أكن أعرف ما يقصده، لكنني أجبته بأنني عضو بالحرس؛ ودون

انتظار رده، خطوت بخطوات كبيرة نحو باب غرفة الانتظار المقابل، الذي استمعت خلفه إلى ديجاه ثوريس تتحدث.

لكن دخولي لم يتحقق بسهولة. فقد خطا الحارس أمامي قائلًا:

«لا أحد يأتي من طرف ثان كوسيس دون أن يحمل أمرًا أو كلمة مرور. يجب أن تعطيني واحدًا منهما قبل أن تمر».

أجبته وأنا أنقر على سيفي الطويل: «الأمر الوحيد الذي أحتاجه يا صديقي للدخول إلى المكان الذي أريده مُعلق جانبي؛ هل ستتركني أمر في سلام أم لا؟»

كان رده أن أخرج سيفه، ودعا الآخرين للانضمام إليه، وهكذا وقف الأربعة بأسلحتهم لمنعي من التقدم مزيدًا.

«أنت لست هنا بأمر من ثان كوسيس»، صاح الحارس الذي خاطبني في البداية، «ولن يقتصر الأمر على عدم دخولك غرف أميرة هيليوم، بل ستعود إلى ثان كوسيس تحت الحراسة لتشرح هذا التهور غير المُبرَّر». ثم أضاف بابتسامة قاتمة: «ألق سيفك؛ فلا يمكنك أن تأمل في التغلب على أربعة منا».

كان ردي مبارزة سريعة أجهزت على خصومي الثلاثة، ويمكنني أن أؤكد أنهم كانوا يستحقون معادني. ففي لمح البصر جعلوني أتراجع إلى الجدار، مقاتلًا من أجل حياتي. نجحت في شق طريقي ببطء إلى أحد أركان الغرفة حيث يمكنني إجبارهم على التقدم نحوي وإنما فقط واحدًا تلو الآخر، وهكذا تقاتلنا لأكثر من عشرين دقيقة؛ وأحدث رنين تصادم

السيوف هرجًا ومرجًا حقيقيًّا في الغرفة الصغيرة.

أدت الضوضاء إلى حضور ديجاه ثوريس إلى باب شقتها، حيث وقفت طوال فترة القتال وسولا خلفها تطل من فوق كتفها. كان وجهها ثابتًا وبلا مشاعر، فأدركت أنها لم تتعرف هي وسولا علي.

وأخيرًا سقط الحارس الثاني بجرح جاء في حينه. وفي مواجهة خصمين فقط، غيرت تكتيكاتي واندفعت نحوهما وأسقطتهما بالاستعانة بإحدى طرقي القتالية التي حققت لي العديد من الانتصارات. سقط الثالث خلال عشر ثوان من سقوط الثاني، وبعد عدة لحظات سقط الأخير ميتًا فوق الأرض التي تملأها الدماء. كانوا رجالًا شجعانًا ومقاتلين نبلاء، وأحزنني أنني كنت مضطرًّا إلى قتلهم، لكني كنت مستعدًّا عن طيب خاطر لإخلاء برسوم كلها من سكانها إن لم تكن هناك طريقة أخرى أصل بها إلى ديجاه ثوريس.

أغمدت سيفي الدموي، وتقدمت نحو أميرتي المريخية، التي كانت لا تزال واقفة صامتة تحدق في وجهي دون أي علامة على التعرف علي.

همست: «من أنت أيها الزودانجي؟ عدو آخر جاء لمضايقتي في بؤسي؟»

أجبتها: «أخشى أنني كنت في يوم ما صديقًا عزيزًا».

فأجابت: «لا صديق لأميرة هيليوم يرتدي هذا المعدن، لكن الصوت! لقد سمعته من قبل؛ ليس ... لا يمكن ... كلا، لأنه مات».

قلت: «نعم، أميرتي، لست سوى جون كارتر، ألا تتعرفين، خلال

الطلاء والمعادن الغريبة، على قلب زعيمك؟»

اقتربت منها، تمايلت نحوي ويداها ممدودتان، لكنها تراجعت مرتجفة عندما حاولت ضمها بين ذراعي، وتنهدت في بؤس.

قالت بحزن: «بعد فوات الأوان، بعد فوات الأوان. أوه يا زعيمي، يا من تصورت أنه مات، ليتك عدت قبل ساعة واحدة ... أما الآن، فقد فات الأوان، فات الأوان».

قلت صائحًا: «ماذا تقصدين، ديجاه ثوريس. أنك كنت لتحجمي عن وعدك للأمير الزودانجي إذا عرفت أنني لم أمت؟»

«هل تعتقد، جون كارتر، أن أمنحك قلبي بالأمس وأمنحه اليوم إلى شخص آخر؟ اعتقدت أن قلبي قد دُفن مع رمادك في أحد أقبية وارهون، ولذا وعدت شخصًا آخر اليوم بجسدي لأنقذ شعبي من لعنة انتصار الجيش الزودانجي».

«لكنني لست ميتًا، أميرتي. لقد جئت للمطالبة بك، ولن يتمكن جميع الزودانجيين من منعي».

«لقد فات الأوان، جون كارتر، فقد أعطيت وعدًا، وفي برسوم يُعتبر هذا نهائيًّا. والمراسم الاحتفالية التي تلي لاحقًا ليست سوى شكليات بلا معنى. فهي لا تجعل الزواج حقيقة بأكثر مما يفعله موكب جنازة جيداك من مجرد وضع ختم الموت. وسوف أكون في حالة جيدة وأنا متزوجة، جون كارتر. لم يعد يجوز أن تدعوني أميرتك. لم تعد زعيمي».

«أنا لا أعرف سوى القليل عن عاداتكم هنا في برسوم، ديجاه ثوريس،

لكنني أعرف أنني أحبك، وإذا كنت تعنين كلماتك الأخيرة لي عندما هاجمتنا جحافل وارهون، فلا يجوز أن يطالب بك رجل آخر كعروس. كنت تعنين كلماتك أميرتي، ولا تزالين! قولي إن هذا صحيح».

قالت همسًا: «كنت أعني ما قلت، جون كارتر. لكنني لا أستطيع تكراره الآن لأنني وهبت نفسي إلى آخر. آه، لو كنت تعرف فقط أساليبنا يا صديقي»، واصلت كلامها كأنما تحدث نفسها، «كان من المفترض أن يكون الوعد لك منذ أشهر طوال، وحينها كان يمكنك المطالبة بي قبل جميع الآخرين. ربما كان ذلك سيؤدي إلى سقوط هيليوم، لكنني كنت لأمنح إمبراطوريتي لزعيمي الثاركي».

ثم قالت بصوت عال: «هل تذكر ليلة إهانتك لي؟ لقد ناديتني أميرتك دون أن تطلب يدي، ثم تفاخرت أنك قاتلت من أجلي. لم تكن تعرف عاداتنا، وما كان ينبغي أن أشعر بالإهانة؛ أعرف ذلك الآن. ولكن لم يكن هناك أحد يقول لك ما لم أستطع قوله. يوجد في برسوم نوعين من النساء في مدن الرجال الحُمر. نوع يقاتلون من أجله ويطلبون الزواج منهن؛ ونوع آخر يقاتلون من أجله أيضًا، لكنهم لا يطلبون منهن أبدًا الزواج. وعندما يفوز رجل بامرأة، يمكنه مخاطبتها بكلمة أميرتي، أو بالعديد من الكلمات التي تدل على الامتلاك. أنت قاتلت من أجلي، لكنك لم تطلب مني الزواج، ولذا عندما ناديتني أميرتك ...»، قالت متلعثمة، «... جرحتني، ولكن حتى حينذاك، جون كارتر، لم أصدك كما ينبغي أن أفعل، إلى أن ضاعفت الأمر سوءًا بسبب تهكمك بأنك فزت بي من خلال القتال».

صحت قائلًا: «لست بحاجة لأن أطلب مغفرتك الآن، ديجاه ثوريس. يجب أن تعرفي أن خطئي كان لجهلي بعادات برسوم. إن ما أخفقت في القيام به، من خلال اعتقادي الضمني أن طلبي قد يكون وقحًا وغير مرحب به، أقوم به الآن، ديجاه ثوريس؛ أطلب منك أن تكوني زوجتي، وأقسم بكل دم القتال الفيرجيني الذي يتدفق في عروقي أنك ستكونين زوجتي».

بكت في يأس: «كلا، جون كارتر، هذا لا طائل منه، لن أكون زوجتك أبدًا ما دام صاب ثان حيًّا».

«إذن هذا أمر منك بموته، أميرتي – صاب ثان يموت».

سارعت شارحة: «ولا هذا أيضًا. فلا يجوز أن أتزوج الرجل الذي يذبح زوجي، حتى دفاعًا عن النفس. هذا هو العُرف. نحن تحكمنا الأعراف في برسوم. هذا غير مُجد يا صديقي. يجب أن تتحمل الحزن معي. هذا ما يمكننا أن نتقاسمه على الأقل. هذا، وأيضًا ذكرى أيام قصيرة لدى الثاركيين. يجب أن تذهب الآن، ولا تراني أبدًا مرة أخرى. وداعًا يا من كنت زعيمي».

انسحبت من الغرفة محبطًا وحزينًا، لكني لم أكن محبطًا تمامًا، كما لن أعترف أنني خسرت ديجاه ثوريس إلا بعد إقامة الحفل بالفعل.

تجولت خلال الدهاليز، وفقدت طريقي تمامًا في متاهات من الممرات المتعرجة كما حدث قبل أن أكتشف شقق ديجاه ثوريس.

كنت أعرف أن أملي الوحيد يكمن في الهروب من مدينة زودانجا،

فمسألة قتل الحراس الأربعة يجب تفسيرها، ونظرًا لعدم إمكانية وصولي أبدًا إلى موقعي الأصلي دون مرشد، فإن الشك سيقع على عاتقي بالتأكيد بمجرد اكتشافي وأنا أسير بلا هدف خلال القصر.

وصلت الآن إلى طريق حلزوني يقود إلى طابق سفلي، فواصلت الهبوط لعدة طوابق حتى وصلت إلى مدخل شقة كبيرة بها عدد من أفراد الحرس. كان معلق على جدران هذه الغرفة ستائر شفافة، أخفيت نفسي خلفها دون أن يراني أحد.

كانت المحادثة بين أفراد الحرس عامة، ولم تثر لدي أي اهتمام إلى أن دخل ضابط إلى الغرفة وأمر أربعة رجال بحراسة أميرة هيليوم حيث الآن وقت راحة حراسها. عرفت الآن أن متاعبي ستبدأ بجدية وسرعان ما سيجدونني؛ فما إن غادرت الفرقة غرفة الحرس، اندفع أحد أفرادها عائدًا مرة أخرى لاهثًا وهو يصيح أنهم عثروا على رفاقهم الأربعة مذبوحين في غرفة الانتظار.

في لحظة كان القصر بأكمله يمتلئ بالناس. الحراس، والضباط، والحاشية، والخدم، والعبيد، يركضون في اضطراب عبر الدهاليز والشقق وهم يحملون رسائل وأوامر، ويبحثون عن علامات للقاتل.

كانت هذه فرصتي، واغتنمتها رغم ضآلتها، فما إن مر عدد من الجنود مسرعين بجوار مكان اختبائي، خرجت وراءهم واتبعتهم خلال متاهات القصر حتى رأيت - عند مروري خلال قاعة كبيرة - ضوء النهارك المبارك قادمًا من خلال سلسلة من النوافذ الأكبر.

هنا تركت مرشديني، وانزلقت إلى أقرب نافذة بحثًا عن وسيلة

للهروب. كانت النوافذ تفتح على شرفة عظيمة تطل على أحد الطرق الواسعة في زودانجا. تقع الأرض على مسافة ثلاثين قدم تقريبًا أسفل الشرفة، ويوجد على مسافة مماثلة من المبنى جدار يبلغ ارتفاعه عشرين قدمًا، ومصنوع من الزجاج المصقول يبلغ سُمكه حوالي قدم. يبدو الهروب خلال هذا المسار مستحيلًا بالنسبة لأي مريخي أحمر، أما بالنسبة لي، وفي ظل قوتي وخفة حركتي، بدا اختيار هذا المسار يسيرًا. كان خوفي الوحيد يكمن في اكتشافي قبل هبوط الظلام، إذ لا يمكنني القيام بقفزتي في وضح النهار، لأن الساحة أدناه والطريق وراءها كانا مزدحمين بالزودانجيين.

وبناء على ذلك بحثت عن مكان اختباء، وأخيرًا وجدته، مصادفة، داخل زينات ضخمة مُعلقة تتدلى من سقف القاعة وترتفع عن الأرض بحوالي عشرة أقدام. قفزت بسهولة داخل إناء مجوف مثل صحن رحيب، وما إن أصبحت مستقرًّا داخله، سمعت عددًا من الناس يدخلون الشقة. توقفت المجموعة أسفل مكان اختبائي، وتمكنتُ من سماع كل كلمة بوضوح شديد.

قال أحدهم: «هذا من عمل الهيليوميين».

«نعم، أوه جيداك، ولكن كيف نفذوا إلى القصر؟ أعتقد أنه حتى مع العناية الدؤوبة لأفراد حرسك، قد يتمكن عدو منفرد أن يصل إلى الغرف الداخلية، لكني لا أتصور كيف يمكن لقوة من ستة أو ثمانية مقاتلين الدخول دون أن يلاحظهم أحد. سنعرف قريبًا، أما الآن فقد جاء الطبيب النفسي الملكي».

انضم الآن رجل آخر إلى المجموعة، وبعد أن قدم تحيته الرسمية إلى حاكمه قال:

«أوه جيداك العظيم، إنها قصة غريبة قرأتها في عقول القتلى من حراسك المخلصين. لم يهزمهم عدد من المقاتلين، بل كان خصمًا واحدًا».

صمت ليرى وقع تأثير تصريحه على السامعين، وتجلى عدم تصديق عبارته في استفهام متشكك نافذ الصدر من شفاه ثان كوسيس.

صاح: «ما هذه الحكاية الغريبة التي تسردها، نوتان؟»

أجاب الطبيب النفسي: «إنها الحقيقة، جيداك. كانت الانطباعات ملحوظة في الواقع بشدة في مخ كل حارس من الحراس الأربعة. كان خصمهم رجلًا طويل القامة جدًّا، يرتدي معدن أحد أفراد حراسك، وقدرته القتالية لا تقل عن رائعة، لأنه قاتل معركة عادلة ضد الأربعة كلهم وهزمهم بمهارته الفائقة وقوته الخارقة وقدرته على التحمل. وعلى الرغم من أنه يرتدى معدن زودانجا، جيداك، فإن هذا الرجل ليس له مثيل في هذا البلد أو أي بلد آخر في برسوم».

«أما عقل أميرة هيليوم، الذي اختبرته واستجوبته، فقد كان صفحة فارغة بالنسبة لي، لديها قدرة مثالية على التحكم في عقلها ولم أتمكن من قراءة ذرة واحدة منه. لقد قالت إنها شهدت جزءًا من اللقاء، وأنها عندما نظرت لم يكن هناك سوى رجل واحد مشتبك مع الحراس؛ رجل لم تتعرف عليه لأنها لم تشاهده من قبل».

«أين منقذي السابق؟»، تكلم شخص آخر من المجموعة، وهنا تعرفت على صوت ابن عم ثان كوسيس الذي أنقذته من المحاربين الخُضر. ثم واصل قائلًا: «باسم معدن جدي الأول، هذا الوصف ينطبق عليه تمامًا، لا سيما قدراته القتالية».

صاح ثان كوسيس: «أين هذا الرجل؟ أحضروه في الحال. ماذا تعرف عنه يا ابن عمي؟ يبدو غريبًا لي الآن عندما أفكر فيه، أن يوجد مثل هذا المقاتل في زودانجا بهذا الاسم ولا نعرفه قبل اليوم. وحتى اسمه أيضًا، جون كارتر، لم نسمع هذا الاسم من قبل في برسوم!».

وسرعان ما وصل بلاغ بعدم العثور عني في أي مكان، سواء في القصر أو في مسكني السابق بثكنات سرب الاستطلاع الجوي. عثروا على كانتوس كان واستجوبوه، لكنه لا يعرف شيئًا عن مكاني، أما في ما يتعلق بالفترة السابقة، فقد قال لهم إنه لا يعرف سوى القليل، لأنه لم يقابلني سوى مؤخرًا خلال حبسنا في وارهون.

قال ثان كوسيس آمرًا: «افتحوا عيونكم على هذا الآخر، فهو أيضًا شخص غريب ويرجح أن كلاهما ينحدر من هيليوم، وحيثما يوجد أحدهما، سوف نجد الآخر عاجلًا أم آجلًا. ضاعفوا الدوريات الجوية لأربعة أضعاف، مع إخضاع كل رجل يترك المدينة بطريق الجو أو البر لأدق فحص».

دخل رسول آخر الآن يقول إنني لا أزال داخل جدران القصر.

واختتم كلامه قائلًا: «فحصنا بعناية أوجه الشبه مع كل شخص دخل أو غادر القصر اليوم، ولم نجد من يقترب مظهره بهذا البادوار الجديد

بين الحراس، غير ما تم تسجيله عنه وقت دخوله».

علق ثان كوسيس باقتناع: «إذن سنمسك به قريبًا، وفي الوقت نفسه سوف نحمي شقق أميرة هيليوم ونسألها في ما يتعلق بهذا الموضوع. ربما تعرف أكثر مما تهتم أن تبوح لك به، نوتان. تعال».

غادروا القاعة، وعندما هبط الظلام، تسللت بخفة من مكان اختبائي وأسرعت إلى الشرفة. لم يكن على مرمى البصر سوى نفر قليل، اخترت لحظة خلو الموقع القريب وانطلقت بسرعة إلى الجزء العلوي من الجدار الزجاجي، ومن هناك إلى الشارع خارج القصر.

(٢٣)

تائهة في السماء

سارعت دون بذل جهد في التمويه إلى المناطق المحيطة لمسكننا، حيث شعرت أنني سأجد بالتأكيد كانتوس كان. عندما اقتربت من المبنى أصبحت أكثر حذرًا؛ فقد تصورت، وكنت على حق، أن الحراس يراقبون المكان. لمحت العديد من الرجال الذين يرتدون معدن مدني يتحركون متسكعين قرب المدخل الأمامي، وآخرين عند الجزء الخلفي. وكانت الوسيلة الوحيدة لوصولي إلى الطابق العلوي حيث تقع الشقق، دون أن يراني أحد، هي عن طريق أحد المباني المجاورة. ونجحت بعد مناورات هائلة في بلوغ سقف متجر على بعد عدة أبواب.

أخذت أقفز من سقف إلى سقف، وسرعان ما وصلت إلى نافذة مفتوحة في المبنى الذي كنت آمل أن أجد فيه الهيليومي، وفي لحظة تالية كنت أقف في الغرفة أمامه. كان بمفرده ولم يندهش من قدومي قائلًا إنه كان يتوقع حضوري قبل ذلك بكثير، حيث انتهت ورديتي منذ فترة.

أدركت أنه لا يعرف شيئًا عن الأحداث التي وقعت اليوم في القصر،

وعندما أخبرته انفعل بشدة. فقد أفزعته أخبار وعد ديجاه ثوريس بالزواج من صاب ثان.

هتف قائلًا: «لا يمكن، هذا مستحيل! لا يوجد رجل في هيليوم كلها إلا ويُفضل الموت على بيع أميرتنا المحبوبة إلى البيت الحاكم في زودانجا. من المؤكد أنها فقدت عقلها لكي توافق على مثل هذه الصفقة الفظيعة. أنت لا تعرف كيف نحب أفراد بيتنا الحاكم في هيليوم، وبالتالي لا يمكنك تقدير الرعب الذي ينتابني وأنا أفكر في هذا التحالف غير المقدس».

وتابع: «ماذا يمكن أن نفعل، جون كارتر؟ أنت رجل واسع الحيلة. ألا يمكنك التفكير في طريقة لإنقاذ هيليوم من هذا العار؟»

أجبت: «إذا أمكنني مبارزة صاب ثان، يمكنني حل المعضلة بقدر ما يتعلق الأمر بهيليوم، ولكني لأسباب شخصية أُفضل أن يسدد شخص آخر الضربة التي تحرر ديجاه ثوريس».

حدق كانتوس كان في وجهي قبل أن يتحدث.

قال: «أنت تحبها! وهل تعرف هي ذلك؟».

«تعرف ذلك، كانتوس كان، وصدتني فقط لأنها وعدت صاب ثان».

وقف الزميل الرائع على قدميه، وأمسكني من كتفي، وأشهر سيفه عاليًا، وقال صائحًا:

«إذا كان الخيار لي، لم أكن لأختار زوجًا أكثر ملاءمة منك لأميرة برسوم الأولى. ها هي يدي على كتفك، جون كارتر، وكلمتي أن صاب

ثان سوف ينتهي بحد سيفي من أجل حبي لهيليوم، ولديجاه ثوريس، ولك. سأحاول هذه الليلة نفسها الوصول إلى مقره في القصر».

سألته: «كيف؟ أنت تحت حراسة قوية، وهناك قوة رباعية تقوم بدوريات في السماء».

أحنى رأسه مفكرًا للحظة، ثم رفعه بثقة.

قال أخيرًا: «أنا بحاجة فقط إلى اجتياز هؤلاء الحراس، ويمكنني القيام بذلك. أنا أعرف مدخلًا سريًّا إلى القصر من خلال قمة أعلى برج. لقد سقطتُ فوقه مصادفة في أحد الأيام خلال إحدى دورياتي فوق القصر. يتطلب هذا العمل أن نتدارس وقوع أي حدث غير عادي، فوجود وجه ينعم النظر من قمة البرج العالي بالقصر كان بالنسبة لي هو الأكثر غرابة. ولذلك اقتربت واكتشفت أن صاحب الوجه المحدق ليس سوى صاب ثان. لقد انزعج قليلًا لانكشافه، وأمرني بإبقاء هذه المسألة لنفسي، موضحًا أن طريق المرور من البرج يؤدي مباشرة إلى شققه، وهو الوحيد الذي يعرف هذا الطريق. فإذا أمكنني الوصول إلى سطح الثكنات والحصول على آلتي، يمكنني أن أصل إلى مقر صاب ثان في خمس دقائق؛ ولكن كيف يمكنني الهروب من هذا المبنى الذي تقول إن عليه حراسة؟»

سألته: «ما مدى جودة حراسة حظائر الآلات في الثكنات؟»

«هناك عادة رجل واحد في الخدمة ليلًا على السطح».

«اذهب إلى سطح هذا المبنى، كانتوس كان، وانتظرني هناك».

دون التوقف لشرح خططي، عدت من نفس الطريق إلى الشارع، وسارعت إلى الثكنات. لم أجرؤ على الدخول إلى المبنى، حيث امتلأ بأفراد سرب الاستطلاع الجوي، الذين كانوا، مثلهم مثل زودانجا كلها، يبحثون عني.

كان المبنى ضخمًا، يرتفع رأسه الشامخ عاليًّا لمسافة ألف قدم في الهواء. هناك القليل من المباني في زودانجا أعلى من هذه الثكنات، على الرغم من أن ارتفاع العديد منها لم يزد سوى بمئات الأمتار. أما أرصفة السفن الحربية الفضائية الكبيرة المصطفة فقد وصل ارتفاعها حوالي ١٥٠٠ قدم من الأرض، بينما كانت محطات الشحن والركاب من أساطيل التجارة على نفس الارتفاع تقريبًا.

كان التسلق طويلًا إلى أعلى واجهة المبنى ومحفوفًا بكثير من المخاطر، ولكن ما من طريقة أخرى، وبالتالي حاولت إنجاز المهمة. ساهمت كثرة زخارف العمارة البرسومية في تيسير تسلقي أكثر مما توقعت؛ إذ شكلت الحواف والبروزات الزخرفية إلى حد ما سُلمًا مثاليًّا طوال الطريق إلى إفريز المبنى. وهنا قابلت أول عقبة حقيقية. كان الإفريز بارزًا ما يقرب من عشرين قدم عن الجدار الذي تشبثت به، وعلى الرغم من أنني طوقت المبنى الضخم، لم أستطع أن أجد فتحه خلاله.

كان الطابق العلوي مزدحمًا بجنود يمارسون أنواع التسلية التي يحبونها؛ ولذا لم أتمكن من الوصول إلى السطح من خلال المبنى.

بقيت أمامي فرصة واحدة ضئيلة يائسة، وقررت اقتناصها – من أجل ديجاه ثوريس، فأي رجل كان ليخاطر بالموت ألف مرة لامرأة مثلها.

تشبثت بالجدار بقدماي ويد واحدة، وفككت إحدى الشرائط الجلدية الطويلة لأغطيتي التي يتدلى من نهايتها خُطاف كبير يستخدمه البحارة الفضائيين للتعلق بجوانب وقيعان طائراتهم لأغراض الإصلاح المختلفة، وبواسطته يجري إنزال الفرق هبوطًا من السفن الحربية الفضائية إلى الأرض.

قمت بأرجحة هذا الخُطاف بحذر نحو السطح عدة مرات إلى أن وجد مستقره أخيرًا، وشددت عليه بلطف لتعزيز قبضته؛ على أنني لم أعرف ما إذا كان سيتحمل وزن جسمي. ربما سيتحمله بالكاد إلى الحافة الخارجية للسطح، ولذا إذا تأرجح جسدي في نهاية الشريط، فإنه سينزلق ويقذفني إلى الرصيف الذي يقع ألف قدم أدناه.

ترددت للحظة، ثم أزلت قبضتي من على الزخارف الداعمة، وتأرجحت في الفضاء حتى نهاية الشريط. تقع الشوارع المضاءة ببراعة والأرصفة الصلبة، والموت، على بعد كبير تحتي. اهتزت قليلًا قمة الإفريز الداعم، فانزلقت بشكل ملتوٍ، مُصدِرًا صوتًا مزعجًا جعل البرودة تسري داخلي خوفًا؛ ثم اشتبك الخطاف وأصبحت آمنًا.

تسلقت إلى أعلى بسرعة وأمسكت بحافة الإفريز وسحبت نفسي إلى سطح السقف. وعندما وقفت، وجدتني أوجه خفير الوردية، كما وجدتني أنظر إلى فوهة مسدسه.

صاح: «من أنت ومن أين جئت؟»

أجبته: «أنا من سرب الاستطلاع الجوي، صديق، ومن فترة قصيرة كنت على وشك الموت، إذ تمكنت بمحض الصدفة من الفرار وسقطت

في الشارع أدناه».

«ولكن كيف وصلت إلى السطح يا رجل؟ لم يهبط أو يصعد أحد خلال الساعة الماضية إلى المبنى. وضح موقفك بسرعة، وإلا أنادي على الحرس».

«اسمع أيها الحارس الخفير، سوف ترى كيف جئت وكيف نجوت بأعجوبة»، أجبته وأنا أستدير نحو حافة السطح، حيث توجد على بعد عشرين قدم أدناه جميع أسلحتي معلقة في نهاية حزامي.

وبدافع الفضول، خطا الزميل إلى جانبي ليلقى حتفه؛ إذ عندما انحنى لإنعام النظر من فوق الإفريز، أمسكته من رقبته وذراع مسدسه وألقيت به إلى السطح. سقط السلاح من قبضته، وخنقت أصابعي محاولته للصراخ طلبًا للمساعدة. كممت فمه وقيدته، ثم علقته على حافة السطح مثلما علقت نفسي قبل لحظات قليلة. كنت أعرف أن الصباح سيأتي قبل أن يتم اكتشافه، وكنت بحاجة إلى كل ما يمكن من وقت.

ارتديت أغطيتي وأسلحتي وأسرعت إلى حظائر الطائرات، وسرعان ما أخرجت آلتي وآلة كانتوس كان. وبعد أن أحكمت وضع آلته خلف آلتي، قمت بتشغيل محرك آلتي. تحركت بسرعة وخفة فوق حافة السطح، وطرت إلى أسفل نحو شوارع المدينة على ارتفاع أدنى بكثير من مستوى طيران الدوريات الجوية عادة. وفي أقل من دقيقة، كنت أستقر بأمان على سطح شقتنا بجوار كانتوس كان وهو في حالة اندهاش.

لم أضع أي وقت في التفسير، ولكني انخرطت فورًا في مناقشة خططنا للمستقبل القريب. قررنا أن أحاول الوصول إلى هيليوم، بينما

يدخل كانتوس كان القصر ويقتل صاب ثان. وإذا نجح، سوف يتبعني. تولى ضبط بوصلتي، وهي جهاز صغير ذكي يظل ثابتًا بحزم في أي مكان في برسوم. بعد وداعنا، ارتفعنا معًا مسرعين في اتجاه القصر الذي يقع على الطريق الذي يتعين أن اتخذه للوصول إلى هيليوم.

عندما اقتربنا من البرج المرتفع، أطلقت دورية نارها من أعلى، ملقية كشافها الضوئي الحاد بالكامل على طائرتي، وزأر صوت يأمر بالتوقف، تلاه بإطلاق النار لأنني لم ألق بالًا بأوامره. هبط كانتوس كان بسرعة في الظلام، بينما أخذت ارتفع باطراد وسرعة هائلة عبر سماء المريخ، تطاردني العشرات من مركبات الاستطلاع الجوي، وفي وقت لاحق طراد سريع يحمل مئات الرجال وبطارية مدفع سريع الطلقات. قمت بالالتفاف والاستدارة بآلتي الصغيرة، أرتفع حينًا وأنخفض حينًا آخر، ونجحت أغلب الوقت في التملص من ضوء كشاف البحث. لكن هذه التكتيكات كانت تعيقني أيضًا، ولذا قررت المخاطرة بكل شيء والتحرك على مسار مستقيم وترك النتيجة للقدر وسرعة آلتي.

علمني كانتوس كان خدعة تعشيق التروس التي لا يعرفها سوى سلاح البحرية في هيليوم، وهي تزيد سرعة آلاتنا، بحيث أنني كنت على يقين بإمكانية الابتعاد عن المطاردين إذا أمكنني تفادي قذائفهم لبضع دقائق.

ومع سرعة طيراني، أقنعني صوت الرصاص حولي بأنني لن أتمكن من الهرب إلا بمعجزة، لكن الموت قدر، فانطلقت بكامل سرعتي عبر مسار مستقيم تجاه هيليوم. وتدريجيًّا زادت المسافة بيني وبين المطاردين

خلفي، وما إن أخذت تهنئة نفسي على حسن حظي في الهروب، انطلقت من الطراد قذيفة جيدة التوجيه وانفجرت في مقدمة طائرتي الصغيرة. أدت الصدمة إلى انقلابها تقريبًا، وسقطت إلى أسفل خلال الليل المظلم.

لا أعرف إلى أي مدى ابتعدت عند سقوطي قبل أن أستعيد السيطرة على الطائرة، لكني أعتقد أنني كنت قريبًا جدًّا من الأرض عندما بدأت في الارتفاع مرة أخرى، حيث سمعت بوضوح أصوات زمجرة الحيوانات أدناي. ارتفعت مرة أخرى، وتفحصت السماء بدقة بحثًا عن المطاردين، وأخيرًا وجدت أضواءهم خلفي، فأدركت أنهم كانوا يهبطون، ومن الواضح بحثًا عني.

لم أجرؤ على فتح ضوء مصباحي فوق البوصلة إلا بعد أن أصبحت أضواءهم غير مرئية؛ ثم أصابني الذعر لأن شظية من القذيفة دمرت بوصلتي تمامًا، وهي مرشدي الوحيد، فضلًا عن تدمير جهاز عداد السرعة. صحيح كان يمكنني متابعة النجوم في الاتجاه العام نحو هيليوم، ولكن دون معرفة الموقع الدقيق للمدينة أو سرعة طيراني، كانت فرصي لإيجادها ضئيلة.

تقع هيليوم على بعد ألف ميل جنوب غرب زودانجا، وفي حالة أن كانت بوصلتي سليمة كنت لأقطع الرحلة، باستثناء وقوع حوادث، بين أربع وخمس ساعات. على أنني في الصباح، كما اتضح فيما بعد، وجدتني أتحرك مسرعًا عبر مدى شاسع من قاع البحر الميت بعد حوالي ست ساعات من الطيران المتواصل بسرعة عالية. والآن بدت لي مدينة كبيرة في أسفل، لكنها لم تكن هيليوم، إذ إن هيليوم هي المدينة الوحيدة

من جميع المدن الكبرى في برسوم التي تتكون من مدينتين دائريتين مسورتين تبعدان عن بعضهما حوالي ٧٥ ميلًا، وكان يمكن تمييزها بسهولة من الارتفاع الذي أحلق به.

واعتقادًا بأنني ابتعدت كثيرًا ناحية الشمال والغرب، حولت المسار نحو الجنوب الشرقي، حيث حلقت أثناء النهار فوق عدة مدن كبيرة أخرى، دون أن تتشابه أي منها ووصف كانتوس كان لهيليوم. هناك سمة مميزة أخرى لهيليوم، علاوة على أنها تتكون من مدينتين توأم، وهي البرجين الهائلين، أحدهما من اللون القرمزي المتألق ويرتفع لحوالي ميل تقريبًا من وسط إحدى المدينتين، بينما الآخر من اللون الأصفر الساطع وبنفس الارتفاع، كعلامة على المدينة التوأم الأخرى.

(٢٤)

تارس تاركاس يجد صديقًا

حوالي فترة الظهيرة، حلقت منخفضًا فوق مدينة ميتة كبيرة من مدن المريخ القديم. وخلال مروري عبر السهل الذي يتعداها، رأيت عدة آلاف من المحاربين الخُضر مشتبكين في معركة هائلة. وما أن رأيتهم حتى وجهوا نحوي وابلًا من الرصاص، ومع دقة التصويب الثابتة تقريبًا تحطمت سفينتي على الفور، وسقطت عشوائيًّا على الأرض.

سقطت مباشرة في وسط القتال العنيف، بين المحاربين الذين لم يروا اقترابي لانشغالهم الشديد في صراع الحياة والموت. كان الرجال يحاربون مترجلين بسيوف طويلة، بينما طلقة عرضية من قناص على أطراف النزاع كان يمكنها أن تُسقط محاربًا قد ينفصل للحظة عن الكتلة المشتبكة في الصراع.

ولأن آلتي سقطت بينهم، أدركت أن الوضع هو القتال أو الموت، مع فرص جيدة للموت على أي حال. وبالتالي ضربت الأرض بسيفي الطويل مستعدًّا للدفاع عن نفسي بقدر ما يمكنني.

سقطتُ بجوار وحش ضخم كان مشتبكًا مع ثلاثة خصوم؛ وعندما

حدقت في وجهه الشرس، المليء بضوء المعركة، تعرفت فيه على تارس تاركاس الثاركي. لم يرني، إذ كنت ضئيلًا خلفه، وعندئذ فقط هاجمه خصومه الثلاثة في وقت واحد، وعرفت أنهم وارهونيين. تخلص الزميل العزيز بسرعة من أحدهم وتراجع خطوة إلى الوراء ليوجه طعنة أخرى، لكنه تعثر فوق جثة هامدة وراءه وأصبح في لحظة تحت رحمة خصومه، الذين انقضوا عليه بسرعة البرق. كان يمكن أن يلحق تارس تاركاس بوالده في وقت قصير إن لم أقفز أمامه وهو منبطح وأشتبك مع خصومه. استأثرت بأحدهم، وعندما وقف الثاركي القوي على قدميه مرة أخرى أجهز على الآخر.

نظر نحوي نظرة واحدة، وبدت ابتسامة طفيفة على شفتيه المتجهمتين، ولمس كتفي قائلًا:

«بالكاد ما تعرفت عليك، جون كارتر، ولكن لا يوجد أي بشري آخر في برسوم يمكنه أن يفعل ما فعلته لي. أعتقد أنني تعلمت أن هناك شيء اسمه الصداقة، يا صديقي».

لم يقل أكثر من ذلك، فلم تكن هناك فرصة، إذ كان الوارهونيون يقتربون منا. قاتلناهم معًا، كتفًا إلى كتف، على امتداد فترة بعد الظهيرة الطويلة الحارة، إلى أن تحول مجرى المعركة وامتطت بقايا جحافل وارهون الشرسة حيواناتهم الثوات وفروا في الظلام الذي أخذ يخيم.

لقد شارك عشرة آلاف رجل في هذا الصراع الضاري، ويرقد على أرض المعركة ثلاثة آلاف من القتلى. لم يطلب أي من الجانبين الرحمة، كما لم يحاول أيهما أخذ أسرى من الآخر.

عند عودتنا إلى المدينة بعد المعركة، توجهنا مباشرة إلى مقر تارس تاركاس، حيث تركني بمفردي بينما ذهب ليحضر المجلس العرفي الذي يجتمع مباشرة بعد أي اشتباك.

في أثناء انتظاري عودة المحارب الأخضر، سمعت شيئًا يتحرك في شقة مجاورة، وعندما ألقيت نظرة هرع فجأة ناحيتي مخلوق ضخم وبشع، وألقاني إلى الخلف على كومة الحرير والفراء التي كنت متكئًا عليها. لقد كان وولا – المخلص المحب وولا. فقد وجد طريقه إلى ثارك، وذهب مباشرة إلى مقري السابق – كما أخبرني تارس تاركاس لاحقًا – وواصل مراقبته المثيرة للشفقة في انتظار عودتي التي بدت ميؤوسًا منها.

قال تارس تاركاس بعد عودته من مقر الجيداك: «تال هاجوس يعرف أنك هنا، جون كارتر، فقد رأتك ساركوجا وتعرفت عليك خلال عودتنا. وقد أمرني تال هاجوس أن أحضرك أمامه الليلة. عندي ١٠ حيوانات ثوات، جون كارتر؛ يمكنك أن تختار من بينهم، وسوف أصحبك إلى أقرب مجرى مائي يؤدي إلى هيليوم. تارس تاركاس قد يكون محاربًا أخضر قاس، لكنه يمكن أيضًا أن يكون صديقًا. هيا، يجب أن نبدأ».

سألته: «وعندما تعود، تارس تاركاس؟»

فأجاب: «مصيري مواجهة الكالوت الوحشية، ربما، أو أسوأ. إلا إذا واتتني الفرصة التي انتظرتها طويلًا لقتال تال هاجوس».

«سوف نبقى، تارس تاركاس، ونلتقي مع تال هاجوس الليلة. لن تضحي بنفسك، وربما تكون الليلة هي الفرصة التي تنتظرها».

اعترض بشدة قائلًا إن تال هاجوس يعاني أحيانًا من نوبات غضب لمجرد التفكير في الضربة التي سددتها له، ولذا إذا وضع يديه عليّ فسوف أتعرض لأفظع تعذيب.

وفي أثناء تناولنا الطعام، حكيت لتارس تاركاس القصة التي أخبرتني بها سولا في تلك الليلة عند قاع البحر خلال المسيرة إلى ثارك.

لم يقل الكثير، لكن علامات العاطفة والغضب ظهرت على عضلات وجهه الكبيرة وهو يتذكر الفظائع التي انهالت على الشيء الوحيد الذي أحبه طوال وجوده البارد والقاسي والرهيب.

لم يعارض مرة أخرى عندما اقترحت أن نذهب إلى تال هاجوس، بل اكتفى بالقول إنه يود التحدث إلى ساركوجا أولًا. رافقته، بناء على طلبه، إلى مقر ساركوجا، وكانت نظرة الكراهية السامة التي رمقتني بها تعويضًا كافيًا لأي محن مقبلة قد تسفر عنها عودتي مصادفة إلى ثارك.

قال تارس تاركاس: «ساركوجا، منذ أربعين عامًا قمتِ بدور أساسي في تعذيب وموت سيدة تُدعى جوزافا. وقد اكتشفت الآن أن المحارب الذي أحب تلك المرأة قد عرف دورك في الصفقة. قد لا يقتلك، ساركوجا، فهذا ليس من عاداتنا، ولكن لا يوجد شيء يمنعه من ربط أحد طرفي رباط حول عنقك وربط الطرف الآخر بحيوان ثوات وحشي، لمجرد اختبار مدى قدرتك على البقاء على قيد الحياة، والمساعدة على إدامة جنسنا. ولأنني سمعت أنه سيفعل ذلك غدًا، فقد رأيت ضرورة تحذيرك فقط، لأنني رجل عادل. نهر إيس ليس سوى حج قصير، ساركوجا. هيا بنا، جون كارتر».

اختفت ساركوجا في صباح اليوم التالي، ولم يرها أحد بعد ذلك.

سارعنا في صمت إلى قصر الجيداك، حيث سُمح لنا فورًا بالدخول إلى حضرته. في واقع الأمر، كان ينتظرني بصبر نافذ وهو يقف فوق منبره يحملق بسخط نحو المدخل.

صرخ بصوت عال: «اربطوه بهذا العمود، سنرى من الذي يجرؤ على ضرب تال هاجوس الجبار. سخنوا الحديد؛ سوف أحرق بيداي عيني رأسه حتى لا يقدر على تلويث شخصي بنظرته الخسيسة».

قلت صائحًا وأنا أستدير نحو المجلس المجتمع ومتجاهلًا تال هاجوس: «يا زعماء ثارك، لقد كنت زعيمًا بينكم، واليوم قاتلت من أجل ثارك كتفًا إلى كتف أعظم محاربيها. أنتم تدينون لي بجلسة استماع على الأقل. اليوم أنا أستحق ذلك. وأنتم تزعمون أنكم شعب عادل ...»

زأر تال هاجوس: «صمتًا، أسكِتوا هذا المخلوق واربطوه كما أمرتكم».

هتف لوركواس بتوميل: «العدالة، تال هاجوس، من أنت لتلغي عادات وتقاليد ثارك التي تمتد لعصور؟!».

رددت عشرات الأصوات: «نعم، العدالة!» وهكذا، واصلت حديثي بينما تال هاجوس يستشيط غضبًا وغليانًا:

«أنتم شعب شجاع وتحبون الشجاعة، ولكن أين كان الجيداك الجبار أثناء القتال اليوم؟ لم أره في خضم المعركة؛ لم يكن هناك. إنه يمزق النساء والأطفال الصغار المسالمين في عرينه، ولكن كم

مرة رآه أحدكم مؤخرًا يقاتل مع الرجال؟ لماذا، حتى أنا، قزم بجانبه، أسقطته بضربة واحدة من قبضتي. هل هذا هو نمط الجيداك الذي يريده الثاركيون؟ يقف بجواري الآن تاركي عظيم، محارب قوي ورجل نبيل. يا قادة، ما رأيكم في تارس تاركاس جيداكًا لثارك؟»

استُقبِل هذا الاقتراح بهدير من التصفيق الحاد العميق.

«ولكن يبقى لهذا المجلس أن يأمر، وتال هاجوس يجب أن يثبت صلاحيته للحُكم. إذا كان رجلًا شجاعًا، عليه أن يدعو تارس تاركاس للقتال، لأنه لا يحبه، ولكن تال هاجوس خائف؛ تال هاجوس، جيداككم، جبان. يمكنني قتله بيداي العاريتين، وهو يعرف ذلك».

بعد أن توقفت، ساد صمت متوتر، حيث التفتت كل العيون بإحكام إلى تال هاجوس. لم يتكلم أو يتحرك، لكن وجهه الأخضر المبقع امتلأ بالغضب، وتجمد الزبد على شفتيه.

قال لوركواس بتوميل بصوته الهادئ العنيد: «تال هاجوس، لم أشهد طوال حياتي أبدًا أي جيداك للثاركيين يتعرض لمثل هذا الإذلال. لا توجد سوى إجابة واحدة على هذا الاتهام. ونحن ننتظرها». ومع ذلك، ظل تال هاجوس واقفًا كما لو كان قد تحجر.

فواصل لوركواس: «يا زعماء، هل سيثبت الجيداك تال هاجوس أنه أكثر صلاحية للحكم من تارس تاركاس؟»

ضمت المنصة ٢٠ زعيمًا، وارتفع ٢٠ سيفًا دليلًا على الموافقة.

ليس هناك بديل. كان الأمر نهائيًّا، وبالتالي سحب تال هاجوس

سيفه الطويل وتقدم لملاقاة تارس تاركاس».

سرعان ما انتهى القتال، ووضع تاركس تاركاس قدمه فوق رقبة الوحش الميت، وأصبح جيداك ثارك.

كان أول أمر له أن يجعلني زعيمًا كامل الصلاحيات بالرتبة التي فزت بها في المعارك التي خضتها في الأسابيع القليلة الأولى عندما أخذوني أسيرًا.

وعندما رأيت موقف المحاربين الإيجابي تجاه تارس تاركاس وكذلك تجاهي، اغتنمت الفرصة لتعبئتهم لنصرة قضيتي ضد زودانجا. حكيت لتارس تاركاس قصة مغامراتي، وشرحت له في بضع كلمات ما كان يدور في ذهني.

قال مخاطبًا المجلس: «لقد قدم جون كارتر اقتراحًا يلق قبولي، سأطرحه عليكم بإيجاز. ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، التي كانت أسيرتنا، يحتجزها الآن جيداك زودانجا كي تتزوج ابنه لإنقاذ بلدها من الدمار على أيدي قوات زودانجا».

«يقترح علينا جون كارتر أن ننقذها ونعود بها إلى هيليوم. يمكننا الحصول على غنائم عظيمة من زودانجا، وكثيرًا ما فكرت أننا إذا أقمنا تحالفًا مع شعب هيليوم يمكننا الحصول على ضمانات كافية لمصادر رزق تتيح لنا زيادة حجم بيضنا ومعدل تواتره، وهكذا نتبوأ دون شك مكانة عُليا بين جميع الرجال الخضر في برسوم. ما قولكم؟»

إنها فرصة للقتال وفرصة للحصول على غنائم، وهكذا التقطوا

الطُعم كرغبة سمك السلمون المرقط في الطيران.

تحمس الثاركيون بشدة، وقبل مرور نصف ساعة أخرى أسرع عشرون رسولًا على دوابهم عبر قيعان البحر الميت لاستدعاء مختلف الجماعات تحضيرًا للحملة.

بدأنا مسيرتنا بعد ثلاثة أيام إلى زودانجا، مائة ألف محارب قوي، حيث تمكن تارس تاركاس من جذب ثلاث جماعات صغيرة على وعد بأن يمنحهم غنيمة كبيرة من زودانجا.

ركبت في بداية الطابور بجوار الثاركي العظيم، بينما هرول وولا الحبيب في أعقاب دابتي.

سافرنا مع هبوط الليل، على أن نقيم مخيمنا خلال النهار في مدن مهجورة بحيث نبقى جميعًا، حتى الحيوانات، في داخل المخيم خلال ساعات النهار. تمكن تارس تاركاس خلال المسيرة، نتيجة لقدراته الرائعة وحنكته السياسية، من تجنيد ٥٠ ألف محارب إضافي من جماعات مختلفة. وبعد أن انطلقنا بعشرة أيام، توقفنا في منتصف الليل خارج أسوار مدينة زودانجا الكبيرة وقد أصبح عددنا ١٥٠ ألف محارب قوي.

كانت قوة هذا الحشد من الوحوش الخضراء الشرسة وكفاءته القتالية تعادل عشرة أضعاف قوة وكفاءة الرجال الحُمر. لم يحدث أبدًا في تاريخ برسوم، كما أخبرني تارس تاركاس، أن خرجت مثل هذه القوة من المحاربين الخُضر في مسيرة إلى المعركة معًا. لقد كانت مهمته في الحفاظ حتى على مظهر الانسجام فيما بينهم مهمة ضخمة، واعتبرتها

معجزة أنه وصل بهم إلى المدينة دون اندلاع معارك شرسة بينهم.

مع اقترابنا من زودانجا، كانت مشاجراتهم الشخصية تفيض بكراهيتهم الشديدة للرجال الحُمر، لا سيما تجاه الزودانجيين، الذين ظلوا لسنوات يشنون حملة إبادة شرسة ضد الرجال الخُضر، مع الاهتمام بوجه خاص بسلب حاضناتهم.

الآن، ونحن أمام زودانجا، انتقلت مهمة دخول المدينة إلى مسؤوليتي. وجهت تارس تاركاس إلى تقسيم قواته إلى كتيبتين بعيدًا عن مسامع المدينة، على أن تقف كل كتيبة أمام بوابة كبيرة. وأخذت ٢٠ محاربًا من المُشاة واقتربت من إحدى البوابات الصغيرة التي تخترق الجدران على مسافات قصيرة. لا توجد حراسة منتظمة عند تلك البوابات، لكنها مشمولة بحراسة الخفراء، الذين يقومون بدوريات في الطرقات التي تحيط بالمدينة داخل جدرانها فقط، مثلما تحرس دوريات الشرطة طرقات مدننا الكبيرة.

يبلغ ارتفاع جدران زودانجا ٧٥ قدمًا، ويبلغ سُمكها ٥٠ قدمًا، وهي مبنية من كتل ضخمة من الكربورندم[١]. بدت مهمة دخول المدينة، بالنسبة لمن رافقوني من المحاربين الخُضر، مهمة مستحيلة. كان الزملاء الذين تم تخصيصهم لمرافقتي ينتمون إلى إحدى الجماعات الصغيرة، ولذلك لم يكونوا على معرفة بي.

أوقفت ثلاثة منهم بحيث تكون وجوههم نحو الحائط وأسلحتهم

(١) الكربورندم هو كربيد السيليكون، وهو مُركب من السيليكون والكربون يتميز بصلابته الشديدة – المترجمة.

مؤمَّنة، وأمرت اثنين آخرين بالصعود على أكتافهم، أما السادس فأمرته بالتسلق على كتف الاثنين العلويين. ارتفع رأس أعلى محارب أكثر من أربعين قدمًا من الأرض.

بهذه الطريقة، ومع عشرة محاربين، بنيت سلسلة من ثلاث درجات ترتفع من الأرض إلى كتف أعلى رجل. ثم ابتداء من مسافة قصيرة وراءهم، جريت سرعة من مستوى إلى التالي، وبقفزة نهائية من الأكتاف العريضة لأعلاهم، أمسكت بإحكام بقمة الجدار الكبير، ثم تسللت بهدوء إلى سطحه المتسع. سحبت ورائي ستة أطوال من الجلود من عدد متساو من المحاربين برفقتي. كنا قد سبق أن ربطنا هذه الأطوال معًا، والآن قمنا تمرير نهاية إحداها إلى أعلى محارب، وقمت أنا بخفض الطرف الآخر بحذر على الجانب الآخر من الجدار في اتجاه الشارع أدناه. لم يكن هناك أحد على مرمى البصر، لذلك قمت بخفض نفسي إلى نهاية حزامي الجلدي، وألقيت الثلاثين قدمًا المتبقية على الرصيف أدناه.

كنت قد تعلمت من كانتوس كان سر فتح هذه البوابات؛ وبالتالي سرعان ما وقف العشرون محارب العظماء داخل مدينة زودانجا المحكوم عليها بالموت.

ولسعادتي وجدت أنني دخلت من جهة الحدود المنخفضة لأراضي القصر الهائلة. ظهر المبنى نفسه عن بُعد متألقًا بضوئه البهي، وفي نفس اللحظة قررت قيادة كتيبة المحاربين مباشرة داخل القصر نفسه، بينما كانت قوة الحشد الكبيرة تهاجم الثكنات العسكرية.

أرسلت أحد رجالي إلى تارس تاركاس لتخصيص خمسين محارب ثاركي، وأخبرته بنواياي، ثم أمرت المحاربين العشرة بالاستيلاء على إحدى البوابات الكبيرة وفتحها، بينما توليت مع المحاربين التسعة المتبقين البوابة الأخرى. كان علينا أن نؤدي عملنا بهدوء، دون إطلاق نيران ودون أي تقدم إلى أن أصل إلى القصر مع الخمسين ثاركي. نجحت خططنا تمامًا. أرسنا الخفيرين اللذين قابلناهما إلى آبائهما على ضفاف بحر كوراس المفقود، وتبعهم حراس البوابتين في صمت.

(٢٥)

نهب زودانجا

كانت البوابة الكبيرة التي وقفت عندها تتأرجح مفتوحة، ودخلها الثاركيون الخمسون، بقيادة تارس تاركاس نفسه، وهم يمتطون حيواناتهم الثوات القوية. قمت بقيادتهم إلى جدران القصر، التي تغلبت عليها بسهولة دون مساعدة. واجهنا مشكلة كبيرة لفتح البوابة، على أنني كوفئت في النهاية برؤيتها تتأرجح على مفصلاتها الضخمة، وسرعان ما كان المرافقون الأقوياء يركضون بدوابهم عبر حدائق جيداك زودانجا.

مع اقترابنا من القصر، رأيت من خلال نوافذ طابقه الأول الكبيرة غرفة ثان كوسيس العامة مضاءة ببراعة. كانت القاعة الضخمة مكتظة بالنبلاء والنساء، كأنهم يتولون إعداد شيء مهم. لم يكن هناك أي حارس على مرمى البصر خارج القصر، وأعتقد أن ذلك يرجع إلى أن أسوار المدينة والقصر كانت تُعتبر منيعة، ولذا اقتربت ونظرت إلى الداخل محدقًا.

في إحدى نهايات الغرفة، وفوق عروش ذهبية ضخمة مرصعة بالماس، جلس ثان كوسيس وأسرته ورفاقه، محاطًا بالضباط وكبار شخصيات الدولة. امتد أمامهم ممشى واسع اصطف الجنود على جانبيه.

وعندما نظرت، دخل إلى هذا الممشى من نهاية القاعة رأس الموكب متقدمًا نحو العرش.

سار أولًا أربعة ضباط من حرس الجيداك وهم يحملون صينية ضخمة من الفضة عليها وسادة من الحرير القرمزي، تستقر فوقها سلسلة ذهبية كبيرة يوجد في نهاية كل طرف منها قلادة وقِفل. وبعد هؤلاء الضباط مباشرة جاء أربعة آخرون يحملون صينية فضية مماثلة تضم الحلي الرائع لأمير وأميرة البيت الملكي في زودانجا.

انفصلت هاتان المجموعتان أمام العرش وتوقفتا متواجهتين على جانبي الممشى المتقابلين. ثم جاء المزيد من كبار الشخصيات، وموظفو القصر والجيش، وأخيرًا دخل شخصان متدثران تمامًا بالحرير القرمزي، بحيث لم يظهر أي من ملامحهما. توقف هذان أمام العرش، في مواجهة ثان كوسيس. عندما دخل الموكب واتخذ مواقعه، خاطب ثان كوسيس الشخصين الواقفين أمامه. لم أستطع سماع كلماته، ولكن تقدم الآن ضابطان وأزاحا الرداء القرمزي من إحدى الشخصيتين، فعرفت أن كانتوس كان قد فشل في مهمته، إذ كان صاب ثان، أمير زودانجا، هو تلك الشخصية التي انكشفت أمامي.

أخذ الآن ثان كوسيس مجموعة من الحلي من إحدي الصينيتين ووضع قلادة ذهبية حول عنق ابنه، وأغلق القفل بسرعة. وبعد أن وجه بضع كلمات أخرى إلى صاب ثان، التفت إلى الشخصية الأخرى، التي أزاح عنها الضباط الآن الأغطية الحريرية التي كشفت عن ديجاه ثوريس أميرة هيليوم.

كان هدف الحفل واضحًا بالنسبة لي؛ ففي اللحظة التالية سوف ترتبط ديجاه ثوريس إلى الأبد بأمير زودانجا. أتصور أنه كان حفلًا جميلًا ومثيرًا للإعجاب، لكنه بالنسبة لي أقسى مشهد رأيته في حياتي. وعندما وُضعت الحلي على جسمها الجميل، وتأرجحت قلادتها الذهبية مفتوحة في أيدي ثان كوسيس، رفعت سيفي الطويل فوق رأسي، وحطمت بمقبضة الثقيل زجاج النافذة الكبيرة، وقفزت وسط الحشد المندهش. وبقفزة واحدة أصبحت فوق سلالم المنبر بجانب ثان كوسيس، الذي وقف متجمدًا من هول المفاجأة، وحطمت بسيفي الطويل السلسلة الذهبية التي من شأنها أن تربط ديجاه ثوريس بشخص آخر.

عمت الفوضى في لحظة؛ توجه نحوي ألف سيف يتهددني من كل جانب، واندفع صاب ثان نحوي بخنجر مُرصع استله من حُلي الزواج. كان يمكنني قتله بسهولة كما أقتل ذبابة، لكن عُرف برسوم القديم ظل باقيًا في ذهني؛ طار خنجره نحو قلبي وأنا ممسك بمعصمه في قبضتي كملزمة الحداد وسيفي الطويل يشير إلى نهاية القاعة.

صحت قائلًا: «سقطت زودانجا، انظروا!»

تحولت كل العيون إلى الاتجاه الذي أشرت إليه، وهناك كان تارس تاركاس ومحاربيه الخمسين يدخلون بثبات فوق حيوانات الثوات عبر بوابات المدخل.

أطلق المتجمعون صيحات الإنذار والدهشة، ولكن دون أي كلمة تنم عن الخوف. وعلى الفور بدأ جنود ونبلاء زودانجا يهاجمون الثاركيين المتقدمين.

دفعت صاب ثان بغير تردد عن المنبر، وأخذت ديجاه ثوريس إلى جانبي. يوجد وراء العرش مدخل ضيق يقف فيه الآن ثان كوسيس في مواجهتي بسيفه الطويل الممشوق. اشتبكنا على الفور، ولم أجده خصمًا ضعيفًا.

ونحن ندور على منصة واسعة، رأيت صاب ثان يسرع خطاه لمساعدة والده. لكنه ما إن رفع يده ليضرب، انطلقت ديجاه ثوريس أمامه، وعندئذ وجد سيفي النقطة التي جعلت صاب ثان جيداك زودانجا. عندما تدحرج والده ميتًا على الأرض، أبعد الجيداك الجديد نفسه عن قبضة ديجاه ثوريس، وتواجهنا مرة أخرى. وسرعان ما انضم إليه أربعة ضباط، وحاربت مرة أخرى وظهري للعرش الذهبي من أجل ديجاه ثوريس. جاهدت للدفاع عن نفسي دون أن أقتل صاب ثان، فمعه فرصتي الأخيرة للفوز بالمرأة التي أحببتها. كان سيفي يتأرجح بسرعة البرق خلال محاولتي تفادي ضربات وطعنات خصومي. جردت اثنين من سلاحهما وقتلت الثالث، عندما هرع عدد أكبر لمعونة حاكمهم الجديد وانتقامًا لموت حاكمهم القديم.

في أثناء تقدمهم، علت صيحات: «المرأة! المرأة! اقتلوها؛ هي من دبرت المؤامرة. اقتلوها! اقتلوها!».

ناديت على ديجاه ثوريس لتقف خلفي، وشققت طريقي نحو المدخل الصغير خلف العرش، لكن الضباط أدركوا نواياي، فاندفع ثلاثة منهم خلفي ومنعوا فرصي للفوز بموقع كان يمكنني منه الدفاع عن ديجاه ثوريس ضد جيش من حاملي السيوف.

كان الثاركيون منشغلين بالكامل في وسط الغرفة، وبدأت أدرك أن لا شيء أقل من معجزة هو ما يمكن أن ينقذ ديجاه ثوريس وينقذني شخصيًّا، وهنا رأيت تارس تاركاس يندفع خلال حشد الأقزام الذين احتشدوا حوله. وبضربة واحدة من سيفه الطويل الجبار، أسقط عشرات الجثث تحت قدميه، وهكذا شق الطريق أمامه حتى أصبح في لحظة يقف على المنصة بجواري، يوقع الموت والدمار يمينًا ويسارًا.

كانت شجاعة الزودانجيين مذهلة، فلم يحاول أحد الفرار؛ ولم يتوقف القتال إلا عندما أصبح الباقون على يد الحياة في القاعة الكبرى هم الثاركيون فقط، إضافة إلى ديجاه ثوريس ونفسي.

رقد صاب ثان ميتًا بجوار والده، وغطت جثث صفوة نبلاء وفرسان زودانجا أرض القاعة التي امتلأت بفوضى دموية.

أول من فكرت فيه عند انتهاء المعركة هو كانتوس كان، فتركت ديجاه ثوريس تحت مسؤولية تارس تاركاس وأخذت عشرات من المحاربين وسارعت إلى الأقبية أسفل القصر. كان السجانون جميعًا قد غادروا مواقعهم للانضمام إلى المقاتلين في قاعة العرش، ولذا بحثنا في متاهات السجن دون أن يعترضنا أحد.

ناديت على كانتوس كان بصوت عال في كل دهليز وقسم جديد، وأخيرًا كوفئت بسماع رد خافت. استرشادًا بالصوت، سرعان ما وجدناه واهنًا في تجويف مظلم.

شعر بسعادة غامرة عند رؤيتي، وقد عرف بوجود قتال من الأصداء الباهتة التي وصلت إلى زنزانته في السجن. قال لي إن الدوريات الجوية

ألقت القبض عليه قبل وصوله إلى البرج العالي بالقصر، ولذا فهو لم ير حتى صاب ثان.

اكتشفنا عبث محاولاتنا قطع القضبان والسلاسل التي تكبله سجينًا، وبناء على اقتراحه عُدت للبحث في الجثث الملقاة على الأرض عن مفاتيح أقفال زنزانته وسلاسله.

ولحسن الحظ وجدت السجان بين أول مجموعة فحصتها، وسرعان ما انضم إلينا كانتوس كان في قاعة العرش.

اختلطت أصوات إطلاق النار الكثيفة بصيحات وصرخات وصلت إلينا من شوارع المدينة، وأسرع تارس تاركاس لقيادة القتال هناك. رافقه كانتوس كان ليعمل بمثابة دليل، وبدأ المحاربون الخُضر في بحث شامل داخل القصر عن زودانجيين آخرين وعن الغنائم، وديجاه ثوريس التي تركتها بمفردها.

لقد اختفت في أحد العروش الذهبية، وعندما التفت نحوها استقبلتني بابتسامة شاحبة.

صاحت: «لا يوجد رجل مثلك! أعرف أن برسوم لم تشهد أبدًا من قبل شخصًا مثلك. هل كل رجال كوكب الأرض مثلك؟ فأنت وحيد، وأجنبي، ومطارد، ومهدد، ومضطهد، وفعلت في أشهر قليلة ما لم يفعله في برسوم عبر جميع العصور الماضية أي رجل آخر من قبل: جمعت معًا الجماعات الوحشية من قيعان البحار وأحضرتهم للقتال كحلفاء للشعب المريخي الأحمر».

أجبتها مبتسمًا: «الإجابة سهلة، ديجاه ثوريس، لم أكن أنا من فعل ذلك، بل كان الحب، الحب لديجاه ثوريس، وهو قوة يمكنها أن تصنع معجزات أكبر مما شاهدته».

غمر وجهها تورد جميل، وأجابت:

«يمكنك أن تقول ذلك الآن، جون كارتر، ويمكنني أن أستمع، فقد أصبحت حرة».

أجبتها: «لا يزال هناك المزيد الذي أود أن أقوله، قبل فوات الأوان مرة أخرى. لقد فعلت الكثير من الأشياء الغريبة في حياتي، العديد من الأشياء التي لا يجرؤ أكثر الرجال حكمة على القيام بها، لكنني لم أحلم أبدًا في أقصى أحلامي بالفوز بديجاه ثوريس – إذ لم أحلم أبدًا أنه في الكون كله توجد امرأة مثل أميرة هيليوم. إن كونك أميرة لا يجعلني أخجل من نفسي، وإنما كونك أنت هو ما يكفي ليجعلني أشك في عقلي وأنا أطلب منك، يا أميرتي، أن تكوني لي».

«يجب ألا يخجل من يعرف جيدًا ردي على طلبه قبل أن يقدمه»، أجابت وهي ترفع يديها الجميلتين وتضعهما على كتفي، فأخذتها بين ذراعيّ، وقبّلتها.

وهكذا في وسط مدينة تموج بقتال وحشي، وتمتلئ بنذر الحرب؛ حيث يجني الموت والدمار محصولهما الرهيب، قدمت ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم والابنة الحقة للمريخ، إلة الحرب، وعدها بالزواج من جون كارتر، السيد المحترم من فرجينيا.

(٢٦)

من المذبحة إلى الفرح

عاد تارس تاركاس وكانتوس كان في وقت لاحق، وأبلغانا بهزيمة زودانجا بالكامل. فقد دُمرت قواتها تمامًا أو تم إلقاء القبض عليهم، ومن غير المتوقع وجود أي مقاومة أخرى بينهم. وقد فرت عدة سفن حربية، لكن هناك الآلاف من سفن الحرب والتجارة تحت حراسة المحاربين الثاركيين.

بدأت الجماعات الصغيرة في سلب الغنائم والتشاجر فيما بينهم، ولذا تقرر أن نقوم بجمع ما نستطيع من محاربين، وأن نزود أكبر عدد ممكن من السفن بالسجناء الزودانجيين ونتوجه إلى هيليوم دون إضاعة المزيد من الوقت.

أبحرنا بعد خمس ساعات من أسطح أرصفة المباني بأسطول يتكون من مائتين وخمسين سفينة فضائية حربية، تحمل قرابة مائة ألف محارب أخضر، يليه أسطول لنقل حيواناتنا الثوات.

وتركنا المدينة المنكوبة خلفنا، في براثن حوالي ٤٠ ألف من أشرس المحاربين الخُضر وأكثرهم وحشية من الجماعات الصغيرة. كانوا يسلبون ويقتلون ويتقاتلون فيما بينهم. استعملوا الشعلات في مائة مكان، وارتفعت أعمدة الدخان الكثيف فوق المدينة كأنما تمحو من عين السماء ذلك المشهد البشع أدناه.

شاهدنا أبراج هيليوم القرمزية والصفراء في منتصف بعد ظهر اليوم، وبعد وقت قصير ارتفع أسطول كبير من السفن الفضائية الحربية الزودانجية من مخيمات حصارهم خارج المدينة، وتقدمت لملاقاتنا.

امتدت رايات هيليوم من قمة إلى قاعدة كل سفينة من سفننا الجبارة، لكن الزودانجيين لم يكونوا في حاجة إلى هذه العلامة ليدركوا أننا أعداء؛ ذلك أن محاربينا المريخيين الخُضر فتحوا عليهم النار بمجرد مغادرتهم الأرض. ومع تصويبهم الخارق، أسقطوا الأسطول المقبل طائرة بعد الأخرى.

أدركت مدينتا هيليوم التوأم أننا أصدقاء، فأرسلت مئات السفن لمساعدتنا، وهنا بدأت أول معركة جوية حقيقية لم أشهدها من قبل.

ظلت السفن التي تحمل محاربينا الخُضر تحلق أعلى أساطيل هيليوم وزودانجا المتنازعة؛ ذلك أن مدفعيتهم كانت عديمة الفائدة في أيدي الثاركيين الذين ليس لديهم سلاح للبحرية، ولا أي مهارة في المدفعية البحرية. بيد أن نيران أسلحتهم الصغيرة كانت أكثر فاعلية، وأثرت مشاركتهم كثيرًا في النتيجة النهائية، إن لم تكن تحددت كليًّا بوجودهم.

حلقت القوتان في البداية على نفس الارتفاع، تشن كل منها هجومًا تلو الآخر في مواجهة بعضهما بعضًا. والآن حدثت فجوة كبيرة في هيكل إحدى الطائرات الحربية الهائلة من المعسكر الزودانجي؛ فتمايلت ودارت بالكامل بحيث تدافع أفراد طاقمها الصغير وهم يقفزون، وهوت ملتفة نحو الأرض على بعد ألف قدم أدناه؛ وسرعان ما تحطمت، ودفنت نفسها تمامًا في التربة اللينة بقاع البحر القديم.

ارتفعت صرخات ابتهاج عاصفة من سرب هيليوم، فانقضوا بضراوة مضاعفة على الأسطول الزودانجي. وبمناورة حاذقة، اكتسبت سفينتين من سفن هيليوم موقعًا أعلى خصومهم، حيث تمكنت سفنهم منه من استخدام مدفعيتهم لإطلاق وابل من القذائف.

وتدريجيًّا نجحت السفن الحربية التابعة لهيليوم في الارتفاع أعلى السفن الزودانجية، وخلال وقت قصير أخذ عدد من السفن الحربية المحاصِرة يجرف حطام السفن الميؤوس منها نحو البرج القرمزي العالي لهيليوم الكبرى. حاولت العديد من السفن الأخرى الهرب، لكن آلاف الطائرات الصغيرة المنفردة سرعان ما أحاطت بهم، وفوق كل منها حلقت سفينة حربية ضخمة تابعة لهيليوم وجاهزة لإنزال ركابها على أسطح سفنهم.

انتهت المعركة خلال ما يزيد قليلًا على ساعة من لحظة تحليق الأسطول الزودانجي المنتصر لملاقاتنا من معسكر حصارهم، وتوجهت سفن الزودانجيين المهزومين المتبقية نحو مدن هيليوم تحت قيادة الأطقم الظافرة.

هناك جانب يثير الشفقة بدرجة كبيرة يتعلق باستسلام هذه الطائرات القوية، وهو ناتج عن عادة قديمة تتطلب أن يتم الاستسلام عن طريق قيام قائد السفينة المهزوم بالغطس الطوعي قفزًا إلى الأرض. وهكذا، قام الزملاء الشجعان، واحدًا تلو الآخر، وهم يحملون راياتهم عالية فوق رؤوسهم، بالقفز من الانحناءات الشاهقة بسفنهم القوية إلى الأرض ليلقوا حتفهم بفظاعة.

لا يتوقف القتال قبل أن يقوم القائد العام للأسطول بممارسة هذا الغطس المخيف، وهو بمثابة إشارة إلى استسلام السفن المتبقية، وهنا تنتهي تضحية الرجال الشجعان التي لا طائل منها.

أشرنا الآن إلى سفينة القيادة التابعة لهيليوم كي تقترب. وعندما أصبحت على مسافة قريبة، ناديت معلنًا عن وجود الأميرة ديجاه ثوريس على متن الطائرة، وأننا نريد نقلها إلى سفينة القيادة كي تأخذها فورًا إلى المدينة.

عندما وصلهم إعلاني بالكامل، ارتفعت صيحات هائلة من أسطح سفينة القيادة، وبعد ثوان قليلة انطلقت رايات أميرة هيليوم من مائة موقع فوق الجزء العلوي من السفينة. ولما أدركت السفن الأخرى بالأسطول معنى الإشارات التي أخذت تومض نحوهم، أخذوا يهللون ورفعوا رايتها في ضوء الشمس الساطع.

اتجهت سفينة القيادة نحونا، وما إن تمايلت بأمان إلى أن لمست جانبنا، تدفق عشرات الضباط نحو أسطحنا. لكنهم توقفوا مذعورين عندما وقعت نظراتهم المندهشة على مئات المحاربين الخُضر، الذين

خرجوا الآن من مواقعهم القتالية، وهنا تقدم كانتوس كان لمقابلتهم، فتحركوا نحوه متزاحمين.

ثم تقدمت ديجاه ثوريس وأنا معها، لكن عيونهم لم تقع على أحد غيرها. استقبلتهم بلطف، منادية على كل منهم باسمه، إذ كانوا رجالًا يتمتعون بمواقع عالية التقدير لدى جدها، وكانت تعرفهم جيدًا.

«ضعوا أياديكم على كتف جون كارتر»، قالت لهم وهي تستدير ناحيتي، «الرجل الذي تدين له هيليوم بأميرتها، فضلًا عن النصر الذي تحقق اليوم».

كانوا في شدة التهذيب معي، وقالوا العديد من الكلمات الطيبة والمديح، لكن ما أثار إعجابهم أكثر هو أنني فزت بمساعدة الثاركيين الشرسين في حملتي لتحرير ديجاه ثوريس وتحرير هيليوم.

قلت: «أنتم تدينون بالشكر لرجل آخر أكثر مني، وها هو. قابلوا واحدًا من أعظم الجنود ورجال الدولة في برسوم، تارس تاركاس، جيداك ثارك».

أعربوا عن تحياتهم إلى الثاركي العظيم بنفس المجاملة المهذبة التي تميزت بها طريقتهم نحوي، ولم أندهش أنه لم يقل عنهم في سهولة موقفه أو في كلمته اللطيفة. على الرغم من أن الثاركيين ليسوا عِرقًا ثرثارًا، فهم رسميون للغاية، وطرقهم تساعدهم بشكل مثير للدهشة على الأخلاق الكريمة واللطيفة.

ذهبت ديجاه ثوريس إلى متن سفينة القيادة، وكانت شديدة الارتباك.

شرحت لها أن المعركة ليست سوى انتصار جزئي؛ فلا زال أمامنا القوات البرية الزودانجية التي تفرض الحصار ويجب أن نحسب حسابها، وأوضحت لها أنني لن أترك تارس تاركاس يغادر إلا بعد إنجاز ذلك.

وعد قائد القوات البحرية في هيليوم بإجراء الترتيبات اللازمة كي تقوم جيوش هيليوم بالهجوم من المدينة بالتزامن مع هجومنا البري، وبالتالي انفصلت السفن وعادت ديجاه ثوريس منتصرة إلى بلاط جدها، تاردوس مورس، جيداك هيليوم.

كان أسطولنا المخصص للنقل يقع على بعد، ويضم حيوانات الثوات الخاصة بالمحاربين الخُضر، حيث بقى في مكانه خلال المعركة. كان يصعب إنزال هذه الحيوانات فوق السهل المفتوح دون اتباع مراحل معينة لهبوطهم، ولكن لم يكن أمامنا شيء آخر، فحلقنا إلى نقطة تبعد حوالي عشرة أميال عن المدينة وبدأنا المهمة.

كان من الضروري إنزال الحيوانات على الأرض في حبال، واستغرق هذا العمل ما تبقى من النهار ونصف الليل. هوجمنا مرتين من جانب مجموعات من فرسان زودانجا، لكنهم انسحبوا مع القليل من الخسارة وبعد هبوط الظلام.

بمجرد الانتهاء من إنزال آخر ثوات، أعطى تارس تاركاس الأمر بالتقدم، وتسللنا في ثلاث مجموعات إلى مخيم الزودانجيين من الشمال والجنوب والشرق.

واجهنا نقاط تمركزهم على بعد حوالي كيلومترين من المعسكر الرئيسي. واعتبرناه إشارة للهجوم، كما سبق أن رتبنا. انقضضنا على

الزودانجيين في ظل صرخات جامحة شرسة، ووسط صيحات حيوانات الثوات المقززة التي أثارت المعركة غضبها.

لم نُمسك بهم نائمين، وإنما وجدنا خطًّا حربيًّا راسخًا يواجهنا. نجحوا في صدنا أكثر من مرة، إلى أن بدأت، نحو الظهيرة، أتخوف من نتيجة المعركة.

بلغ عدد الزودانجيين قرابة مليون مقاتل، متجمعين من القطب إلى القطب، حيثما امتدت مجاريهم المائية التي تشبه الشريط، بينما يواجههم أقل من مائة ألف محارب أخضر. لم تصل قوات من هيليوم، كما لم نحصل على أي كلمة منهم.

وفقط عند الظهيرة سمعنا إطلاق كثيف للنيران على طول الخط الفاصل بين الزودانجيين والمدن، وعندئذ عرفنا أن التعزيزات التي كنا في حاجة إليها قد وصلت.

ومرة أخرى أمر تارس تاركاس بالهجوم، ومرة أخرى تحمل الثوات القوية فرسانها المرعبين في مواجهة استحكامات العدو. وفي اللحظة نفسها، انطلق الخط الحربي لهيليوم مندفعًا فوق المتاريس المقابلة للزودانجيين، وفي لحظة أخرى سُحِقوا كأنما بين حجري رحى. لقد قاتلوا بنُبل، لكن دون جدوى.

أصبح السهل الذي يقع أمام المدينة في حالة من الفوضى الحقيقية قبل أن يستسلم آخر زودانجي. توقفت المذبحة أخيرًا، وسار الأسرى إلى هيليوم. دخلنا بوابات المدينة الكبرى، موكب ظافر ضخم من الأبطال المنتصرين.

اصطفت النساء والأطفال في الشوارع الواسعة، بالإضافة إلى عدد قليل من الرجال اقتضت مهماتهم البقاء داخل المدينة أثناء المعركة. استقبلونا بجولات لا تنتهي من التصفيق؛ وأمطرونا بالحلي المصنوعة من الذهب والبلاتين، والفضة، علاوة على المجوهرات الثمينة. أصيبت المدينة بجنون الفرح.

أثار الثاركيون الأقوياء الكثير من الانفعال والحماس. لم يحدث أبدًا من قبل أن دخلت جماعة مسلحة من المحاربين الخُضر بوابات هيليوم؛ وكونها تأتي الآن كأصدقاء وحلفاء، ملأ الرجال الحُمر بالابتهاج.

تجلت معرفة الهيليوميين لخدماتي البسيطة لديجاه ثوريس في هتافهم باسمي بصوت عال، وبالحلي التي وضعوها حولي وحول حيواني الثوات الضخم خلال مرورنا عبر الطرقات المؤدية إلى القصر. وعلى الرغم من مظهر وولا الشرس، كان الناس يتزاحمون للتجمع حولي.

مع اقترابنا من هذه المجموعة الرائعة من المباني، التقت بنا مجموعة من الضباط الذين استقبلونا بحرارة وطلبوا أن أترجل أنا وتارس تاركاس ومن معه من جِد بالإضافة إلى الجيداك والجِد من حلفائه الأقوياء، ونرافقهم كي نحصل من تاردوس مورس على ما يُعبر عن امتنانه لخدماتنا.

وقفت الزمرة الملكية في الجزء العلوي من السلالم الكبيرة المؤدية إلى البوابات الرئيسية للقصر؛ ونزل أحدهم لمقابلتنا عندما وصلنا إلى أسفل السلم.

كان نموذجًا مثاليًّا للرجولة؛ طويل القامة، مستقيمًا كالسهم، لديه عضلات رائعة، يتمتع بهيئة وطريقة حاكم. لم أكن في حاجة إلى أن يقال لي إنه تاردوس مورس، جيداك هيليوم.

كان أول عضو في مجموعتنا يلتقي به هو تارس تاركاس، وحددت أولى كلماته إلى الأبد الصداقة الجديدة بين الأجناس.

قال مخلصًا: «أن يلتقي تاردوس مورس بأعظم محارب حي في برسوم لهو شرف لا يُقدر بمال، ولكن أن يضع يده على كتف صديق وحليف لهي نعمة أكبر بكثير».

أجاب تارس تاركاس: «جيداك هيليوم، هناك رجل من عالم آخر قد علّم محاربي برسوم الخُضر معنى الصداقة؛ نحن مدينون له بحقيقة أن جماعات ثارك أصبحت تفهمك؛ وهم يُقدرون ويردون بالمثل على المشاعر التي أعربت عنها بلطف».

قام تاردوس مورس بعد ذلك بتحية كل جيداك وجِد أخضر، معربًا لكل منهم عن الكلمات التي تنم عن الصداقة والتقدير.

وعندما اقترب مني، وضع كلتا يديه على كتفيّ.

قال: «أرحب بك يا بني؛ إن منحك، وبكل سرور، ودون كلمة معارضة واحدة، أثمن جوهرة في كل هيليوم، نعم، في كل برسوم، لهو دليل كاف على تقديري».

تم تقديمنا بعد ذلك إلى مورس كاجاك، جِد هيليوم الصغرى، وهو والد ديجاه ثوريس. لقد كان يتبع عن قرب تاردوس مورس، يبدو حتى

أكثر تأثرًا باللقاء من والده.

حاول عشرات المرات أن يُعرب لي عن امتنانه، لكن صوته اختنق انفعالًا ولم يستطع أن يتكلم. وقد عرفت لاحقًا أنه يتمتع، حتى في برسوم المولعة بالحرب، بسمعة مقاتل شرس لا يعرف الخوف. وكان يشترك مع جميع هيليوم في حب ابنته حتى العبادة، ولم يكن بمقدوره التفكير في ما نجت منه دون أن يشعر بهذا الانفعال العاطفي العميق.

(٢٧)

من الفرح إلى الموت

ظلت جماعات ثارك وحلفاؤها الأشداء لعشرة أيام ينعمون بالاحتفال والترفيه، ثم بدأوا في رحلة العودة إلى أراضيهم وهم محملون بالهدايا الغالية وتحت حراسة ١٠ آلاف جندي من هيليوم بقيادة مورس كاجاك. رافقهم جِد هيليوم الصغرى مع مجموعة صغيرة من النبلاء طوال الطريق إلى ثارك، بغية تعزيز روابط السلام والصداقة الجديدة بشكل أوثق.

رافقت سولا والدها تارس تاركس، الذي اعترف بها كابنته أمام جميع الزعماء.

وبعد ثلاثة أسابيع، عاد مورس كاجاك وضباطه، وبرفقته تارس تاركاس وسولا، على السفينة الفضائية الحربية التي كانت قد أُرسلت إلى ثارك لإحضارهم لحضور زواج جون كارتر وديجاه ثوريس.

استمرت خدمتي تسع سنوات في المجالس، وحاربت في جيوش هيليوم بوصفي أميرًا في بيت تاردوس مورس. لم يكل الناس أبدًا

من إغراقي بالتكريم، ولم يمر يوم إلا ويجلب أدلة جديدة على حبهم لأميرتي، ديجاه ثوريس، التي ليس لها مثيل.

في حاضنة ذهبية على سطح قصرنا ترقد بيضة لونها أبيض ثلجي. واصل عشرة جنود من حرس الجيداك حراستها لما يقرب من خمس سنوات، ولم يمر يوم خلال وجودي في المدينة إلا ووقفت أنا وديجاه ثوريس جنبًا إلى جنب أمام مزارنا الصغير نخطط للمستقبل عندما يحين أوان كسر القشرة الرقيقة للبيضة.

كان حيًّا في ذاكرتي صورة آخر ليلة جلسنا معًا هناك نتحدث بنبرات منخفضة من الرومانسية الغريبة التي نسجت حياتنا معًا، وهذه المعجزة التي كانت قادمة لإضافة مزيد من السعادة وتُحقق آمالنا.

شاهدنا عن بعد نور أبيض ساطع لسفينة فضائية تقترب، لكننا لم نعلق أهمية خاصة لأنه مشهد مألوف. أسرعت السفينة مثل حزام البرق نحو هيليوم، إلى أن تجاوزت سرعتها الشديدة ما لم نعتاده من قبل.

أطلقت إشارات ومضية تعلن أنها تحمل رسالة إلى الجيداك، وأخذت تحلق بنفاد صبر في انتظار سفينة الدورية البطيئة التي يجب أن تصحبها إلى أرصفة القصر.

وبعد وصولها إلى القصر بعشر دقائق، دعتني رسالة إلى قاعة المجلس، التي وجدتها تكتظ بأفراد تلك السفينة.

كان تاردوس مورس فوق منصة العرش المرتفعة، يتحرك ذهابًا وإيابًا وترتسم على وجهه علامات التوتر. عندما جلس الجميع في

مقاعدهم، التفت نحونا.

قال: «هذا الصباح، وصل خبر إلى حكومات برسوم العديدة أن أمين مصنع الجو لم يقدم أي تقرير لاسلكي لمدة يومين، كما أن جميع المحاولات التي لا تنقطع من عشرات العواصم للتواصل معه لم تصلها أي علامة على الاستجابة».

«وقد طلب منا سفراء الأمم الأخرى تولي هذه المسألة واستعجال الأمين المساعد للذهاب إلى المصنع. ظلت ألف سفينة فضائية تبحث عنه طوال اليوم، إلى أن عادت إحداها الآن فقط وهي تحمل جثته التي عثرت عليها في الأقبية الموجودة تحت منزله، وقد شوهها قاتل بفظاعة».

«لا أحتاج أن أقول لكم ماذا يعني هذا إلى برسوم. يستغرق الأمر شهورًا لاختراق تلك الجدران القوية، وقد بدأنا العمل بالفعل. ليس هناك ما نخشاه بشأن تشغيل مُحرك محطة الضخ كما يجب، وكما كانت تعمل جميعها لمئات السنين؛ لكن الأسوأ الذي نخشاه قد حدث. فالأدوات تُظهر تناقصًا سريعًا في ضغط الهواء في جميع أنحاء برسوم ... لقد توقف المحرك».

واختتم قائلًا: «أيها السادة، لدينا في أحسن الأحوال ثلاثة أيام نعيشها».

ساد صمت مطلق لعدة دقائق، ثم نهض شاب نبيل ورفع سيفه عاليًا فوق رأسه وقال مخاطبًا تاردوس مورس:

«يفتخر رجال هيليوم بأنفسهم أنهم كانوا يُظهِرون دومًا لبرسوم

كيف يجب أن تعيش أمة الرجال الحُمر، والآن هي فرصتنا لنُظهر لهم كيف يجب أن يموتوا. فلنقم بواجباتنا كما لو أن ألف سنة مقبلة لا تزال أمامنا».

اهتزت الغرفة بالتصفيق، فلم يكن هناك شيء يمكن القيام به أفضل من تهدئة مخاوف الناس بتقديم مثال بأنفسنا وأن نذهب إلى سُبلنا بالابتسامات على وجوهنا والحزن يقرض في قلوبنا.

عندما عدت إلى قصري وجدت أن الإشاعة وصلت فعلًا إلى ديجاه ثوريس، فقلت لها كل ما سمعته.

قالت: «كنا سعداء جدًّا، جون كارتر، وأرحب بأي مصير يلحق بنا ويسمح لنا بالموت معًا».

لم يجلب اليومين التاليين أي تغيير ملحوظ في إمدادات بالهواء، ولكن في صباح يوم الثالث أصبح التنفس صعبًا على ارتفاعات أسطح المنازل. امتلأت طرقات وساحات هيليوم بالناس. توقفت جميع الأعمال التجارية. كان الجزء الأكبر من الناس يواجه بشجاعة موته المحقق. على أن الرجال والنساء، هنا وهناك، أفسحوا المجال أمام حزنهم الهادئ.

ونحو منتصف النهار، بدأ العديد من الضعفاء في الاستسلام. وفي غضون ساعة كان شعب برسوم يغرق بالآلاف في اللاوعي الذي يسبق الموت اختناقًا.

تجمعنا أنا وديجاه ثوريس وسائر أعضاء الأسرة المالكة في حديقة غائرة في فناء داخلي بالقصر. تحادثنا بنبرات منخفضة، هذا إن تحدثنا

على الإطلاق، حيث كانت رهبة ظلال الموت القاتمة تتسلل إلينا. حتى وولا بدا أنه يشعر بثقل الكارثة الوشيكة، إذ تكوم بالقرب من ديجاه ثوريس ومني وأنينه يدعو إلى الرثاء.

تم إحضار الحاضنة الصغيرة من سطح قصرنا بناء على طلب ديجاه ثوريس، التي جلست تحدق بشوق إلى الحياة الصغيرة المجهولة التي لن تعرفها أبدًا الآن.

وعندما أصبحت صعوبة التنفس ملموسة، نهض تاردوس مورس قائلًا:

«لنودع بعضنا بعضًا. لقد ولت أيام برسوم العظيمة. وسوف تطل شمس الغد على عالم ميت، سيظل إلى الأبد متأرجحًا عبر السماء التي لا تسكنها حتى الذكريات. إنها النهاية».

انحنى وقبّل نساء أسرته، ووضع يده قوية على أكتاف الرجال.

عندما أدرت وجهي عنه في حزن، سقطت عيني على ديجاه ثوريس. كانت رأسها تتدلى على صدرها، بدت بلا حياة. اندفعت نحوها صائحًا، وحملتها بين ذراعيّ.

فتحت عينيها ونظرت في عيني.

غمغمت قائلة: «قبلني، جون كارتر، أنا أحبك! أحبك! من القسوة أن نفترق وقد بدأنا لتونا حياة الحب والسعادة».

عندما ضغطت شفتيها العزيزتين بشفتاي، نهض بداخلي الشعور القديم بالقوة والطاقة التي لا تقهر. واندفع دم مقاتل فيرجينيا حيًّا في عروقي.

صحت: «لن يحدث، أميرتي. لا بد أن هناك طريقة ما، وسيجدها جون كارتر الذي قاتل ليشق طريقه خلال عالم غريب من أجل حبك».

ومع كلماتي، تسللت إلى ذهني الواعي سلسلة من تسعة أصوات طويلة طواها النسيان. ومثل ومضة البرق في الظلام، برز مغزاهم كاملًا أمامي – مفتاح الأبواب الكبيرة الثلاثة لمصنع الجو!

استدرت فجأة نحو تاردوس مورس، وأنا لا أزال احتضن في صدري حبي الذي يحتضر، وصحت:

أحتاج «طائرة، جيداك! بسرعة! أصدر أمرك بأن تتجه إلى أعلى القصر. يمكنني أن أنقذ برسوم».

لم ينتظر ليستفسر، وفي لحظة أسرع أحد الحراس إلى أقرب رصيف. وعلى الرغم من أن الهواء كان ضئيلًا وانتهى تقريبًا عند السطح، فقد تمكنوا من إطلاق أسرع آلة استطلاع فضائية جاهزة ليركبها رجل واحد، وكانت أكثر الآلات التي أنتجتها برسوم مهارة.

قمت بتقبيل ديجاه ثوريس عشرات المرات وأمرت وولا، الذي كان يمكن أن يتبعني، بأن يبقى ويحرسها. قفزت بخفتي حركتي وقوتي القديمة إلى أسوار القصر العالية، ثم توجهت في اللحظة التالية نحو الهدف الذي يحقق آمال برسوم كلها.

كان يجب أن أطير منخفضًا للحصول على الهواء الكافي للتنفس، لكنني اتخذت مسارًا مستقيمًا عبر قاع البحر القديم، وبالتالي كان يجب أن أرتفع مجرد بضعة أقدام فوق الأرض.

طرت بسرعة مروعة، فمهمتي ليست سوى سباق زمني مع الموت. وكان وجه ديجاه ثوريس أمامي دائمًا. وعندما التفتُّ لألقي نظرة أخيرة، بعد أن تركت حديقة القصر، وجدتها تتمايل وتغوص على الأرض بجوار الحاضنة الصغيرة. كانت لتسقط في غيبوبتها الأخيرة التي تنتهي بالموت، إذا لم يمتلأ مُزود الهواء مجددًا. كنت أعرف ذلك جيدًا، ولذا أخذت حذري من الرياح، وقذفت من الطائرة كل شيء ماعدا المحرك والبوصلة، قذفت حتى الحلي، واستلقيت على بطني بطول سطح السفينة وإحدى يداي على عجلة القيادة واليد الأخرى تدفع رافعة السرعة إلى أقصاها، فقسمت الهواء الضئيل للمريخ الذي يحتضر بسرعة نيزك.

قبل حلول الظلام بساعة، لاحت أمامي فجأة جدران مصنع الجو الكبيرة. سقطت على الأرض بصوت مجلجل كريه أمام الباب الصغير الذي كان يحجب شرارة الحياة عن سكان كوكب كامل.

رأيت بجانب الباب طاقمًا كبيرًا من الرجال يحاولو اختراق الجدار، لكنهم بالكاد ما خدشوا سطحه الذي يماثل حجر الصوان، والآن يرقد معظمهم في نومه الأخير الذي لن يوقظهم منه حتى الهواء.

بدت الأوضاع هنا أسوأ بكثير من هيليوم، وكنت أتنفس بصعوبة شديدة. كان هناك عدد قليل من الرجال لا يزال في وعيه، فتحدثت إلى أحدهم.

سألته: «إذا أمكنني فتح هذه الأبواب، هل يوجد رجل يمكنه تشغيل المحركات؟»

أجاب: «أنا أستطيع، إذا فتحتها بسرعة. لن يستغرق الأمر مني سوى

بضع دقائق. ولكن ما الجدوى، فكلاهما مات ولا يوجد أحد آخر في برسوم يعرف سر هذه الأقفال الفظيعة. لقد هرع الرجال بجنون الخوف لمدة ثلاثة أيام لدفع هذا المدخل في محاولات لحل لغزه، وإنما دون جدوى».

لم يكن لدي وقت للحديث، فقد بدأت أصبح ضعيفًا جدًّا، وأسيطر على عقلي بصعوبة شديدة.

لكنني تمكنت، بجهد أخير وأنا أسقط ضعيفًا على ركبتيّ، أن ألقي موجات الفكر التسع نحو هذا الشيء الرهيب أمامي. زحف المريخي إلى جانبي، مثبتًا عيونه المحدقة على اللوحة الوحيدة أمامنا وانتظرنا في صمت الموت.

انحسر الباب القوي أمامنا. حاولت أن أنهض وأتبعه لكنني كنت ضعيفًا جدًّا.

«اتبعه»، قلت لرفيقي صائحًا، «وإذا وصلت إلى غرفة المضخة، عليك فتح جميع المضخات. إنها الفرصة الوحيدة أمام برسوم لكي توجد غدًا!».

من المكان الذي أرقد فيه، فتحت الباب الثاني، ثم الثالث؛ وعندما رأيت أمل برسوم يزحف ضعيفًا على يديه وركبتيه خلال المدخل الأخير، انهرت فاقد الوعي على الأرض.

(٢٨)

في كهف أريزونا

كان ظلام يسود عندما فتحت عيني مرة أخرى. كنت أرتدي ملابس غريبة وخشنة؛ ملابس تشققت وتحولت إلى مسحوق عندما اتخذت وضع الجلوس.

تحسست نفسي من الرأس إلى القدم. كنت مكسوًّا من الرأس إلى القدم، على الرغم من أنني عندما سقطت فاقد الوعي أمام المدخل الصغير كنت عاريًا. رأيت أمامي قطعة صغيرة من السماء يضيئها القمر، ظهرت من خلال فتحة ممزقة.

عندما تلمست جسمي بيدي وجدت جيوبًا، وفي أحدها حزمة صغيرة من أعواد الثقاب ملفوفة في ورقة ملوثة بالزيت. أشعلت إحدى أعواد الثقاب، وأضاء لهبها الخافت ما ظهر أنه كهف ضخم، اكتشفت في الجزء الخلفي منه وجود شخص غريب مكوم بلا حراك على مقعد طولي بالغ الصغر. وعندما اقتربت منه، رأيت أنه البقايا الميتة والمحنطة لامرأة عجوز صغيرة الحجم ذات شعر أسود طويل، تنحني فوق موقد فحمي صغير يستقر فوقه وعاء نحاسي مستدير يحتوي على كمية صغيرة

من مسحوق أخضر.

تدلت من السقف خلفها سيور جلدية، كما امتد صف من الهياكل العظمية البشرية عبر الكهف بالكامل. ومن السير الذي يحملهم، امتد سير آخر إلى اليد الميتة للمرأة العجوز ضئيلة الحجم. عندما لمست الحبل، تأرجحت الهياكل العظمية محدثة ضوضاء تشبه حفيف أوراق الشجر الجافة.

لقد كان مشهدًا بمثابة لوحة حية بشعة ومروعة، فسارعت بالخروج إلى الهواء الطلق؛ سعيدًا بالهروب من مثل هذا المكان الرهيب.

المشهد الذي التقطته عيناي عندما خطوت على الحافة الصغيرة قبل مدخل الكهف، ملأني بالذعر.

رأيت سماء جديدة ومناظر طبيعية جديدة. تبدو على بُعد جبال فضية اللون، والقمر الثابت تقريبًا معلق في السماء، والوادي المرصع بالصبار أدناه ليس على المريخ. لم أصدق عيناي، ولكن الحقيقة فرضت نفسها ببطء - كنت أنظر إلى أريزونا من الحافة نفسها التي حدقت منها منذ عشر سنوات بشوق إلى المريخ.

دفنت رأسي بين ذراعيّ، واستدرت مُحطَّمًا وحزينًا خارج الكهف متجهًا نحو الدرب.

سطعت فوقي عين المريخ الحمراء وهي تحمل سرها الرهيب على بعد ٤٨ مليون ميل.

هل وصل المريخي إلى غرفة المضخة؟ هل وصل الهواء المفعم

بالحياة إلى سكان هذا الكوكب البعيد في الوقت المناسب لإنقاذهم؟ هل ديجاه ثوريس على قيد الحياة، أم يرقد جسدها الجميل باردًا في الموت بجوار حاضنة ذهبية صغيرة في الحديقة الغائرة بالفناء الداخلي لقصر تاردوس مورس، جيداك هيليوم؟

انتظرت وصلّيت طوال عشر سنوات لأحصل على إجابة على أسئلتي. انتظرت وصليت طوال عشر سنوات كي أؤخذ مرة أخرى إلى عالم حبي الضائع. كنت أفضل الموت بجوارها هناك على أن أعيش على كوكب الأرض بعيدًا عنها كل تلك الملايين الرهيبة من الأميال.

أما الكنز القديم، الذي وجدته كما هو دون مساس، فقد جعلني ثريًّا بشكل لا يُصدق؛ ولكن ما أهمية الثروة بالنسبة لي!

والآن، أجلس هنا الليلة في غرفة مكتبي الصغيرة التي تطل على نهر هدسون، أجد أن عشرين سنة قد انقضت منذ فتحت عيني لأول مرة على المريخ.

أستطيع أن أراه مشرقًا في السماء خلال نافذة مكتبي الصغيرة. والليلة، يبدو أنه يناديني مرة أخرى كما لم يفعل منذ ليلة الموت الطويلة تلك. وأعتقد أنني أستطيع أن أرى، عبر تلك الهاوية الضخمة في الفضاء، امرأة جميلة سوداء الشعر تقف في حديقة قصر، وبجانبها صبي صغير يضع ذراعه حولها وهي تشير إلى السماء نحو كوكب الأرض، بينما بجوار أقدامهما مخلوق ضخم وقبيح لكن قلبه من الذهب.

أعتقد أنهم ينتظرونني هناك، وشيء يقول لي إنني سرعان ما سأعرف.